

جامعة حلوان
كلية الآداب
قسم التاريخ

الدولة اليزيدية

من قسطنطين إلى أنستاسيوس

أ.د. زبيدة محمد عطا

أستاذ ورئيس قسم التاريخ

عميد كلية الآداب - جامعة حلوان

هذا الكتاب في الاصل هدية قدمتها
مشكورة الام الحنون زبيدة محمد عطا
للباحث باسم خلف الخفاجي من العراق
وتفضل بسحبه مشكوراً الصديق والمحب
للعلم عماد امير

جامعة حلوان
كلية الآداب
قسم التاريخ

الدولة البيزنطية

من قسطنطين إلى أنستاسيوس

أ.د. زبيدة محمد عطا

أستاذ ورئيس قسم التاريخ

عميد كلية الآداب - جامعة حلوان

مقدمة

الدولة البيزنطية واحدة من أقوى دول العصور الوسطى وأطولها عهداً ، إذ قدر لها أن تستمر ما يقرب من أحد عشر قرناً ، بالرغم من أن هناك اختلافاً على ميلاد تلك الدولة بين المؤرخين : هل يعتبر اعتراف قسطنطين . وانشاء القسطنطينية بداية لها ، أم عهد هرقل الذى انفصلت فيه ولايات الشرق وانفجح الطابع الشرقي للإمبراطورية . وإن كان عدد آخر من المؤرخين لا يعترف بالميلاد الجديد للدولة بل يعتبر تاريخها امتداداً للإمبراطورية أغسطس .

ولكن أجمع المعارضون والمؤيدون على أن الاعتراف بالمسيحية وانشاء القسطنطينية أوجد فترة تاريخية ذات طابع خاص ، فالإمبراطورية الرومانية كانت وثنية المعتمدة لاتينية اللغة والحضارة ، ولقد دفع هذا بيورى للقول بأن هناك حضارة بيزنطية ، ولكن لا وجود لدولة بيزنطية ، ولكنى أعتقد خطأ هذا الرأي فلتنا لا نستطيع الفصل بين التاريخ السيلسي والحضارى . فالحضارة مرآة للأوضاع السياسية وكل منهما ياتر ويتأثر بالآخر فالانتمسك المضطرب له تأثيره على استقرار نظم الحكم ، والكنيسة كمؤسسة دينية مستقلة كان لها وضعها الخاص وعلاقاتها بالدولة وبالأوتقراط الحاكم الذى يجمع فى يده جميع السلطات ، واختلفت نوعية تلك العلاقة بين الشرق والغرب ، واتخذ كل منهما خطاً مختلفاً منذ البداية .

هذا ما حاولت توضيحه فى تلك الدراسة وهو الترابط والوحدة بين التاريخ السيلسي والحضارى ، وتأثير ذلك فى تاريخ بيزنطة .

ولقد شملت تلك الدراسة تبيين : الاول يشتمل على : عناصر
الدولة البيزنطية والمميزات او العناصر الاساسية التي اعطتها ذلك الطابع
الخاص الذي ميزها عن امبراطورية اغسطس ، ثم تحدثت عما احاط بها
من اعداء سواء كانوا غرسا او برابرة جرحا او قبائل آسيوية وتأثيرهم
في سياستها وحضارتها وتأثرهم ببيزنطة فتقدم جعل هؤلاء الاعداء
الامبراطورية في حالة صراع دائم كلفها تضحيات بالية وبشرية عديدة تحمل
اعباؤها رعايا الامبراطورية وخاصة في الولايات واجبرعا على فتح
باب الدخول في الجيش امام العناصر المبررة لتستطيع سد عجز قواتها
والقتال على جبهات عديدة .

ولقد وصل بعضهم عن طريق التغفل السلمي الى اعلى المناصب
وسيطروا على الدولة ، كما حدث في عهد اركاديوس وليو الاول ، ولكن
شعب التسطنطينية لم يكن مستعدا لتقبل حكام برابرة ، واستطاعت
الامبراطورية التخلص منهم عن طريق مذابح قضى فيها اهالى التسطنطينية
على العناصر القوطية بل ان الامبراطور زينتون رغم انه من اقليم ايزوريا
التابع لبيزنطة فان اهالى التسطنطينية طالبوا ارضيان زوجنه بعد وفاته
بأجراهور روماني لان ايزوريا كانت في نظرهم اقل حضرا .

والجزء الاول مقسم لثلاث فصول : الاول عن بداية الفترة البيزنطية
مع ذكر الآراء المعارضة والمؤيدة لاتخاذ عهد تسطنطين كبداية الفترة
او حقبة تاريخية جديدة .

والفصل الثاني : تناولت مميزات الفترة البيزنطية او العناصر
الاساسية التي منحها طابعها المميز واول تلك العناصر الطابع الشرقي
للحضارة البيزنطية وتأثير الفكر اليوناني والفارسي في التاريخ والادب
والفلسفة والعمارة والعقيدة وثانيها سلطة الاوتقراط الحاكم الذي جمع
بين السلطة الدينية والدينية ، واعتبر الرسول الثالث عشر ولقد تغلغت
سلطات الاوتقراط في جميع اوجه الحياة سواء كانت ادارية او اقتصادية
او حربية ، فهي المشرع الاول والقائد الاعلى ، ولقد ترتب على هذا القضاء
على سلطات المجالس التشريعية التي حدثت من سلطان الامبراطور
الحاكم واحمها السناتو ، ولقد ادى هذا الى تركيز المعارضة في عرق السرك
الخضر والزرق ، ولقد مارسا نوعا من الضغط على سلطات الاوتقراط

الحاكم كما حدث في عهد انستاسيوس ، والعنصر الثالث كانت مشكلة الكنيسة ، الدولة ، ولقد كان هناك توافق بين كلا السلطين في ميمنة الا في حالات نادرة كما في حالة حنا غم الذهب ، والامبراطور اوديكا وغالباً كانت اوجه الخلاف تتعلق بامور شخصية لاسياسية ، فلقد اوجد قسطنطين منذ اداة القاعدة التي سارت عليها العلاقة بين الكنيسة والدولة فلقد عقد المجمع الدينية وقراسها وعرض رايه ومذهبه على تلك المجمع ، واتخذ خلفاؤه هذا القاعدة فعملوا عقد المجمع وقرروا العقيدة ، وقد بدأ بذلك المجمع المسكونية السابع .

ولقد سجل الديريين جانب المعارضة لسلطة الامبراطور ، وكان احد اسباب قيام الحركة الديرية الاحتجاج على موقف بعض رجال الدين في استعمال سلطاتهم والخضوع لسيطرة الامبراطور الحاكم ، وان كان بعضهم قد انحرف فيما بعد واستعمل القوة لفرض آرائه كما حدث في مجمع افسسوس الشهير بجميع اللصوص حيث ضربوا بطريرك القسطنطينية فلانيان ، ضربا مبرحاً ادى لوفاته ،

لقد حظى الديريون بشعبية كبرى بين اهالي القسطنطينية لعزلتهم وعدم زواجهم ولقد برز دورهم خلال الصراع اللايتوني الذي انتهى بانتصارهم وانهايار الحركة اللايتونية .

اما الفصل الثالث فهو عن اعداء الامبراطورية الذين اثروا في تاريخ الامبراطورية واولهم الفرس وكان للفرس حضارة وامبراطورية عظيمة لا تقل عن حضارة بيزنطة . ولقد تأثرت بيزنطة بفراس في نظام حكمها المتمثل في سلطة الانوقراط المطلقة . وعن العمارة ونظام الجيش بل ان المحتممين تشابهوا في عدة مظاهر في اواخر القرن الثالث . ولقد ظلت الحرب سجلاً بينهما الى عهد هرقل حيث انتازت الامبراطورية الفارسية في معركة نينوى ثم قضى عليها العرب في القادسية .

اما ثاني اعداء الامبراطورية فكانوا الجرمان والغزو الجرمانى ينتقم مسمين غزو حرس وتغلغل سلمى عن طريق دخولهم الجيش الامبراطوري لحنود او معاھديي .

أما على الحدود الشمالية الشرقية فكانت هناك شعوب غربية روسية
وأخرى آسيوية الأصل كالهن والترك ، غاصح الهن الإمبراطورية في
القرن الخامس ، أما بقية الشعوب فلم يبدو خطرهما ملموسا إلا مع بداية
القرن السادس حيث صيغ السلاف منطقة البلقان مغلبتهم .

أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول التاريخ السياسي ويشمل
الفصل الرابع بداية التاريخ البيزنطي مع أزمة القرن الثالث وتولية
دلتسيانوس إذ إن فكرة الاتجاه إلى الشرق والإصلاحات الإدارية
والاقتصادية تعود لعبد . ولقد حاولت إبراز صورة متكاملة للمعمر ساسيا
وحضاريا ورغم أن الذي تولى العرش من أفراد أسرة قسطنطين الكبير هم
قسطنطين ومسططيوس وقسطنز وجوليان ، فإنني أضفت جوبيان فالفنتين
ونافتر وله جعلهم مؤسسي عصور جديدة لأن أيا منهم لم يكون أسرة
أسر حكمها لفترة تذكر . ولم تمثل عيودهم سمات بارزة في التاريخ .

والفصل الخامس والآخر تناولت الفترة من ثيودوسيوس إلى
انستاسيوس وشاهدت هذه الحقبة انقسام الإمبراطورية قسمين شرقي
وغربي وإن كانا في داخل الإمبراطورية الموحدة ومع ذلك فإن الفرق
بين كلا القسمين بدأ واضحا إذ انهار الغرب تحت ضغط الغزوات الجرمانية
في عهد روميلوس أغسطس ، ولم تعد هناك مدوة ذات فعالية الإلبانية
أما الشرق فقد استطاع الصمود واستعياى تلك الغزوات . أما عن
طريق توجيههم إلى الغرب . أو جعلهم معاهدين . وفتح باب الدخول لهم
إلى قواته وتمثل تلك الفترة المرحلة التكوينية في التاريخ البيزنطي فمع
نهايتها بدأ الطابع اليوناني واضحا .

وأرجو أن أكون قد استطعت أن أوفى الموضوع حقه من الدراسة .

دخول

زبد عطا

الفصل الأول

بداية التاريخ البيزنطي

المصادر المعاصرة للفترة البيزنطية الأولى :

نحسب بالفترة البيزنطية الأولى تلك التي تبدأ من القرن الرابع بتولية قسطنطين ، وتنتهي في القرن السادس بتولى هرقل ، وهي الفترة التي استعملت الدولة البيزنطية فيها مقوماتها وطابعها الفريد وتفاعلت فيها العقيدة الجديدة مع الحضارة اليونانية والتراث الروماني لتظهر فيها دولة ذات مزايا وحضارة جديدة هي الحضارة البيزنطية . تلك الدولة التي استمرت ١٠٠٠ سنة غزنا وامتازت بفنونها وآدابها وقانونها إلى جانب إدارة مدنية ونظام عسكري واقتصاد ممتاز ويعود إليها الفضل في حفظ التراث الكلاسيكي لفهضة أوروبا في القرن الخامس عشر .

ولقد شاهدت الفترة الأولى تطورات سياسية هامة من قيام دولة مسيحية وازدياد الخطر الفارسي وظهور قبائل الجرمانية وانثيالها في قلب الامبراطورية ثم سيطرتها على الجزء الغربي من الامبراطورية وانقسام الامبراطورية الى شطرين غربي وشرقي وإن ظلت تحتفظ بوحدة اسمية ، ورغم ثراء تلك الفترة بأحداثها وكونها حقبة من أهم الفترات في تاريخ العالم وايدانا بنهاية العالم القديم وتمهيدا للعالم الوسيط بخصائصه ومميزاته فإن المؤلفات التي تناولت تلك الفترة قليلة ، وعليها كثير من المآخذ وينقص بعضها الترابط والوحدة التاريخية وبعضها ينقصه المعالجة الصادقة (١) أو الدقة في سرد الأحداث وعدم الاهتمام بالتفاصيل أو الأحداث الصغرى ،

Bury : History of the Later Roman Empire F. VII.

وغالبيتها تركز اهتمامها على الأحداث السياسية متجاهلة ما يختص
بالادارة والتسريع والحياة اليومية المعاصرة فالمؤرخ لتلك الفترة
يقتضى الترابط والوحدة بين النظام السياسى والحضارى وتأثير كل
منها على الآخر وان الحضارة هى الواجهة الصادقة لى نظام
سياسى ، الا جانب عدم توافر القدر الكافى من الآثار والعمليات
والمسوكات التى نجدتها فى التاريخ القديم والتى كنا نستطيع عن
طريقها استكمال ما ينقدها من كتابات المؤرخين فنحن نشعر بصف
المصدر الى جانب عظمة الحدث فمثلا فى كتابات يوزبيوس وهو واحد
من أهم مؤرخى تلك الفترة نجده فى تاريخه الأحداث الكبرى
كاعتراف قسطنطين بالمسيحية وقصة الحليب وشهداء المسيحية (٢)
يعتمد الى التفصيل والافضة ولكن اذا انتقلنا الى ما يختص
بالحياة اليومية أو الاجتماعية أو التطور الاقتصادى نجده يأتى الى
الاختصار الشديد أو التغاضى عن الحدث ، الى جانب ان غالبية
مؤلفات تلك الفترة تمثل وجهة النظر الامبراطورية حتى أن البعض
شكك فى قصة الحليب ومدى نحيبها من الصحة ، والمؤرخون
بصفتهم اما يونان أو لاتين تجاهلوا فى الغالب كل ما يتعلق بقيادة
الجرمان وشخصياتهم بصفتهم اعداء للامبراطورية وكما يذكر Bury
اننا نعرف عن معسكر تحتفىس الثالث فى القرن الخامس عشر قبل
الميلاد أكثر مما نعرفه عن ستيكو أو ثيودريك فأغلب القادة البرابرة
الذين واجهوا الامبراطورية وقواتها وانضموا لجزء رئيسية من
أراضيها لا نعرف الا أسمائهم وأه القليل عن شخصياتهم (٣) .

Eusebius : The Ecclesiastical History and the Martyrs (٢)
of Palestine Vol I P 315 - 317.

Bury : op cit VII

Ostrogorsky Hist. of the Byzantine state 7-22.

وباستعراض أهم المؤلفات التي تناولت تلك الفترة نجد أن مؤلفات ايوزبيوس أسقف قيصرية تعد من أهم مصادرنا ولايوزبيوس كتابان أحدهما يتحدث عن قسطنطين وحياته واعتناقه المسيحية إلى ٣٢٥ م وأن كان له تاريخ آخر في عشر أجزاء انتهى به ٣٢٤ م ولقد أتبع منهج يوزبيوس في التاريخ مؤرخ الكنيسة Socrates الذي أكمل تاريخه إلى ٤٣٩ م .

ومن مؤرخي تلك الفترة Ammianus Marcellienus وكان وثنيا وكتب تاريخا باللغة اللاتينية ويعتبر تكملة لتاريخ تاكلتيوس ويحمل اسم Resgestae ورغم أن كتابات تاكلتيوس تعود إلى القرن الثاني (٤) حيث تتناول الشعوب الجرمانية وقبائلهم قبل دخولها إلى أراضي الامبراطورية في القرن الأول ٥٥ - ١٢٠ فلقد أعطى صورة لتلك الشعوب التي اقتحمت الامبراطورية في القرن الرابع ولابد من الرجوع إليه لنستطيع توضيح دور هؤلاء الغزاة الذين اقتحموا الامبراطورية واقتطعوا أهم أراضيها الغربية .

ولقد شاهدت تلك الفترة آخر مجموعة من الكتابات الوثنية مثل Eunapius الوثني الذي كتب تاريخا للفلاسفة الإغلاطيين في القرن الرابع (٤٠٧ - ٤٢٥) و Zosimus آخر المؤرخين الوثنيين الذي كتب تاريخا منذ عهد أغسطس إلى ٤١٠ ويؤرخ تنحيا منذ عهد دقلديانوس .

ثم كتابات Priscus وتمدنا بحوادث السنوات ٤٢٣ - ٤٨٦ م وعمد إلى التفصيل في الحوادث الداسة بالهون . وسار

Ostrogonsky : op. cit. P. 5.

(٤)

Baynes : Byzantium an introduction to the East Roman Civilisation introduction

Brehier : Vie et Mort de Byzance VII.

سقراط على منهج أيوزيغوس وكتب تاريخ الفترة ٢٠٦ - ٢٤٩ م ،
 sozomen أرخ من ٢٢٤ - ٤١٥ م وثيودور cyrrhus ٢٢٥ - ٤٢٩ م ،
 ولقد شارك الزهني في الكتابات الأدبية والتاريخية فكتب
 Evagrius تاريخا وتناول الفترة ٤٢١ - ٤٩٣ وتعود أهمية
 كتاباته الى تمويره التاريخ الديني ، ثم مؤلفات عدد من المؤرخين
 الكهنس هذا القسوس الذي كتب تاريخا لسوريا واسمر يترس
 الى عهد موريس ومؤلفات Gregory Nazianus • Gregory Nysse
 وأعمال Placius ولكن أشهر مؤرخي تلك الفترة كان
 بركيوس الذي كان سكرتيرا خاصا لبلزاريوس قائد جستنيان
 . مسخدم في رسائله وأهم مؤلفاته التي تتناول حروب جستنيان
 ضد الفرس والوندال والقوط واتبع منهج هيردوت Thucydides
 ولقد أورد معلومات وافية عن جغرافية وشعوب المنطقة ولقد كتب
 تاريخا في سبعة أجزاء انتهى الى ٥٥١ م وظهرت ثمانى أجزاء اضافية
 ٥٥٢ م ثم ملحق آخر Anecdota ولكن أشهر أعماله كان Secret
 History والذي كان عجونا سافرا على ثيودورا وجستنيان ولم
 يظهر الا بعد وفاته وله مؤلف ثالث في مباني جستنيان ومنشأته ولقد
 أكمل Agathios تاريخه وغطى السنوات من ٥٥٢ - ٥٨٠ م
 سار على نهج Theophylact Simocatta الذي كتب تاريخا
 لموريس .

وهذا العصر يمتاز بوفرة المؤلفات الدينية ويرجع هذا الى انه
 العصر الذي تم فيه الاعتراف بالمسيحية ووضعت أسس العقيدة الدينية
 واللاهوت المسيحي ، وبدأت الحركة الأدبية فظهر عدد من المؤرخين
 الذين كتبوا حواشي تاريخية أمثال John Malalas ،

سقراط على منهج أيوزيوس وكتب تاريخ الفترة ٢٠٦ - ٢٤٩ م .
 sozomen أرخ من ٢٢٤ - ٤١٥ م وثيودور cyrrhus ٢٢٥ - ٤٢٩ م ،
 ولقد شارك الرهبان في الكتابات الأدبية والتاريخية كتب
 Evagrius تاريخنا وتناول الفترة ٤٢١ - ٥٩٢ وتمتد أعمية
 كتاباته الى تمويره التاريخ الديني ، ثم مؤلفات عدد من المؤرخين
 انكسبين أمثال هذا افسوس الذي كتب تاريخا لسوريا واستمر يدرس
 الى عهد موريس ومؤلفات Gregory Nazianus . Gregory Nysse
 وأعمال Flacius ولكن أشهر مؤرخي تلك الفترة كان
 بركيوس الذي كان كرتيا خاصا ابلازاريوس قائد جستينيان
 وصاحبه في رحلاته وهم مؤلفاته تلك التي تتناول حروب جستينيان
 ضد الفرس والبيزنطيين والقوط واتسع منهج هيردوت Thucydides
 ولقد أورد معلومات قيمة عن جغرافية وشعوب المنطقة ولقد كتب
 تاريخا في سبعة أجزاء التي الى ٥٥١ م وظهرت ثمانى أجزاء اضافية
 ٥٥٢ م ثم ملحق آخر Anecdaly ولكن أشهر أعماله كان Secret
 History والذي كان مجوما سافرا على ثيودورا وجستينيان ونم
 يظهر الأبعد حياته وله مؤلف ثالث في مبادئ جستان ومنشأته ولقد
 أكمل Agathios تاريخه وغطى السنوات من ٥٥٢ - ٥٨٠ م
 سار على نهجه Theophylact Simocetes الذي كتب تاريخا
 لموريس .

وهذا العصر يمتاز بوفرة المؤلفات الدينية ويرجع هذا الى انه
 العصر الذي تم فيه الاعتراف بالمسيحية ووضعت أسس العقيدة الدينية
 واللاهوت المسيحي . وبدأت الحركة الأدبية فظهر عدد من المؤرخين
 الذين كتبوا حوليات تاريخية أمثال Malalas

السوري الذي ولد في أنطاكية وكتب تاريخاً للعالم بدأه من تاريخ
 واساطير مصر إلى عهد جستينيان (٥٠٠) ولم يأت مؤرخو الكنيسة بهذا
 في الكتابة عن حياة جيروم واثناسيوس السكندري والقديس انطون
 وأباء الكنيسة الأوثى وكفاحهم ثم مضابط المجالس الكنسية والجامع
 الكنيسة الخمس والمراسم الامبراطورية والقرارات التي تنظم
 العلاقة بين الكنيسة والدولة وان كان ما يأخذ عليها أنها تصور وجهة
 نظر واحدة وهي وجهة النظر المؤيدة للدولة فلا توضح الاتجاهات
 المعارضة وما كان يحيط بتلك الجامع الدينية من صراعات . وهناك نوع
 آخر من الوثائق وصلتنا وهي ما يتعلق بتلك الجامع القانونية التي
 أصدرها أباطرة بيزنطة إلى جانب هذا القدر الكبير من المراسيم
 والتشريعات التي أصدرها الامبراطور والسنانو التي تنظم الحياة
 الادارية والاجتماعية والاقتصادية للشعب وتلك المجموعات القانونية
 حفظت الكثير من القانون الروماني الذي لم يكن للغرب أثناء نهضته
 فيما بعد الاطلاع عليها لولا هذه المؤلفات وأول تلك المجموعات مجموعة
 ثيوديسيوس Theodosianus Code ثم مجموعة جستينيان فيما
 بعد ومجموعة المراسيم والقرارات التي أصدرها الإمبراطور
 الأول ثم التدرج الوظيفي في الادارة البيزنطية - *Notia Dignitatum*
 التي أرخت للفترة منذ القرن الخامس ثم مؤغات حنا Lydian
 في منتصف القرن الخامس عن كتابه *De magistratibus*

(٥) يذكر إسمهان أهمية حنا مالا لاس رغم تعصبه الديني ورغم ان
 مدونه التاريخية غير دقيقة المعلومات فان أهميتها تتركز في انها تلمح
 بأصواء حاضرة على حياة عصره اليومية .

وإسمهان : الحضارة البيزنطية ترجمة توفيق خاوند ص ٢٩٥

(٦) Ostrogorsky op cit P V 4

Hussey The Byzantine World P V

Jones The Greek city from Alexander to Justinian P 58.

ثم كاتبات الشريف بطرس عن احتفالات البلاد والتنويع التي وصلت
في مؤلفات قسطنطين السابع بورغينتيوس ثم المعاهدات الحربية التي
وردت في Strategicon Maurice . وسبب المعاهدات الحربية في
نهاية القرن السادس والسابع .

بداية التاريخ البيزنطي :

هناك سؤال يواجه دارس تلك الفترة التاريخية في سطورنا
في تسميتها بالدولة البيزنطية ما هو الحدث التاريخي أو التسمية
التاريخية التي نستطيع عندها القول بأن الدولة الرومانية انتهت
بداية دولة جديدة ذات معالم وخصائص معينة .

هناك اختلاف بين المؤرخين والمفكرين في الدراسات البيزنطية
فعدد من المؤرخين يعتبر أن الإمبراطورية الرومانية انتهت حين أعلن
قسطنطين المسيحية كديانة مصرية بها وانتقل بعاصمته إلى الشرق
حيث أنشأ مدينة القسطنطينية التي استمرت إلى ١٤٥٣ م . وأن كان
البعض يرى أن فصل تلك الحقبة التاريخية التي تبدأ بقسطنطين يعتبر
أمراً لا يتفق والوحدة التاريخية للإمبراطورية ويتعارض مع نظرية
الاستمرار في التاريخ . فالتاريخ في نظرهم حلقات متصلة فالماضي
يرتبط بالحاضر .

وكما قبل سبيل تاريخ ليس له بداية أو نهاية إنما البدايات
والنهاية في كتب التاريخ وليس في الأحداث التي تصفها (٧) . ويؤكد
تلك النظرية أن الإمبراطورية ضمت تحت اسم الإمبراطورية الرومانية
في نظر معاصريها ومؤرخيها آنذاك واستمر مواطنها يسمون بالرومان
. فقلت التقاليد الرومانية قائمة لفترة رغم اتخاذها لعممة يونانية

Collingwood : The Idea of History 46-50 , Baynes (٧)

introduction

Vasiliev : The Byzantine Empire p. 24-22

ثم كتابات الشريف بطرس عن احتفالات البلاد والفتوح التي وصلت
في مؤلفات قسطنطين السابع بورغيتيس ثم المعاهدات الخيرية التي
وردت في Strategicon Maurice وسجلات المعاهدات الخيرية في
نهاية القرن السادس والسابع .

بداية التاريخ البيزنطي :

هناك سؤال يواجه دارس تلك الفترة التاريخية التي اصطفاها
في تصنيفها بالدولة البيزنطية ما هو الحدث التاريخي أو السمة
التاريخية التي نستطيع عددا القول بأن الدولة الرومانية انتهت
وبدأت دولة جديدة ذات معالم وخصائص معينة .

هناك اختلاف بين المؤرخين والمتخصصين في الدراسات البيزنطية
فعدد من المؤرخين يعتبر أن الإمبراطورية الرومانية انتهت حين أعلن
قسطنطين المسيحية كديانة مصرح بها وانتقل بعاصمته الى الشرق
حيث أنشأ مدينة القسطنطينية التي استمرت الى ١٤٥٢ م . وان كان
البعض يرى أن فصل تلك الحقبة التاريخية التي تبدأ بقسطنطين يعتبر
أمرا لا يتفق والوحدة التاريخية للإمبراطورية ويتمارض مع نظرية
الاستمرار في التاريخ . فالتاريخ في نظرهم حلقات متصلة فالماضي
يرتبط بالحاضر .

وكما قلنا بين التاريخ ليس له بداية أو نهاية إنما البداية
والنهاية في كتب التاريخ وليس في الأحداث التي تصفها (١) . ويؤكد
تلك النظرية أن الإمبراطورية كانت تسمى الإمبراطورية الرومانية
في نظر معاصريها ومؤرخيها اذ كان واستمر مواطنيها يسمون بالرومان
وظلت التقاليد الرومانية قائمة لفترة رغم اتخاذا لعاصمة يونانية

Collingwood : The Idea of History 4٤ 30 , Baynes (٧)
introduction.

Vasiliev : The Byzantine Empire p 21:22.

شرقية ومن مؤيدي ذلك الرأى جيبون سيورى . Collingwood
 فيبوري رغم اعترافه بأن أحداث عامة وجوهرية طرأت على الامبراطورية
 سواء فى تاريخها السياسى واقتصادى فانه فضل ان يستعمل لفظ
 امبراطورية رومانية متأخرة ، وفى كتابه الأول . فى عشرين . ندى
 تتناول الفترة من ثيودسيوس الى جستنيان وفى كتابه الثانى الذى بدأ
 بتولية ايرين أطلق على تلك الفترة : امبراطورية الرومانية الشرقية .
 وهناك عدد من المؤرخين رؤو ان الامبراطورية الرومانية انتهت فعلا
 وقامت امبراطورية جديدة ولكن اختلفوا فى التاريخ الذى انتهت فيه
 تلك الامبراطورية لرومانية فالبعض يرى انها انتهت فى القرن
 الرابع وآخرون يروون انها انتهت فى عهد ثيودسيوس حيث انقسمت
 الى قسمين شرقى وغربى (٨) . ولكنهم تتلمذوا امرا هاما هو انه فى
 هذه الفترة لم تكن هناك امبراطوريتان منفصلتان بل امبراطورية واحدة
 ذات سطرين شرقى وغربى .

والبعض يبدأ الفترة البيزنطية بالقرن السادس اعتمادا على ان
 الفترة التكوينية أو الاستقلالية فى التاريخ البيزنطى قد انتهت وانفتح
 الطابع اليونانى الشرقى للامبراطورية استنادا الى أن القرن السادس هو
 الفترة التى بدأت فيها الفتوح العربية وفقدت فيها الامبراطورية
 مصر وسوريا وهو القرن الذى وضعت فيه دعائم نظام حربى جديد
 اوجده هرقل وهو نظام Themes حيث ارتبطت الخدمة العسكرية
 بالأرض ، وظهر نظام الاقطاع الحربى (٩) ولكن هذا يعنى تجاهل الفترة
 الأولى التى وضعت فيها دعائم الامبراطورية فالتقسيم السادس هو

Charanis . The Social Structure of the later Roman (٨)

Empire p. 14.

Bury : op. cit. 34.

(٩)

نورمان بنز الامبراطورية البيزنطية ترجمة مؤنس من ١٧١ .

Baynes . op. cit. Introduction, Vasiliev . op. cit. P. 22.

القرن الذي ظهرت فيه نتائج الأساس الذي وضع على التقرية
الثالث والرابع والتطورات الحربية في القرن السادس ما هي الا تطوير
لنظم دقلديانوس وقسطنطين .

والبعض جعل من عهد ليوا الايسوري حدا فاصلا بين التاريخ
الروماني والبيزنطي . ولكن أعتقد بعد دراسة للمؤلفات التي تناولت
تلك الفترة سواء المؤرخين معاصرين للأحداث أو مصدئين أمثال
جيبون بيوري هازليف ، هوس ، هيرس ، أوستوجروسكي رنمزن ،
بينز ، ديل دوكانج Wolff charanis - Kitzinger أننا
نستطيع القول بأن هناك امبراطورية جديدة وجدت ، حقيقة
ان التاريخ حقت متصلة والتطورات الحضارية والتاريخية تمر بفترات
ومراحل عدة الا أن تكتمل دورتها وتفتح معالمها ولكن هناك سمات
أو أحداث بارزة في فترة تاريخية توضح ان مرحلة جديدة أو أن حقبة
ذات معالم متميزة قد بدأت (١٠) . وان مجرى الأحداث يتجه الى وجهة
جديدة فاعتراف قسطنطين بالمسيحية وانشاء القسطنطينية اوانحاء
نقطة تاريخية حضارية من اجزاء العالم القديم الى عالم العصور
الوسطى فالعالم القديم الذي كانت تتمثل عاصمته السياسية
والحضارية في روما ذات العقيدة الوثنية والمدينة التي تتجه اليها
كأل الطرق بدأت تسمه تأمل لتحل محلها روما الجديدة في الشرق
ذات حضارة يونانية الأصل مسيحية المييدة ولا يعتبر الانجاء
الى الشرق أو انشاء القسطنطينية عما مظهر التحول الوحيد فانهما كانا
بداية لتغيرات أشمل وأعم تناولت الجوانب السياسية والحضارية
بعناهما المختلفة من نظم ادارية واقتصادية وحضارية واجتماعية
لقد تغير جوهر المجتمع والحياة . واعتقد اننا لا نوافق الأستاذ بيوري

بما أوردته عن انكاره ان هناك أى ميلاد لبيزنطة وان الامبراطورية الرومانية لم تنته الا فى ١٤٥٣ م وان الفس والحضارة البيزنطية من الممكن ان نتكلم عنهم كأحداث منفردة فليس من المنطقى ان نتكلم عن حضارة بيزنطية فى حين اننا نذكر وجود تاريخ بيزنطى فالحضارة ما هى الا تمييز عن وجود أو كيان سياسى قائم وهى وليدة نظم الحكم المستقرة وحضارة أى شعب هى مرآة لأحداثه (١١) وكما ذكر جيبون فى كتابه انمحلالاوستقوط الامبراطورية الرومانية :كانت الحكومة الرومانية تبدو كل يوم أقل بأسا فى نظر أعدائها فتعرائب كنت تتضاعف مع تفاقم الضيق العام وكلما لحت الحاجة الى الاقتصاد راد الاسراف ، وطرخ الأغنياء الظالمون كل شعب عن كاملهم ، والنفوة على كواهل الناس بل وتحايثوا على حرمانهم من المتع البريئة والتي قد تخفف بؤسهم فى بعض الاحيان وعمدت الحكومة الى التحقيق والتفتيش ثم الى مصادرة املاكهم وتعذيب أشخاصهم كل أولئك أرغم رعايا فالننتيان على ايثار البرابرة مع طغيانهم الايسر احتمالا ، أو على الفرار الى الغابات والجبال ، أو على الهبوط الى مراتب الخدم والمرترقة رغم خسرها وحقاترها حتى وصل بهم الأمر الى التبرم بقب المواطن الرومانى والى التبرؤ منه . بعد أن قد غيم حتى محد وضع العالم اجمع » . (١٢) وكما قالت الأستاذة Hussey ان الامبراطورية كانت تختلف فى أيام St. Paul عن وقت St. Ambros ليس فى التكوين أو الاطار الخارجى للامبراطورية أو فى طبيعة انحصارة

(١١) جيبون : انمحلال الامبراطورية الرومانية ج ١ ، ٢٩
Bury : op. cit. Vol. I. P. V:
Camb : Med. Hist. Vol. 4 P. VII.

(١٢) جيبون : انمحلال الامبراطورية الرومانية ج ١ ، ٢٩

البيزنطية أو الرومانية. ولكن في تغير أساسي يبدو واضحاً هنا
ذات طابع سرقي واضح وحضارة شرقية (١٢) .

وإذا استعرضنا كتابات المؤرخين عن بداية التاريخ البيزنطي
فسنجد أنه رغم اختلاف وجهات النظر بالنسبة لتحديد التاريخ
الروماني أو البيزنطي فسنجد أنها تؤكد أن هناك فترة تاريخية
عامة بدأت منذ القرن الرابع وكان لها أكبر أثر على التاريخ السياسي
والحضاري للعالم آنذاك وكانت بداية حقبة جديدة . ولنبدأ بالآراء
المخالفة التي تؤكد أن التاريخ البيزنطي ما هو إلا استمرار أو واجهة
جديدة لتاريخ روما وأن امبراطورية أغسطس لم تنته الا على يد
محمد الفاتح ١٤٥٣ م (١٥) .

تدوراد جيبون ١٧٣٧-١٧٩٤ م - في كتابه سقوط الامبراطورية
رومانية يعرض لتاريخ الامبراطورية الرومانية منذ أغسطس التي
سقوط القسطنطينية مع ذكر لتاريخ جميع الشعوب الهندية والمتبريد
التي كانت تقع على حدود الامبراطورية ثم يتعرض للإسلام وعلاقة
الدولة الاسلامية بمرحلة وقيام الامبراطورية الرومانية المتجددة
ويذكر جيبون أنه في حوالي ثلاثة عشر قرناً توطعت سلسلة من الثورات
دعائم العظمة الانسانية ونفت في النهاية عليها . وهو يعتقد أن
الامبراطورية بدأت تدخل فترة الاضمحلال والانحيار بعد عصر
الأنطونيين ويعتبر أن أفضل فترات التاريخ البيزنطي هي الفترة بين
دومتيان ٩٦ م وكومودوس ١٩٢ م بعدد ما بدأت الامبراطورية في
الاضمحلال والانحيار وان انحطت تحت اسياسية توطتها سلسلة
من الثورات تتمثل في ثلاث فترات الأولى منذ القرن الثالث بتعرضها

Hussey : op. cit. P. ٩.

(١٢) -

(١٤) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها -
ص ٣٠ - ٣١.

Murray : The Autobiography, of Edward Gibbon P. 148.

لنزوات البرابرة التي انتهت في القرن السادس بفقدان الغرب
والفترة الثانية ذات عهد جستنيان وانتهت بتولية شارلمان على الغرب
٨٠٠م والفترة الثالثة تشمل ستة قرون تبدأ بالامبراطورية الغربية ويذكر
جيبون أن مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث بدأت عواصف
جديدة تظهر تعطل لتاريخ الامبراطورية طابع جديد متمثل في الأزمات
الاقتصادية والسياسية الجرمية التي دفعت بالباطرة الى الاتجاه
الى الشرق لبدء عاصمة جديدة وما ارتبط به من إنشاء نظام جديد
للإدارة المدنية والعسكرية . ولكن اختلافنا معه في نقطة أساسية
فانه لا يمكن أن يبدأ الاضمحلال في القرن الثالث وتستمر مدينته
قسطنطين الى عام (١٥) .

أما الأستاذ بيوري فيرى أن الامبراطورية الرومانية استمرت
من عهد أغسطس الى عهد قسطنطين الحادي عشر ويرفض استعمال
لفظ بيزنطى الا عند تناوله الحضارة ولكن يتجاهل بيوري بذلك التطور
التاريخي بل انه في كتابه The later Roman Empire نجده يدهش
هذا الرأي بشواهد غذكر أن حكم قسطنطين أوجد عهدا جديدا
في جميع المظاهر أكثر من عهد أغسطس مؤسس الامبراطورية ،
والفوضى التي حدثت في القرن الثالث أظهرت أن أيام الامبراطورية
معدودة ، وظهر القصور وعدم النظام أو الاستقرار في النظام لدى
أقامه أغسطس لإدارة أملاك الامبراطورية وأصدر مرسومه منحت
هنا وهناك ولكن الأعداد كانت ضئيلة في معظم أكثر مركزية وأكثر
وحدة وتدين الدولة لدقلديانوس بانقاذها بإيجاده لنظام جديد وأداة
جديدة . وطور قسطنطين ما بدأه دقلديانوس بوسائل أكثر حسما

وأبعد نظرا وتأسس القسطنطينية كروما وقبوله المسيحية فدين للدولة (١٦) وأكد الانقسام بين الشرق والعرب بين الاعريق واللاتين الذى أكدته الأحداث فيما بعد على تاريخ أوروبا المقرب ويحاول بيورى أن يثبت بعد ذلك أن نتائج سياسة قسطنطين ظهرت فى عهد ثيودسيوس قفى هذه اتخذت الامبراطورية مظهرا جديدا غيذكر أن نتائج الأعمال الهامة التى اتخذها قسطنطين ظهرت فى هذا العهد فنظام الحكم الجديد أصبح محكما واتضحت تفصيله . الكنيسة أصبحت مؤسسة ذات كيان متميز لا يستطيع أحد معارضتها . القسطنطينية التى أنشأت على غرار روما أصبحت قوية وأعدت للدور الخطير الذى ستلعبه سواء فى أوروبا أو آسيا الصغرى لمدة ألف عام ويذكر أنه رغم انقسام الامبراطورية الى غسمن شرقى وغربى تحت حكم اثنين من الأباطرة والذى استمر ٨٥ سنة فإنه لا يعتبر انفصالا ولكنه كان فى اطار امبراطورية موحدة (١٧) أن من سمات تلك الفترة تغزو الجرمانى وتداول ولايات الغرب الى ممالك نوكتية ، فشاهد القرن الرابع استقرار الشعوب الجرمانية كعاهدين مرتبطين بالخدمة العسكرية فى الأراضى الرومانية فى شبه جزيرة البلقان والنال . نما كتبه بيورى يثبت أن دولة جديدة ظهرت لها مميزات وخصائص وعلاقات خارجية وعقيدة تختلف كل الاختلاف عن امبراطورية أغسطس الرومانية اللاتينية .

أما ارنولد توينبى يرى أن الامبراطورية الرومانية انتهت خلال القرن السادس وأن ما وجد فى ما بعد ذلك هو شبح تلك الامبراطورية ويرى أنه فى القرن السابع بدأت امبراطورية جديدة حين اتجه ليو الثالث الى آسيا ليكون أسرة جديدة وهى التى ستصمدى للدولة

Bury : The Later Roman Empire Vol. I. P. VII. (١٦)

Baynes : op. cit. introduction , Hussey op. cit. P: 9: (١٧)

الإسلامية وتكون الحاجز أمام المسلمين (١٨) • يؤيد البعض هذه
 الفكرة على أساس أن عهد الامبراطورية لولاياتها الشرقية وإيجاد
 نظام عربي جديد جعل للدولة طابعا خاصا (١٩) والأستاذ أرنولد توينبي
 يعتمد على أن القرون الثلاث الأولى في التاريخ البيزنطي كان التأثير
 اللاتيني واضحا حتى أسماء البعض : إمبراطورية رومانية متأخرة
 أو فترة بيزنطية مبكرة والدولة بدأت تكتسب طابعا يونانيا خالصا في
 نظامها وإدارتها وحياتها وتمدنها ابتداء من القرن السادس •
 ولكن لو أخذنا بهذا نتجهد في القرون الثلاث الأولى التي وضعت أسس
 هذه التأثيرات هذا نتاج لما تم على يد قسطنطين وخلفائه في القرون
 السابقة التي كانت مرحلة تكوينية (٢٠) ونورمان بينز في كتابه
 Byzantium an introduction to East Roman Empire يرى أن
 إصلاحات دقلديانوس وقسطنطين كانت نقطة تحول جذرية
 في تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط ولكن في نفس الوقت يرى
 أن الإمبراطورية الرومانية لم تنتهي ولكن تطورت في عهد قسطنطين
 باتخاذها علامة جديدة وعقيدة جديدة وإيجاد تقاليد لاتينية في وسط
 عالم يوناني •

والأستاذ Hussey تفضل استعمال تعبير بيزنطة في كتابها
 The Byzantine World ليس من المبرر له بما أن تسمى الفترة
 الأولى في التاريخ البيزنطي متأخرة أو بيزنطية مبكرة فتلك
 الفترة التكوينية التي بدأها قسطنطين أهم ما يميزها طابعها الشرقي

Baynes : op. cit. introduction.

(١٨)

Brehier : Vie et Mort. de Byzance P. XII

Charles Diehl : Byzance, Grandeur et Décadence P. 16 (١٩)

يرى مندلای أن التاريخ البيزنطي يستمد من إيوانيسوري إلى
 سقوط القسطنطينية على يد اللاتين ١٠٥٤ هي الفترة اليونانية
 الخالصة .

١٢٠ نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ص ٤٠

وحضارتها الاغريقية . وهي ترى أن النعيم ليس في الاطناء الخارجى
للإمبراطورية أو طبيعة الحضارة بقدر ما يكون فى جوهرها استيقظ
فباتخاذ اقسطنطين على شاطئ البسفور عاصمة أصبحت دولة
شرقية وجاء الاهتمام بالتشوى على حساب الغرب الذى سقط فى أيدي
الغزاة الجرمان ونذكر أن بيورى رغم استعماله لفظ رومانية فانه
لا يستطيع أن ينكر حلة الدولة القوية بالمأخى الاغريقى اليونانى .

أما DuCang . جعلنا ننظر للحضارة البيزنطية نظرة أكثر فعالية
ويؤكد شخصيتها المميزة فى انجازاتها الرئيسية وما أثرته على المناطق
المجاورة ونلاحظ أن عددا كبيرا من المؤرخين المحدثين حرر نفسه من
تفسير جايون عن سقوط الإمبراطورية واضمحلالها الذى رأى فى تاريخ
بيزنطية مجرد مظهر أو صورة أخرى من التاريخ الرومانى .
فكل من Ostrogorsky Vasiliev . Brehier رأى أن هناك دولة
ذات خصائص مميزة ظهرت فى القرن الرابع ولقد ذكر
Ostrogorsky أن الإمبراطورية البيزنطية هى نتاج الحضارة الهلينية
والتراث الرومانى والعقيدة المسيحية التى اتحدت فى القرن الرابع
وفى كتابه دراسة شاملة لتطور الدراسات البيزنطية ورأى
أن الغرب لم يكن له أن يتصل بالتراث الحضارى اليونانى الا عن طريق
حضارة بيزنطة فالغرب لكى يصل لمنابع الحضارة البيزنطية وجب عليه
الرجوع الى الدارسين البيزنطيين أمثال Bassanon (John Anguipolius
Manuel , Chryolonas .

Baynes : op. cit introduction.

(٢١)

Hussey : op. cit. P. 9.

Ostrogorsky : op. cit. P. 22.

(٢٢)

ورسمان يرى أن غير تسمية الحضارة الاغريقية الرومانية
التي كانت بطابع الشرقى هي بيزنطية فخلال الأحد عشر قرنا التي
عاشها انقسمت ازمية حداثه نظورات وتعديلات جذرية (١٢٢) .

ومن استعراض آراء المؤرخين ننتج - أن هناك اجماع بين
المؤرخين سواء من استقراء غير سرطورية رومانية أو من استعمال
دولة بيزنطية - أنه في القرن الرابع الميلادي بدأت حقبة جديدة
في تاريخ العالم . وكنت ايدانا بأن السمات والمعالم المميزة للعالم
القديم سعيده وحضارته بل وحدوده السياسية بدأت تختفى لتحل
محلها معالم جديدة : وميلاد الدولة البيزنطية في القرن الرابع
يعتبر أهم مظاهر هذا التغير ، وهذا يدفعنا لمعرفة مميزات تلك الفترة
البيزنطية وأوجه الاختلاف انسياسي والحضارى التي وضعت أسس
عالم العصور الوسطى فيما بعد .

الفصل الثاني

مميزات الفترة البيزنطية

لأن للدولة البيزنطية طابعها الخاص الذي ميز روما الجديدة انقسطيينه عن روما القديمة في جميع المظاهر ، فقسطنطين أوجد أساس امبراطوريه جديدة باعترافه بالمسيحية ونقله العاصمة الى الشرق ولقد استتبع هذا تغيرات جذرية اثرت على مفاهيم العالم القديم السياسية والحضارية أيضا فلا نستطيع ان نفصل بين خلا انجنيين كما يفعل بيوري فمن التقائهما تكون ما يطق عليه ادوله البيزنطية ، وجعلنا ندخل حقبة تاريخية جديدة فامبراطوريه الرومانية كانت حضارتها لاتينية الطابع وثنية العقيدة ونحن باتجاهها للشرق أصبحت امبراطوريه شرقية الطابع هلينيه الحضارة يحكمها امبراطور يستمد تفويضه من الله وتتركز في يديه السلطات العسكرية والمدنية حين تنازل له الشعب عن حقوقه وأصبح هو مصدر التشريع كذلك شهدت هذه الفترة تغيرات في النظام الاداري والحربي والنظام الاقتصادي والبناء الاجتماعي (١) .

وترتب على الاعتراف بالمسيحية قيام المؤسسة الكنسية ككيان أساسي في تاريخ بيزنطة والعالم وأدى هذا الى نوعية جديدة من العلاقة بين الكنيسة والدولة وان كانت قد اختلفت في انجزء الشرقي عنه في الغرب ولقد عبور تأثير كنيسة مجردين والسياسة الى مجال الفن والأدب والتعليم وأكسب تاريخ بيزنطة السياسي والحضاري طابعا خاصا ولذلك نستطيع ان نقول ان أهم سمات الفترة البيزنطية

Ostrogorky · op. cit. p. 28

Foord · The Byzantine Empire P. 10.

Lehner · Vie. et. Mort de Byzance p. VII.

تتمثل في الناحية الشرقية للإمبراطورية ثم نظام الحكم وما يشمل من
 منسوبة العناصر والسياسات والنظام الإداري والقانون ، ثم دور الكنيسة
 ومؤسساتها من الدولة والدور الذي أطلعت به سياسيا وحضاريا .
 الطابع الغربي للإمبراطورية :

بحداد يجمع المؤرخون على أن رئيسة الحضارة البيزنطية فتذكر
 Hussey أن بيزنطة إمبراطورية مستشرقة ، غدت كان لاتصالاتها
 الخارجية المتعددة مع جيرانها الشرقيين تأثيرا على الحضارة التي
 تشربت عناصر شرقية واضحة في الفن والأدب والتعليم واللاهوت
 ونظم الحكم ومراسيم البلاط .

ورغم أن الحضارة البيزنطية كانت متاج امتزاج التراث الروماني
 بالحضارة الهلينية بالنظرية المسيحية (٢) وأن تلك العناصر امتزجت
 ما خلال اقرون الثلاث الأولى التي يسمي فترة تكوينية لتظهر الحضارة
 البيزنطية. وهي حضارة يونانية الأصل مسيحية المظهر فلتند تلب
 الجانب الشرقي ووسم تلك الحضارة بسمات بارزة ورغم أن التأثير
 الروماني ترك بصماته في بعض المعالم الحضارية كالقانون والنظم
 العسكرية والمالية ولكن انتهى التأثير الروماني مع بداية الفترة
 البيزنطية الأولى في القرن السادس يترك المجال للشرق اليوناني .
 والإمبراطورية الرومانية في أوج قوتها في عهد أغسطس وخلفائه لم
 تستطع أن تجبر الولايات الشرقية على تغير لغتها وحضارتها
 الهلينية (٣) وحين انتقل قسطنطين إلى الشرق لم يترك تلك الحضارة

Hussey : op. cit. P. 9.

Ostrogorsky op. cit. P. 27.

Vasiliev : op. cit. P. 29.

٢١ بورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ص ٢٠٦

Marshall : Byzantium P. 221. 223.

Vasiliev op. cit. 269 Hussey : op. cit. P. 198.

بعد موألت وانها كانت استمرارا للحمارة اليونانية فتمس هناك غاصل حضارى ورعم محاولات دغنديانوس لتجميع لغة العرب فان اللسان الاغريقى ظل يحتفظ بمكانته . ومن مدن الاسكندرية وآسيا الصغرى وأناضلكية استمدت بربطة .روائعها . فالحضارة البيزنطية لها جذور عميقة فى الماضى وعلى الواجهة لحضارة الاسكندرية . فالاسكندرية مدينة الهيلينة الرئيسية فى القرن الثالث قبل الميلاد سلطت مكانها الى بيزنطة فى القرن الرابع الميلادى بل يبالغ البعض أن ما حدث مجرد تغير فى مركز الحضارة الهلنكية ولكن هذا يجافى الواقع فانه ينسى دور المسيحية والكنيسة .

ولقد تأثرت الكنيسة وأثرت فى تلك الحضارة فقد استفادت النظرية المسيحية وصورت نفسها عن طريق اتعال العقل الاغريقى بالميتافيزقية التى أوجدها بول مؤسس اللاهوت ومؤلفات أباء الكنيسة كاثناسيوس باسيل واللاهوتين جريجورس Nyssa وجريجورس Nazianzus تأثرت بالنظريات اليونانية لأرسطو وأفلاطون والأفلاطونية الجديدة(٤) ووضعوا ما تعلموه فى البلاغة من السوفسطائيين والوثنيين فى خدمة المسيحية فاعلم ان الفكرىان اليونانى والمسيحى عاشا جذبا الى جنب فى اطار الحضارة البيزنطية فامتزجت الثقافة اليونانية بالعقيدة وان كان رجال الدين المسيحى فى القرن التاسع بدأوا يرفضون الفكر اليونانى وخاصة الفلاسفة اليونانية وهنا انتهت فترة الابداع فى اللاهوت . ومع ذلك ظل البيزنطيون يدروسون أرسطاطاليس وأفلاطون ويضعون النماذج النبوية كأسس لنعفسهم وغنوتهم وآدابهم واذا

(٤) بينز : الامبراطورية الرومانية البيزنطية ٢٠٨

Marshall : op. cit. P. 220.

Hussey : op. cit. 158.

Dodds : 'Theurgy and its relationship to neoplatonism' journal.

Rom. stud. P. 55;

كانت المسيحية قد تأثرت بالآخر " ودامى غانبا أثرت أيضا فمضد القرن السادس بدأ الطابع المسيحي يسيطر على نوعية الفنون والآداب وبدأت تتخذ مظهرا مسيحيا وتنبذ الأخيلة اليونانية والنماذج اليونانية في النحت، الرسم ، الشعر ، الأدب بل أن الكنيسة جعلت الفنان يتجه الى موضوعات معينة يتناولها فقد مثل حثايف في الشعر العاطفى وتركز في الجانب الدينى والمؤلفات التى تتناول فضائل الكنيسة وحياة القديسين وترتب على فترة الصراع الايقونى استئغال عدد كبير من الرهبان بكتابة الحوليات التاريخية وان لم تكن ذات فائدة كبرى اما المؤلفات البيزنطية ذات القيمة التاريخية John Malala, Procopius, Leo Diaconus, Nicetas Acominatus ومؤلفات اناكومنين قد استخدمت كنموذج لها الكتابات اليونانية والمنهج اليونانى (٥) .

وهذا يدفعنا لنقطة هامة وهى ان البعض يرى ان الحضارة البيزنطية حضارة غير خلقة لمؤلفاتها مجموعة متادة ولا تكون انتاج ادبى أو فنى ذا وزن ، وان الأعمال الفعلية قليلة ونادرة ، ورغم أنهم ورثة الحضارتين الرومانية واليونانية . وان البيزنطيين لم يدوا اهتماما بتعلم البيان وكان كل اهتمامهم بدراسة شئون الرومى الذى ظل أساس نظامهم التشريعى . فى حين صا نسى نظامها التعليمى يعتمد على الدراسات الاغريقية وصلت الفلسفة الاغريقية المثال الذى يحتذى لعدد كبير من أدبائها وشعرائها . وان اهتمام أوروبا بالدراسات البيزنطية فيما بعد لمجرد انها تحوى الدراسات والآداب اليونانية القديمة ، وان ما تقدمه العقل البيزنطى كان مجرد شروح فكان الحضارة

Baynes : Byzantium Essay by F. H. Marshall 224. (٥)

Bury : op. cit. P. 323.

Vasiliev : op. cit. P. 61.

Ostrogorsky : op. cit. 29.

البيزنطية هي مجرد ناقل للتراث اليوناني وان لم يكن هذا فعلا
 في بعض المجالات الأدبية كالشعر واللغة . وان كانت شعور
 تقديما في بعض المجالات كالفنون ورغم أنه يستمر ، وانروح
 المسيحية والابتكار كان في مجال الفنون الصغرى واعتادت بعض
 فنونها للإصالة كالنقش المعاج وعلم الزخارف والفلسفة والمباني (٦) .
 ربما يرجع هذا إلى القيود التي فرضتها الكنيسة في الفترة المسيحية
 الأولى فالكثيرة رغم ستاعتها في الفترة الأولى بالنظريات اليونانية
 في وضع لاهوتها غدت انحكت في الفترة الثانية سيطرتها على
 الموضوعات التي يتناولها الأدب والفن فاستبعد الشعر الغنائي الذي
 يتناول عواطف الحب المتبادل بين الرجل والمرأة التي تلاحم الدينية ؛
 وبعد تبع الأدب البيزنطي من مصدرين أصحاب المثل العليا من الرهبان
 والراهبات وأفكارهم عن العالم الآخر ثانيا رجال البلاط والدولة
 والليزره وريشال "أدب" . وأصبح الأدب الذي يتناول العواطف
 الإنسانية غير لائق . أما الأدب الشعبي البيزنطي فقد أصبح تنويرا
 للفنص اليونانية كحصر طروادة وأعمال الاسكندر وأصبحت نموذجاً
 للبحال المسيحي ؛ وعلم اللاهوت كرس الصراع مع روما على تقرير
 العقيدة . فالأديب البيزنطي انفق وقته في شروح وتعليقات وأصبح
 الشغل أهم من المضمون ولم تعد لديهم رغبة في التعمق في أسرار
 الطبيعة وخاصة بعد تحريم الكنيسة الرجوع للدراسات الفلسفية
 القديمة حتى أصبح ينظر لمن يدرس أرسطو بمن لا يرتياح ولكن
 إذا لم تكن بيزنطة قدمت الكثير في مجال الحق والادع . ولم تستطع

Marshall : Byzantium P. 225

Bussey : op. cit. 160

Otto Demus : Byzantine Mosaic Decoration P. 4.

مجاراة أسلافها اليونان فإن الفضل يعود لها في حفظ التراث اليوناني واللاتيني (٧) .

نلاحظ مع تقدم الوقت أن الامبراطورية بدأت تكتسب طابعا شرقيا وابتعدت عن الغرب ونقد اكتسبت بيزنطة ذلك الطابع نتيجة مؤثرات عديدة أولا وجود عصمتها في وسط يوناني حيث ما زالت حضارة اليونان حية في مجاورتها للولايات الشرقية للامبراطورية الهلينستية في مصر وانطاكية وآسيا الصغرى ثم التأثير الفارسي وتضيف الاسناد Hussey أن هناك تأثيرات آشورية وبابلية وعبرية ومصرية اتمتها الحضارة الهلينستية ونقلتها إلى بيزنطة (٨) .

التأثير الفارسي :

رغم أن الدولة الفارسية تمثل أخطر أعداء بيزنطة وقيل أن من أسباب اتجاه قسطنطين إلى الشرق مواجهة الخطر الفارسي ، فإن هذا لم يمنع من وجود اتصالات سلمية بل وتسرب تأثيرات فارسية إلى الحضارة البيزنطية . وقد أخذت بيزنطة الكثير من عرس فيما يتعلق بنظم الحكم وخاصة سلطة الامبراطورية وتقنين العرش ومراسيم البلاط والاحتفالات التي أخذت نمودجا لها تقاليد الاحتفال في قسطنطين ومنها أخذت أوروبا فيما بعد أنظمت الاحتفال في الدول الأوروبية ، وأصبح شخص الامبراطور مقدسا تشبها بملك الملوك الذي

(٧) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢١٢

Hussey : op. cit. 153.

Bury : op. cit. P. 4.

(٨)

Hussey : op. cit. P. 9

Bury : op. cit. 11.

يستمد سلطانه من الله ومن يتقدس في حضرته عليهم ان يركعوا
ويقبلوا رداءه الارجواني ، وأصبحت النقود تحمل من القرن الرابع
لقب *Dominus Noster* ، أصبحت عملة الامبراطور بسبعة علاء بين
سيد وعبيده واتخذ لقب *Despot* للدلالة على الامبراطور منذ عهد
تسلاطين الى نهاية الامبراطورية وقد تناحى انحاكم البيزنطي انه
بعض آهوا . ولكنه تشبه بالثرس ، فالشعب الخاضع للباسانيين
كان ينحدر الى ملكة ثلوث كانه .

ولقد تسربت الى الحبش كثير من التتالييد النحرية الفارسية
فيذكر فازليف ان نظام الفعور الذي اوجده مرغل مأخوذ عن الأنظمة
الفارسية زمن كسرى انوشروان (٩) ثم التأثير الفارسي في العمارة وهو
احدى اثرس اساس طور مرغل العمارة البيزنطية فالموضوعات التي
تناوبها والزخارف ثم نظام التبق واستعمال المرمر والايوان
واستعمال المينا والفسفاه كلها ذات اصل فارسي وفي ميدان العلوم
والرياضيات انتقلت العديد من العلوم عن طريق طرابزون التي كانت
على صلة بفارس (١٠) .

التاثير اليوناني الهليني :

كانت الحضارة الهلينية اساسا للحضارة البيزنطية فقيام
القسطنطينية في وسط يوناني جعلها تتجه بحضارتها وجهة شرعية
وخاصة ان فنون وحضارة وآداب العالم اليوناني مازالت قائمة
في مدن مصر وسوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان واللغة السائدة
هي اليونانية وحضارتها يونانية هيلينية ولم تغلج جهود الرومان في

Bury : op. cit. P. 14.

Ostrogorsky : op. cit. 30.

Vasiliv : op. cit. P. 228.

Hussey : op. cit. P. 149.

(٩)

(١٠)

وتحويلهم الى اللغة والحضارة اللاتينية . ولقد أخذت القسطنطينية عن الشرق اليونانى اللغة والأدب والملاهوت بل والعقيدة عاتسيحية نفسها وجدت فى الشرق (١٠) وكان لمفكرى الاسكندرية كلمنت Origen تأثيرهم على النظرية المسيحية ويعود الفضل لخصر فى ايجاد نظام التنسك والديرية حيث بدأت الديرية فى مصر فى القرن الثالث وبداية الرابع على يد القديس انطون والقديس باخوم ثم انتقلت لبيزنطة والغرب منذ القرن السادس . وبعد انتهاء فترة الانتقال أصبحت اليونانية لغة الدولة الرسمية والحضارة بيزنطية شرقية حتى لقب الامبراطور تظلى عنه وحمل الامبراطور لقب باسيلئوس اليونانى وهذا يدفعنا لدراسة التأثير الشرقى فى الحضارة البيزنطية فى جميع مظاهرها حتى نستطيع التعرف لجذور تلك الحضارة (١١) فنجد التأثير اليونانى يبدو واضحاً بل هو جوهر الدراسات الأدبية التاريخية واللغوية والفنون البيزنطية .

أولاً - التعليم :

رغم أن البيزنطيين كان ينعتون أنفسهم بالرومان فإن اعتمادهم الأساسى كان على اللغة والدراسات الاغريقية فكان الاعتماد فى التعليم على الكتابات اليونانية كوميروس وديموستين هيروقتس سقراط ولقد رفض Libanius فى القرن الرابع تعمد اللاتينية ووصفها بالبربرية وكانت جامعة أثينا فى القرن الرابع من مراكز العلمية الهامة ولقد ذهب اليها القديس باسل Gregory Nazianus مع معاصريهم الوثنى جوايان ورغم ان التعليم يتعارض مع النظريات

Hussey : op. cit. P. 146.
Marshall : Byzantium 323.

المسيحية لارتكابه للأذاب اليونانية الوثنية فان القديس باسسل نصح بتعلم الحضارة الاغريقية دون الاعتقاد بما تتضمنه . وكان بجاذب مدرسة أثينا العديد من المدارس في انطاكية والاسكندرية وبيروت . ولقد شجع الامبراطور قسطنطين دراسة اليونانية وقام ثيودوسيوس الثاني ٤٢٥ م. باقامة عشر كراسي لليونانية واضطر جسيينيان لأن يجعل دراسيمه Constitution ترجمت يونانية حتى يفهمها الشعب ورغم اعتناق جامعة أثينا في عهد جسيينيان ومقوط الاسكندرية وبيروت وانطاكية في ايدي العرب (١٢) لكن التنايد الهلينية حملتها القسطنطينية واصبحت اهم مركز اغريقي الى ١٢٠٤ م ونقد استمرت كتب فيثاغورث وزينون تدرس ولم يقدم المعلمون البيزنطيون غالبا الا سروحا . حتى قال يوحنا الدمشقي : « انه لن يقول شيئا من بنات افكاره غليس هناك أصالة (١٣) » . وقد غادرن بعض المدارس التعليم البيزنطي باغريقي « فقال ان الرغبة في الدراسة من طابع الاغريق منذ انعمصور القديمة وهذا جعل الاغريق يحتفظون بطابعهم وجنسياتهم على مر العصور » ولقد انتشرت المدارس في بيزنطة فيقوميديا وكبادوكيا وساردس وبرجامة . وقد سبقت تلك المدارس تدرس اليونانية حتى القرن الحادي عشر وكانت الانباطونية واللاتينية الحديثة من المناهج المقررة على الطلبة وفي عهد آل باليولوجي استعادت مدرسة الفلسفة تحت حكم ميخائيل باليوجس وضعها وكان يدرس بها أرسطاطنيس (١٤) - ولا يغرتنا أن نذكر اللغة المستعملة كانت اليونانية ولقد فضل البيزنطيون التخاطب بها ولكن كانت هناك عبوة بين اللغة

Marshall, Byzantium

(١٢)

(١٣) نورمان ميتز : الامبراطورية البيزنطية ص ١١٠

Vasiliev op. cit. op. 6. Ostrogorsky : op. 69.

(١٤)

Hussey : op. cit. P 146

المكتوبة الانيكية Koine استخدمته في الكلام ولقد حاول الاساتذة
الأول أمثال غريغوريوس وبيانسوس معالجة هذا الامر .

الفلسفة :

اعتمد اللاهوت المسيحي في وضع نظريته على الفلسفة اليونانية
واستخدام آباء الكنيسة في كبدوكيا الفلسفة الافلاطونية المحدثة
أمثال Gregory Nazianus Gregory Nysse وحوالي عام ٥٠٠ م
أصدر مؤلف مجهول مجموعة Corpus Dionysiey ولقد أخذ هذا
المؤلف اسم Dionysius Areopagite واستعار كثيرا من
أعمال Proclus في كتبه على الفلسفة الأفلاطونية ، وقد أصبحت
الأفلاطونية الحديثة جزءا من منهج الكنيسة الشرقية، ويوحنا ألامسقي
في كتابه Fountain of Knowledge أعتمد على منهج أرسطاطاليس .
وفي القرن السادس أدخل ليونتيوس تحديدات أرسطو في التفكير
المسيحي ونلاحظ أن العداء للفلسفة اليونانية بدأ منذ القرن الخامس
وأصبح ينظر اليها بعين الريبة لأنها كانت موضوعات ترفض الكنيسة
ان ينتجه النظر اليها رغم استعمالها للفلسفة في شرح نصوصها
ومع ذلك استعمالها تاكلت ميسر الناس حراع حول اسئلة اخوتوتبية
ولقد أعلق جستين مدرسة الفلسفة في أثينا ٥٢٩ م وحين أعساد
ميخائيل باليولوجس مدرسة الفلسفة في القرن الثالث عشر منع
تدريس أفلاطون (١٥) . ومع ذلك فلقظ ظل الناس يدرسونه ، وان كان
انتاج بيزنطة في ميدان الفلسفة مجموعة شروح على غلسفات افلاطون

Georgina Buckler : Byzantine Education P. 211.

(١٥)

Marshall : op. cit. P. 227.

Hussey : op. cit. 148.

Karl Bleterich : Helenism in Asia Minor P. 44.

وأرسطو وبروكليس فالتقلد البيزنطى مهم بالإنسانيت والأدب أكثر من اهتمامه بانفلسفه ولكن اللاموت ثان عظيم الاستفاده من العقل اليونانى ولقد قامت مدرسة فلسفية مسيحية فى الاسكندرية كان من زعمائها كلمنت Origen وان كان نظر الى آرائه فيما بعد على أنها متعرجة (١٦) .

الأدب :

كان الأدب البيزنطى نسخة مقلدة من الأدب الهلنى وان لم يعمل الى مستواه فى الخلق والابداع فلم يفتح الأدب البيزنطى دوفكليس أو ارستوفانيز آخر . وذلك فى ميدان الشعر لا يوجد الا عمل أو عملان هلمان فى القرن السابع مثل مؤلفات جورج Pisidia عن هومر . والنبغى مجموعات دينية . وكان الأديب البيزنطى يهتم بالشكل الكلاسيكى . غرضه الأول الحفاظ على التقاليد اليونانية دون مضمونها فكان ينقصه الأصالة . ولقد مر الأدب البيزنطى بمراحل كان لكل منها طابعه الخاص أولاها تمتد من القرن الرابع الى السابع من قسطنطين الى هيركل وعمرى انتقل الى الحضارة المسيحية حيث خلقت النماذج التى اثبتتها الأدب المتأخرون وبعد هذه الفترة شهدت نهاية المجد الاغريقى وبدأ سيطرة نفوذ الكنيسة فى الأدب فافتقره الأولى كانت امتداد للأدب اليونانية (١٧) . فاذا نظرت لفروع الأدب المختلفة لا نجد عملاً أدبياً ذا قيمة عالية . ففى ميدان القصة كان هناك عمل

Marshall . op cit. 226

(١٦)

Hussey op. cit. 149.

(١٧) استشهدت قصصان سقراطى الفيلسوف ترجمت من السريانية فى القرن الثانى عشر . وشدة سقراطىنى والكلاسيكى ترجمت عن العربية والأصل فى كليهما قصة هندية .
رائسمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٠١

فردى واحد له شهرة وهي نحة Barlam a. joasoph وان كانت
من أصل هندي وعلى حياة بوذا اتخذت قالباً مسيحياً ولقد كتبها
الراهب حنا في دير St Sabos في منتصف القرن السابع .

ولقد ظهر في هذا العصر الأدب الذي يتناول السير الشخصية
وحصة آباء الكنيسة كثيرة اغديس انطوان التي كتبها اثناسيوس (١٨)،
وازدهر هذا الفن في القرن السادس والسابع في أعمال كيرس
Scythopolis ، Leontius Neapolis وخلال السيرة الذاتية
للشخص صوروا البيئة والحياة السائدة ، واتخذ كتابها كنهوذجاً
لها سير الأبطال القدماء كالاسكندر وأخيل وهناك عدد من القصص
الأدبية اتخذت من الشخص الاغريقية القديمة نموذجاً بعد ان أعطتها
الطابع والأسماء المسيحية . ولقد انتشرت هذه على نطاق
واسع في أرمينيا وبين السلاف .

وبالنسبة للشعر فإن النماذج البيزنطية الأولى اتبعت الأوزان
والأخيلة اليونانية ولقد كانت أكثر بصوت شعورية
الوثنية التي اتخذت في الاغريقي مؤلفات عديدة في ثلثي
في القرن الخامس وأصبحت المؤلفات الشعرية تعتمد على النماذج
الكلاسيكية اليونانية وان صيغت في قالب مسيحي ومن أبرز مؤلفات
أشعار وترانيم Synasius في القرن الرابع وخمس ميلادي
وكان وثنيا ثم أصبح أسقف مسيحياً وعلى نموذج الشعر الاغريقي
أعطى الكنيسة الاغريقية بعضاً من ترانيمها المسيحية الأولى وعلى نفس

Neale : Hymns of the Eastern church introduction. (١٨)
Palladius hieronymus the book of paradise trans E. A. W.
Budge vol Ip 8-12.

النسق كانت مؤلفات جورج نازانيوس وكان أشهر الشعراء اللاهوتيين رومانوس Prodes . ولقد شاعت الفترة من ٦٥٠ م توقفاً في النشاط الأدبي لانشغال الامبراطورية بالصراع مع العرب والسلاف والبلغار فانصرف الناس من العلم للسيف وفي عصر الصراع على الأيقونات تركت المؤلفات في الموضوعات الدينية ومع ذلك ظل الأدب البيزنطي يعود الى التراث الكلاسيكي .

التاريخ :

كان التاريخ هو المجال الوحيد من بين جميع المجالات الأدبية التي بدت فيها منذرة المؤرخ البيزنطي ورغم تأثر المذونات التاريخية وفكرة كتابة التاريخ بموضوع خلاص المسيح ، ورغم استعمالهم نماذج Xenophen Thucydides وهيرودوت فان المؤلفات التاريخية البيزنطية بدت ذات منح متميز (١٩) . وكان الاعتماد بكتابة التاريخ يرجع لنا أحاط ببيزنطة من ظروف دفع غثات الشعب المختلفة لاهتمام بما يدور حولهم وخاصة أن العاصمة كانت في حالة تهديد مستمر من شعوب مختلفة كالفرس والعرب والسلاف ولقد انقسم مؤرخو التاريخ قسمين قسم كتب تواريخ ذات قيمة تاريخية وهؤلاء من طبقات اجتماعية مميزة . اتخذوا نماذجاً لهم المؤلفات الاغريقية القديمة في تاريخ ١٣٠٠ . وتواريخ حديثة من السجل على الشعب تفهمها قام بها رهبان أنصاف متعلمين ومن الأمثلة "لأوني يوركيوس تركوبيوس انا كومنين قسطنطين بورغورجيتوس (٢١) ويعد تركوبيوس من أشهر مؤرخي بيزنطة عاصر فترة حكم جستنيان وألف كتابين عن جستنيان ثم كتاب ثالث

(١٩) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٢٥

Marshall : Byzantine Literature P. 228.

(٢٠)

Hussey : op. Cit. P. 44.

(٢١) رنسان : الحضارة البيزنطية ص ٢٨٢

Constantin VII de administrando trans jenkins

ظهر بعد وفاته وهو Secret History الذي كان هجاء في
جستينيان وزوجته ثيودورا ، وأتبع نموذجا هيروت Thucydides
في منهجه ، وأما أنا كوميث ابنه الكسيوس كوميث فقد ذكرت ما افادته
من الآداب الاغريقية القديمة في مقدمته كتبها Alexiad .
» لقد حصلت من خلال دراستي لآداب الاغريقية التي وصلت الى
درجة عظيمة على المعرفة - - - - - نفي قرنتها من خلال آداب وأعمال
أرسطو وحوار الفلاسفة (٢٢) .

أما مؤرخي تاريخ العالم من رجال الأديرة فلقد أفادوا في البداية
من الاغريق فوجد في كتابات John malalas يبدو تأثره ببعض
الفلسفات الاغريقية حيث كانت الاغريقية مازالت تدرس فلسفة
وتاريخيا وأدبا وكذلك في تواريخ كل من جورج الراهب الذي عرف
باسم Hamartolus وعاش زمن ميخائيل الثالث ٨٤٢ - ٧٦٠ م وألف
عدة تواريخ تبدأ من آدم الى عهد الامبراطور ثيوفيل . وحننا Zonaras
الذي عاش في منتصف القرن الحادي عشر وأكمل تاريخ الراهب .
وكان رجلا ذو ثقافة واسعة ولقد خدم الامبراطورية
ثم نفى الى دير في إحدى جزر الأهماء وألف Epixome of Histories
وتاريخه هذا بدأه ببداية الخلق وتسمى به تعوية حنا كوميث
١١١٨ م ولقد استمد من المصادر الاغريقية القديمة فدرس هيروت
أكرنفون Josephus, Dio Cassius ثم المصادر الأحدث كبروكسيوس
وجورج الراهب فأسلوبه متطور ولكن الشكل والمضمون خضعا
لتأثير المصادر الكلاسيكية وبذلك نرى أن المصدر اليونانية وكتابات
المؤرخين اليونان تأثر بها جميع مؤرخي ذلك العصر واتخذوها
نموذجا (٢٣) .

Annâ Comnena : Alexiad. Trans E.A.S Daves. (٢٢)
Georgina Buckler : Byzantine Education P. 200-220
Georgina Buckler - op. cit.. p 219.

الفن البيزنطى :

يبدو الأثر الشرقى أكثر وضوحا فى الفن البيزنطى منه فى أى مجال حضارى آخر ، رغم ان المشاهد للأثار الحضارية والمعمارية يلاحظ فرقا واضحا بين البارثانيون فى الاكربول وكنيسة أياصوفيا فى القسطنطينية والفرق بين وجه أبولو المنحوت وبين المزاىكو المسبحة وهذا الاختلاف يوضح الفرق بين بيزنطة والعالم القديم (٢) . ومع ذلك فان الفن البيزنطى كان ذا أصل شرقى ولقد مرت به قرون ليكتسب طابعه المميز ذاك ويتخذ الفن البيزنطى شكلا وهيئة جديدة (٢٤) .

ونقد استمد الفن البيزنطى من مصدرين أساسين أولهما المدن الهيلستية فى اسكندرية وأنطاكية وأفسوس (٢٥) . والثانى الحضارة الإنسانية وبالنسبة للمصدر الأول استمرت الموضوعات الوثنية المستمدة من الأساطير وتأثر الفن البيزنطى بوجوده فى وسط عالم يونانى بروائع الفن الهلينستى فى الخزفة والتلوين وأصبحت بيزنطة مدرسة الفن الكلاسيكى . فتلقت فن الاسكندرية فى زخارف اشجار الكرم وأوراق الاكانثوس ومشاهد الألعاب الوثنية والحيوانات (٢٦) وسخر النحت الهلنى لخدمة المسيحية ، وفى ميدان العمارة بدأ الأثر الهلنى واضحا فى مزاىكو وفرييسكو القرن الرابع والخامس ، وشاع

Karl Dietrich : Hellenism in Asia Minor p. 30. (٢٤)

Hussey : op. cit p. 145.

Hussey : op. cit p. 156. (٢٥)

Brehier : Civilisation Byzantine p. 30.

Grabar : Byzantine Painting

Enc. of the Arts. Dagobert. (٢٦)

Diehl : Byzantium p. 171.

Hussey : op. cit p 157

الطراز السكندري فى بناء المنازل وكنيسة أيا صوفيا قام بتشيدها مهندسان من آسيا الصغرى هما ابتميوس وابيسدور، وشهرة اليونان فى العمارة تعود الى العصور القديمة فقد أمر أحد القادة بحرس غواده قبل أن يخوض أحد المعارك مع اليونان والآخرى تحالفين أن يأسروا أكبر عدد ممكن منهم كي يستخدموهم فى عمارة القصور . وفى عصر آل كومنين بدأ تأثير مصور القديمة واضحا بتصويرهم أساطير اليونان القديمة حول آجيل والاسكندر . والاهتمام بتصوير الأشخاص، ولكن نحدوا مواضيع مسيحية ولقد احتفظ البيزنطيون بما فى التراث الهليني من زخرفة مع الفخامة الرومانية .

والمصدر الثانى كان ميراث التقاليد الشرقية من الايرانيين الساسانيين ، والذي وصل الى اليونان ، وبعث للحياة خلال مصر وسوريا والعراق وأرمينية وخرذ التأثير الاغريقى ، والمسيحية لكرهما للوثنية حاولت أن تقطع صلتها بالميراث الكلاسيكى وقررت أن تتعلم من الشرق (٢٧) .

فالفن البيزنطى كان نتاج لاتحاد العنصرين الشرقى الساسانى ما يونانى وان كان رسمان ذكر أن للفن الآرامى تأثير كبير فى القرن الرابع على بيزنطة فهو تجسيد للألم الانسانى ونتاج المذهب الانطباعى impressionism (٢٨) الذى بدأ تأثيره فى الفن البيزنطى . وأضاف البعض أن الفن البيزنطى تأثر بروما فى استخدامه جنى وفخامتها حيث سخر الفن لخدمة الحاكم وعدا يبدو فى قوسى نصر قسطنطين وفى كنيسة *sant vitale* ولكن التأثير الأكبر كان للهلينية والساسانيين .

(٢٧) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٢١

(٢٨) رسمان : الحضارة البيزنطية ص ٢١١

وبعد الاعتراف بالمسيحية ظهر هذا العدد الكبير من الكنائس
وظهرت البازليكا الهلينية الى جانب السليكا الشرقية الموجودة فى
العراق وأخذ من ايران استعمال القبايق التى نجدها فى الآثار
الفارسية فى سلوكيا تحملها دعائم شرقية والوية اغريقية الطابع
وتزينها رسوم شرقية لطيور وطواويس ، ومن فارس استعملوا
الرخام الملون والمينا الارابيسك والوان الاروقة كلها كانت ذات طابع
شرقى ساسانى .

ولقد تأثر الفن الساسانى بالمذاهب التى ظهرت فى ايران
كثنددية فظهر عن رمزى لنماذج لعلها جاءت من تركستان وهذه
أثرت بدورها فى الفن البيزنطى . فالفن البيزنطى أخذ من المسيحية
أفكارها ومواضيعها ومن الفن الاسكندرى زينه وزخارفه ومن التقاليد
الكلاسيكية جمال التصميم ووضوح المعالجة .

وحين أنشأ قسطنطين عاصمته على ضفاف البسفور ظلت المراكز
الفنية الأولى فى القرن الثالث والرابع فى الاسكندرية وأنطاكية
أوغسبوس وعبد القسطنطينية دورا ثانويا . ففنون العمارة والزخرفة
وروائع الفن الهلنى كانت ومازالت قائمة فى كنائس أرمينيا وآسيا
الصفرى والاسكندرية ولكن قسطنطين نقل روائع تلك الأماكن الى
عاصمته فهناك تمثال أبولو المصنوع من البرونز الذى نقله من أثينا
أو من أحد مدن غريشيا الى الجانب العديد من الآثار اليونانية ولقد
بدأ الطراز الشرقى واضحا فى عمارة وزخارف تلك الفترة كنموذج
كنيسة العذراء فى سالونيك وكنيسة Saint Sergus

وعدد كبير من الأبنية جرى تخطيطها على أساس اغريقى بل أن
تخطيط الكنيسة على شكل صليب يرجع الى أصل اغريقى أو ربما
أرمنى (٢٩) .

ويبدو تأثير مدرسة الاسكندرية واضحا فى التصوير فالتصوير المسيحى للقصص التاريخية نجد فيه نفس الثنائية التى نجدها فى مقابر اخميم وانهون ولقد جمع فن التصوير البيزنطى من المدرستين اليونانية والفارسية (٣٠) . فبدأ الفن السكندرى واضحا فى أشكال الوجوه والمناظر الطبيعية كالارض ونبات الاكانثوس والألعاب الوثنية ثم الفن الفارسى الذى يبدو واضحا فى حرق تكويناته . رسومة كالظواويس ومظهر الفرسان والصيادين وسائقى عربات وكانت جميعها نرقية الألوان . ولقد ساهم النحت نفس التأثيرات الشرقية وأفضل مثال لذلك عرش الأسقف مكسيميان فى رافنا الذى يعود الى القرن السادس ومثلت فيه حياة المسيح ويوحنا المعمدان وغلبت الهلينية فى الصور الصغيرة وفى المخطوطات المحلاة بالصور وفى النسيجاء (٣١) .

ولقد استمرت بيزنطية تعيش على التراث الشرقى الى القرن السادس فى عهد جستنيان حيث ولد فن معمارى بيزنطى وتركوا المواضيع التى تناولتها مدرسة الاسكندرية وتناولوا موضوعات مسيحية بخته فيها تجديد واصالة وبدأ تمثيل صور الانجيل وهذا الفن البيزنطى بدأ واضحا فى كنيسة اياصوفيا ورغم أن الفن البيزنطى اعتمد أساسا على التأثيرات الشرقية فان فن القرن السادس بدأ طابعه متميزا .

ولكن فى القرن الثامن والتاسع مع ظهور المشكك الايقونية كان من الطبيعى أن يرفض الأباطرة من مدمرى الصور الايقونية الفن

Diehl : Byzantium p. 112.

(٣٠)

Hussey : op. cit. p. 159.

(٣١) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٢٢

البيزنطى الدينى المتمثل فى تجسيد الشخصيات الدينية ويعودوا الى مدرسة الاسكندرية حيث ملئوا المساحات التى دمروها بالاشجار والمناظر وانتصارات الامبراطور والزخارف . وان كان الفن الدينى البيزنطى لم يختفى بل ظهر بالمقابل فى الديره فن ديرى وأن كان هو الآخر قد أخذ تأثيرا شرقيا من انطاكية مثال كنيسة القديس لوقافى فوكيس (٢٢) ومن القرن التاسع الى القرن الثانى عشر كانت النهضة الثانية للفن البيزنطى ولم تعد أشكال الناس جامدة بل أخذت أوضاع رشيقة ومع ذلك غاب الروح الهلينية وان دمرت غانها لم تمت فصورها الفكرية كانت متأصل فى دم الاغريقى فتجد مؤثرات هلينية ابان القرن الثانى عشر وان كان ينقصها القوة والوحدة . مع الفتح اللاتينى توقفت أعمال المدارس الفنية وعاد الفن الهلنى مع آل باليولوجس (٢٣) وكان هذه المرة ممتزجا بالفن الدينى أيضا ويبدو هذا فى كنيسة Chora فى القسطنطينية وعند القرن الثالث عشر ظهرت مدارس محلية هى المقدونية والكريتية الذى يبدو فيها أثر الشرق واضحا وظلت الى سقوط الامبراطورية فى القرن الخامس (٢٤) . وبذلك يتضح أن الشرق سواء كان يونانيا هلينيا أو فارسيا كان له أكبر الأثر على فنون بيزنطة وادابها تشرشته حضارة بيزنطة وظل حيا تاركا بصماته الى سقوط الامبراطورية فى القرن الخامس عشر .

Diehl : Byzantium p 166 — 220.

(٢٢)

Hussey : op. cit 163.

Otto Demus : Byzantine Mosaic p1.

Hussey op cit p 163.

(٢٣)

Otto De mus : Byzantine Mosaic p4.

Diehl : Byzantium p 198.

(٢٤)

Hussey : op cit 165.

نظام الحكم :

كان استمرار الدولة البيزنطية لأحد عشر قرنا يعود لما تميز به دستورها ونظامها الإداري ولقدرتها في الحفاظ عليها . ولقد امتاز الحكم البيزنطي بالاولوقراطية الامبراطورية والمركزية السياسية والحكومة البيروقراطية . ولكن أهم سماته كان الاولوقراطية المتمثلة في سلطات الامبراطور المطلقة والتي جعلت روما القديمة بسننها الجمهورية ومجلس اسناتو . ومجالسها التشريعية لا تتفق وفكرة الامبراطورية الشرقية عن السيادة الملكية (٣٤) .

سلطة الامبراطور وظهور الاولوقراطية :

يرجع الى عدة أسباب منها حالة عدم الاستقرار ونشوب الحروب الأهلية المستمرة نتيجة للاضطرابات الداخلية التي حدثت في القرن الثالث والصراع على العرش وما تنبعه من مشاكل وما تعرضت له الامبراطورية من ضغوط خارجية من أعداء على حدودها لم يتبحروا لها الا فرصا نادرة للسلام وهذا دفع بالشعب لوضع ثمة في الامبراطور الذي تركزت في يده جميع السلطات في كل فرع من فروع الحياة وأحكمت البيروقراطية سيطرتها على ادارات الدولة وسخرت جميعا كأدوات لخدمة الامبراطور الذي أمتد سلطانه الى التشريع والقانون والادارة والجيش وأصبح كل أمر في الدولة مرده اليه (٣٦) . وفقدت الهيئات التشريعية والادارية القديمة سلطانها فلم يعد للسناتو بجانب الامبراطور المؤله الذي لم تكن تستطيع نفوذ أن تعزله الى قوة الثورة والتمرد وأصبح الباطرة المستبددين عقبا انبيا

Wilhelm Ensslin : Byzantium p 268.

(٣٥)

Vasiliev : op cit p 5.

(٣٦) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٥

Camb : Medieval History Voll. p 26.

بينز . الامبراطورية البيزنطية ص ٧٤ .

للشعب لا يمكن دفعه الا بثورة ناجحة والفئة الوحيدة التى مرست
نوعا من الضغط على الامبراطور وادواته السياسية كانت الاحزاب
البيزنطية التى اعطت لنفسها حق الانتقاد والثورة وان كان امرها
قد بدأ يضمحل مع بداية القرن السادس وتم تصبح هناك قوة تستطيع
مواجهة سلطان الامبراطور المطلق الا الجيش وقواده .

ولقد كان هذا النظام فى جوهره ميراثا من الماضى الرومانى
فبيزنطية مرتبطة مع المسمى Imperium Romanum واعتبر الاباطرة
انفسهم خائساء القياصرة الرومان ، فغشول الامبراطور من المواطن
الأول الى ملك مفرد مؤله وانما اختلف الوضع فى الامبراطورية
الرومانية المسيحية عنها فى الامبراطورية الوثنية .

ولقد كان هذا النظام فى جوهره ميراثا من الماضى الرومانى
قد انتهت وبدأ عدم التجانس فى النظام الذى اقامه اغسطس لادارة
دولته ، رغم محاولات ادخال تحسينات عليه . وقد اثبتت الأيام أن هناك
نظاما أكثر مركزية وأكثر اصلاحا أصبحت الحاجة اليه ملحة وبذلك
انتهت الجمهورية قبل نهاية الثالث . أوربيان القرن بدأ كمك لاكمواطن
ودقلديانوس وقد ضطئ انتقال الدولة من مرحلة الجمهورية الى
الاتوقراطية ، وصاحب ذلك اصلاحات منفرغة وانعكس حافظ على
الاستمرار مع الماضى بالمحافظة على الاملااح الجمهورية فى حين
أن قسطنطين وخلفائه أقاموا دولة على أساس جديد تركزت السلطة
الميا فى يد الامبراطور ولم تأت الاتوقراطية بتغيرات أساسية
حتى فى المظهر العام لـ الامبراطورية . فقد ظل انتخاب الامبراطور
الى القرن الخامس عشر خضع للانتخاب الذى يتم عن طريق
الجيش والسناو والنسب . ومنذ البداية كان Princeps قد أخذ

(٢٧١)

Wilhelm Ensslin Byzantium p 268.

Camb. Med hist Vol 1p 24.

(٢٨١) بينر : الامبراطورية البيزنطية ص ٧٤

على عاتق قيساده الجيش والاشراف على الولايات التي كانت في
 حاحه لحمايه عسكريه . وما عدا ذلك احتفظ حكام الجمهوريه
 مشغولهم العديمه ورغم ان أغسطس قد سمى انى جعل السناتو شريكا
 له فى الحكم فان هذا نم يستطيع القيام بدور ايجبى وبدأ هذا
 واضحا خلال عهد تيبيريوس وكلوديوس ولقد أبعد جاليانوس
 اعضاء مجلس الشيوخ عن الجيش وأغصاهم دقلديانوس عن ادارة
 الولايات (٣٩) ومنذ عهد دقلديانوس ومع زيادة الطابع الشرقى للامبراطورية
 أصبح لقب الإمبراطور Autocrator (٤٠) ويرجع البعض هذا التأثير
 لأصول شرقية ذكر جيون « اعتر الرومان اعترازا كريما بالسلطة الفعلية
 وتركوا لغرور الشرق مجال التماهى والظهور بمظهر العظمة . ولكنهم
 فقدوا حتى مجرد صور الفصائل التي نبتت من حريتهم القديمة .
 وتلوث بطرق غير ملحوظة بساطة سلوكهم بالابهة المصطنعة فى بلاد
 آسيا ، فان امتيازات الكفاية الشخصية تلك التي تبرز فى آبه
 جمهورية على حين انها قد تكون حقيقه غامضة فى آبه ملكية . غد
 قضى عليها استبداد الأباطرة الذين استبدوا . لا انا عتيا لكل ذى
 مكانة أو منصب : من العيد الذين أضعف عليهم الالفب ووضعوا
 على عتبة العرش (٤١) ولقد غدوا الساسانيين باحاطة أنفسهم بهالة
 من الجلال ونقل دقلديانوس عن الفرس كثيرا من مراسيم وثياهم
 الرسمية وأخذ يعيش منعزلا فى بلاطه بعيدا عن شعبه . وكان يقوم
 الخصيان على خدمته ومن يلقاه ينطرح على الأرض ويقبل رداءه

Diehl : Byzance, Grandeur et Decadence p 22. (٣٩)

Wilhelm Ensslin Byzantium p 268.

Bury : op cit p 12.

Camb. Med. Hist Vol. p 26. (٤٠)

Vasiliev : op cit p 64.

(٤١) جيون : اضجلائ الامبراطورية ص ٧٥

الارجواني وأصبحت نقوذة تحل من القرن الرابع Dominus Noster . فاهم التقاليد الشرقية التي تأثر بها العرش الامبراطورى هي فكرة الامبراطور المؤلة . وبدأ كان التقاليد الهلينية بعثت من جديد .
 منذ عهد الامبراطورية الرومانية الاول أخذ الامير أو princeps الذى حمل لقب أغسطس يشعر برفعته على البشر وكان اختيار اكتافىوس لقب أغسطس مرتبط ارتباطاً شديداً بلقب الألوهية ، فاذا مات الامبراطور زالت عنه كل عناصر البشرية ولقد وصف أغسطس نفسه Divifius وهذا انتهى مع نهاية عهد julio-claudius ولكن مع حكم أورليان عادت النظرية الانمية (٤٢) .

والاعتراف بالمسيحية لم يكن من الممكن أن يظل الامبراطور مؤلهاً فزالَت صفة التآلية لتحل محلها صفة التقديس كما قال القديس Ambrose فأصبح ممثل الله على الأرض فكما هناك آله واحد فبذلك امبراطور واحد ساطة لا يحدث شيئاً (٤٢) قال يوزبيوس أن المسيحية رفعت وميزت الامبراطورية الأرضية وان الله منحه سلطات الامبراطور كما جعل بطرس رئيس ارمسل لنفع شعبه الوفى (٤٤)، ولقد أحيط باحتفالات دينية وهى مرتبطة بالطقوس الكنائسية القديمة . وكتاب قسطنطين السابع بروفجنتيوس فى القرن العاشر Book of ceremonies يوضح الصلة بين الامبراطور البيزنطى والمسيح . وأن الاحتفالات تستمد قيمتها من الامبراطور لأن الطبيعة

(٤٢) جيون اسمدلال الامبراطورية الرومانية ص ٧٥

Camb med. Hist. Vol. I p 26.

Bury : op. cit. p 16.

(٤٣) جيون : سقوط الامبراطورية ج ١ ص ٥٧

Hussey : op cit p 86.

Wilhelm Ensslin op cit p 207.

Vasile op p 68.

Eusebius : Vita Constantini trans heikel

(٤٤)

الامبراطورية تعكس التوافق الالهي ان الخالق منح العالم
الامبراطور البيزنطي حيث اعتبره خليفة الثلاث عشر قديسا (٤٥) .
ولقب الامبراطور القديم Emperor Augustus أصبح Autokrator
Augustus وفي ٨٦٢٩ بعد هزيمة الفرس على يد هرقل سمي الامبراطور
Basileus وهي كلمة اغريقية تعني الملك وهي تقابل اللقب
الروماني Rex ولكن في القرن الرابع بدأ اللقب الاغريقي يستعمل
لالامبراطور والمك الفارسي أما Rex فأصبح يستعمل للحكام البرابرة
أما الأباطرة فاستعملوا في القرن السابع في مراسيمهم وقراراتهم
لقب Auto crator وان كان الأباطرة البيزنطيين بعد تنصيب شارلمان
امبراطور على الغرب حملوا لقب Basileus Romanum وظلت
النقود الى اقرن الثامن تحمل تعبيرات وأساطير لاتينية وأول عملة
حملت نقش يوناني كانت تحمل Despot Basileus واستعمال كلمة Despot
كانت تعني تغيرا هاما في العلاقة بين الحاكم والشعب اذ أنها تعني
صلة بين سيد وعبيده (٤٦) . وأصبح على اتباع الامبراطور ان يخاطبونه
بعبودك ويذكر جستنيان في قانونه الخلفي سلطان الحاكم
lex de Imperio أن الشعب نزل بسلطته لامبراطور . والخصود
بالاوتوقراطية الحكم المطلق لتسديد الفرد الذي يقبض على زمام
جميع السلطات سواء كانت تشريعية أو قضائية ادارية حربية
أو ما يتعلق بالمقيدة على حد سواء وتنازل الشعب له عن حقوقه
بكامل رغبته وهو رئيس الكنيسة وحامي الدين ومع ذلك فان ارتقاء
الامبراطور العرش ظل يخضع للانتخاب طوال تاريخ الامبراطورية وهو
ميراث من روما القديمة فيقوم الجيش والسناتو بعرض مرشح

Constantine parphyrogenitus : op. cit p45. (٤٥)

Hussey : op. cit p 86.

Bréhier : Les Origines des Titres p 16.

(٤٦) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٧٨

وغالبا يتولى هذا السناتو الذى كان فى هذا الوقت مكون من مجموعة من كبار الموظفين ، وكان من حق الجيش ترشيح من يرى فيه الاعلى وعادة الذى يشترك فى هذا الاحتفال الفرق المقيمة فى العاصمة بعد موافقة السناتر والجيش ولا يصبح التنصيب شرعا الا عن طريق تأكيد الشعب فى احتفال عام فى Hippodrome ومذ عام ٥٧٠ م اشترك البطريرك فى تتويج الامبراطور عن طريق تتويج بالتاج وان كان هذا ليس شرطا أساسيا (٤٧) ، وفى القرن السابع أصبح التتويج فى كنيسة القديسة صوفيا وان كان البطريرك لا يعتبر ممثلا للكنيسة وانما ممثلا للناسحين فدور البطريرك كان شكليا باعتباره الامبراطور مستمدا سلطانه من الله (٤٨) . فالأوتوقراطية كجانه مدحه وشخص المثل مقدس وفى القرن السابع أصبح البطريرك بمسح الامبراطور بالزيت دليل على القداسة .

لكن تلك الاجراءات كانت تعتبر اجراءات شكلية اذ أن الأوتوقراط بما له من سلطات مطلقة قد طبق مبدأ الوراثة فى العرش وأصبحت تلك الهيئات ما عليها الا اعلان موافقتها الرسمية ، وهذا البداية اعتبر أمر وراثه نعتى أصبح حقا معترفا به للامبراطور وأصبح من المعتاد أن يشرك الحاكم الفائز معه جميعته تسر توليه غيما بعد وكان لابد للناسخين أن يعانوا موافقتهم الرسمية بالاحتفال به وبهذه الوسيلة أكد أغسطس ستيفن تتبريوس وفيسبميان تيتوس فمن الطبيعى أن يحاول الامبراطور الاحتفاظ بالعرش لابنائهم فان لم يكن له أبناء فلاقاربه ، ومع نهاية القرن الرابع أصبح من المعروفة أن يمنح الامبراطور النقب لأكبر أبنائه (٤٩) ، ولم يكن السناتو يمارس سلطته

Brighaman : Byzantine Coronation Genesmoie Jour (٤٧)
nal of Theological Studies Vol. 2 p 383.

Ecloga trans Freshfield p 66. (٤٨)

(٤٩) رنسلان : الحضارة البيزنطية ص ٦٧
Brehier : Civilisation Byzantine p30.

إلا في فترة الفراغ والفترة التي تعقب نهاية فترة وبداية أخرى كان
 يمارس السناو سلطانه . وكان الشريك الامبراطوري يتمتع بميزات
 الشرف ويظهر اسمه في الوثائق ولكن لا يشارك في الحكم الفعلي
 إلا اذا منحه الامبراطور بعض السلطات ، فصاحب السلطة
 المطلقة كان الك Basileus أما الآخرون فهم شركاء خاملون ، فاذا
 ما توفي الامبراطور خلفه شريكه في السلطة بصورة آلية . وتقسم
 الامبراطورية قسمان كان جزء حيوى في نظام دقلديانوس ، ويتعلق
 بالتقسيم الجغرافي للامبراطورية ، ولقد استمر الى ٤٨٠ م يحكم
 الامبراطورية اثنين أو أكثر فيما نفس الحقوق وان اختلفوا في مدى
 سلطات كل منهم وأحيانا الامبراطور الأكبر يختار الأصغر وأحيانا
 يذهب مستقلا ويعترف به الأكبر (٥٠) . ولمدة طويلة كان احكامان
 مشتركين وان كان الأصغر لا يمارس أى سلطة فعنية فالطفل اركاديوس
 ظل لمدة تسع سنين مشاركا للامبراطور فالتين ، وكان يقال له
 الامبراطور الثانى ، وفي القرن الخامس عند تقسيم الامبراطورية
 انتهى أمر الامبراطور المشارك (٥١) ، وعاد الامبراطور يختار ابنه ليكون
 أغسطس ، فاذا توفي الامبراطور قبل ذلك فان الجيش والسناو
 يقومان بانتخابه والامبراطور انذى ليس له اولاد ذكور ممكن أن
 يأمن العرش لزوج ابنته ، ولكن في حالة وفاته المفاجأة يمنح
 القيصر الذى ولاء الامبراطور العرش ، واذا كان للامبراطور أكثر
 من ابن يمنح لقب قيصر لأصغر الأبناء وفي حالة وفاة الامبراطور
 المشارك يرفع القيصر الى أغسطس كما فعل ثيوديسيوس مع ابنه

Wilehlem Ensslin : Byzantium p 286.

(٥٠)

Eury : op. cit p 61.

Contantine VII parphyrogenitus :

(٥١)

De Ceremoniis T. 38.

Camb. Med. Hist vol I p 51 - 54.

هنريوس واركاديوس ، ولكن هذا المقياس انتهى بوفاة امبراطور الغرب فالنتين الثاني (٥٢) . وكان كلا القسمين في الامبراطورية يختلف عن الآخر ويتناصبه العداء مما دفع بعدد كبير من الكتاب الى الحديث عنهم كقسمان مختلفان ولكن في الحقيقة كانت امبراطورية واحدة ويبدو هذا في أن الامبراطورين كان يصدران قراراتهما تحت اسم مشترك واذا اصدر أحدهم قانون كان يطبق في شطرى الامبراطورية واذا توفي أحدهم كان من حق الثاني يتولى حكم كل الامبراطورية الا أن يتولى خلف له وعليه أن يختار الامبراطور آخر ، وبعد سقوط بيت ثيودسيوس لم تعترف بيزنطة بحاكم الغرب وان كان من الشطرين بعد ذلك بدأ يتخذ اتجاه مخالف حتى أصبح كل قسم يعين قنصل خاص به ولا يعرض اختياره على الشطر الآخر (٥٢) .

واذا نظرنا لمبدأ وراثة العرش فليس للأبناء الذكور فقط حق الارث بل لزوج الابنة أو الأخت أن يلى العرش وانتخاب الزوج يعد تكلمة للأسرة : وتاريخ الامبراطورية الرومانية يمثل عدد من الأسرات ففي الفترة من ٢٩٥ - ٨٠٥ م حكمت خمس أسر كل خافت الأخرى بلا انقطاع ولا مشاكل فما عدا اثنين وليس هناك قانون يمنع المرأة من تولي العرش باسمها وفي القرن الثامن اعترف بالمرأة كامبراطور وكان البعض يرى أن العبا أقوى من احتمال النساء وان المرأه من الناحية النظرية لا يمكن أن تكون قسيسا ومن الناحية العملية لا يمكن تتولى قيادة الجيش . وكان في سبيل لم يكن هناك مانع قانوني تتولى قيادة الجيش (٢) ، ولكن في سوريا لم يكن هناك مانع قانوني يمنع النساء من تولي العرش ، وكانت الامبراطورة تلتب اغسطا

Bury : op. cit p 17.

(٥٢)

Brehier : Le civilisation Byzantine p 181.

Camb : Med. Hist Vol I p 27.

(٥٢) رسمان : الحضارة البيزنطية ص ٦٧

وكان اللقب أحيانا لأخت الامبراطور كما فى حالة بوليكرىا شقيقه
 ثيودسيوس الثانى التى جمعت فى يدها سلطة Imperium وأختارت
 مرقيانوس ، وكان لقب أغسطس يمنحها سلطات سياسية ولقد منح
 فى القرن السابع لنبات الامبراطور ورغم أن بعض السيدات تولبن
 كحكام مشاركين وزاد سلطانهم عن الرجال ولكن سلطنتهم
 كانت de facto وليست de jure مثل بوليكرىا وبلاسيديا ومارتينا
 ولا يعتبرن حكاما منفردين ، وبعضهم حكم كأوصياء على أبناء واخوة
 وحكمت الامباطورة صوفيا نيابة عن جستين حين أصيب بالجنون ،
 ولكن كانت ايرين أول امرأة تتولى الحكم كامبراطور مستقلة . فغلب
 أغسطس السابق لا يحمل فى مضمونه وظيفة انبروقتمل والسلطات
 القانونية التى يحملها لا يمكن إضائها على امرأة وكذلك
 عارض الجيش تولى امرأة العرش ، ولكن الدستور كما ذكرت
 لم يمنح توليتها فإيرين حملت لقب باسيلوس . وفى ١٠٤٢ م تولت
 زوى وثيرودرا بناء على رغبة الشعب (٥٤) .

تتويج الامبراطور :

ارتدى قسطنطين التاج إشارة لسلطة الاوتوقراطية ومنحها
 طابع الملكية . وكان التاج والشب الارحمانية قد انتقلت لهم عن
 طريق الفرس ، وكان عند نصيبنا للنظرية الفارسية فكان الرئيس
 الدينى Magian . هو اذى يتوج الملوك . وفى البداية كان أحد
 الموظفين يقوم بتتويج الامبراطور فتوجه أولا والى المدينة .
 ولكن شعر الامبراطور بالخرج لتسلمه التاج من أحد
 موظفيه المدنيين الأجانب أن هذا الاجراء كان يثير الحقد بين
 القادة فتولى انبطريك منذ ٤٥٠ م تتويج الامبراطور ولكنه لم يكن

(٥٤)

Hussey : op. cit 86.

Camb : Med. Hist Vol. 1 p27.

Vasiliev : op. cit p 64.

Brehier : Les Origines des Titres p 161.

أساسيا بالنسبة للاوتقراطية فالامبراطور ميخائيل باليولوجس توجه رجل مدنى . فالتتويج عن طريق البطريرك لم يكن بصفته ممثرا للكنيسة بل وصفه ممثل للدولة . وتأييد الكنيسة لم يكن ضروريا لتأييد السلطة الملكية وكان الامبراطور اذا اختار شريكا للعرش غانه يقوم بتتويجه بصفته الامبراطور صاحب الحق ، ولا تعتمد سلطته على رضا البطريرك وان كان غالبية الاباطرة توجههم البطريرك . وفى حالة تتويج أغسطا أو أبناء للامبراطور كان الامبراطور يتولى التتويج بنفسه (٥٥) .

عزل الامبراطور :

وبما ان الامبراطور يستمد سلطته من الله فليس لى سلطة شعبية أو تشريعية معارضة . وأن ظل ظاهريا تولى العرش بالانتخاب : والناخبين نهم حق معارضة الامبراطور ، فالامبراطور اعتبر نفسه مفوض من قبل الله له العناية الالهية كما عهدت بطرس برعاية أتباع المسيح (٥٦) . وذكرت اسماء الاباطرة على شواهد القبور مقترنه بتعبير Sacerdotium وفى مجمع خلقدونية قيل عن مارقيان قسيس الله . وفى القرن التاسع قال باسيل لابنه انك تسلمت الامبراطورية من الله . وان كان ليو الأول شعر بأهميه الشعب حين ذكر فى أحد متجدداته « ان الله ورغبتمكم جعلتنى امبراطورا » (٥٧) .

Anna Comnena Alexiad p4.

Wilehelm Ensslin : Byzantium p 277.

Brightman : Byzantine Coronation Vol. 2 p 366.

Bury : op. lit. p 189.

(٥٦) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٨١ ، بينزا : الامبراطورية

البيزنطية ص ٨١ .

Ecolga : trans Freshfield p 66.

ولقد شعر الأباطرة بتفوقهم غلم يمنحوا لقب باسيليوس لاى من ملوك الغرب ولقد ذكر اسحاق انجليوس هرديرك بربروسا باسم Rex Alamannie فسلطة Imperum لا يمثلها الا الأباطرة البيزنطيين . فلم يكن هناك مجال لاتعبير عن عدم رضاء الشعب أو استياءه من الاوتقراط وسلطاته الا الثورة ورغم ان حق العزل متعلق بالانتخاب وفق الدستور ولكنه لم يدخل حيز التنفيذ أو التطبيق منذ عهد قسطنطين . وكما ذكر مومسن « كانت الحكومة الرومانية أوتوقراطية يخفف من حدتها حق اثورة المشروع ونفس المشرع يذكر أن الشعب الذى يرفع الأمير هو نفسه الذى يلتقى به(٥٨) . وكان الأباطرة المستبدون يعتبرون عقابا الهيا أنزل بالشعب، فحق الثورة أصبح مشروعا لعزل الامبراطور لكل من الشعب والجيش وكان على الفائز ان يحصل على تأييد الشعب والسناتور والجيش فاذا فشل نظر اليه كمغتصب خارج ، ولكن اذا نجح يذكر ان الله أضفى عليه العرش وحرمة من الامبراطور المارق ولقد لقي عدد من الأباطرة مصرعهم على يد ثورات . وتولى العرش ابنة ابنه على ارادة الشعب كثيودورا فى ١٠٥٢ م فالثورة الشعبية على التي تستطيع احدى من سلطه الامبراطور وبذلك أصبح حق الثورة مشروع(٥٩) .

وأذا استعرضنا ما يتمتع به الاوتقراط من سلطات نجد انها تتمثل فى احكام سيطرته على جميع اوجه الحياه فى الامبراطورية وتأكيد سلطانه ذلك كان يعتمد الى تسميل بين السلطة المختصة وجعل كل منها رقيقا على الآخر وعدم تركيز السلطة الادارية أو العسكرية فى يد

Wilehelm : Ensslin op. cit., P 277.

(٥٨)

Bury : op. cit, P 12.

Hussey : op. cit. P. 46.

Camb. Med. Hist Vol I P 27.

(٥٩)

واحدة وجعل نفوذ الامبراطورية يصل الى جميع ادارات وأجهزة الدولة بحيث لا يتاح لحاكم فرصه الاستقلال الى جانب تحيز الاقتصاد والتشريع لصالحه ثم سيطرته على الكنيسة ومنع تكوين اى مؤسسة مستقلة يصبح الامبراطور مسئولاً أمامها

مبالنسبة للنظام الادارى اصبحت الامبراطور على رأس كل شئ، على الدولة وقد ادخلت تعديلات على النظام الادارى لصالح الديموقراطية ووجدت بيروقراطية جديدة فى جميع تفاصيلها . وهدمها جملتها الاداره فى صورة معاله . ولقد بدأت أساسيات هذا النظام فى عهد دغديانوس وفسططين وكل ما أدخل عليها فيما بعد من تعديلات واصلاحات فى القرن السابع من نتائج الظروف وليس بحقيقا لنظريه معينه . فالضرب بحاربيه الممثلة فى الحروب المستمرة جعلت الدولة محتاجه دوماً لاعتماد على كل موارد ديموقراطية وتداولير وضبط هذه المصادر كان لابد من اقامه جهاز ديموقراطى للدفاع عن ديموقراطية . على جانب تكايف العرش خاصة (٦٠) . وخوف ديموقراطية من قيام انبورات نتيجة لاتحاد الشعب المدنية والديكتاتورية قديم دغديانوس بفصلهما عن بعضهما وافتقر هذا بانقاص حجم الولايات عامه حتى لا ينفرد القائد بالسلطة والحكم . وكان على قمة الجهاز الحكومى الامبراطور يليه موظفين مرتبين ترتيبا دقيقا وكان كبار الموظفين يتلقون الأوامر مباشرة من الامبراطور سواء ما يتعلق منها بالامور الداخلية لمدينه أو ما يتعلق بالملكات الامبراطورية .

وكان جميعهم مسئولون أمام الامبراطور . ولقد دخل تعديل على النظام الادارى فى القرن العاشر جعله أكثر سيطرته ومركزية (٦١) .

Bury : op. cit P 344.

(٦٠)

Ostrogorsky : op. cit P 26.

Baynes : Byzantium p 20.

(٦١)

حق التشريع :

كان الاوتوقراط يعتمد على أن سلطاته المطلقة لا يمكن أن
مؤسسة أو هيئة أن تعارضها ، فكان من الطبيعي أن يصبح هو
مصدر التشريع . وفى عهد أغسطس والاباطرة الرومان الأوائل كان
للإمبراطور حق اقتراح القوانين لا التشريع وكان الموافقة على
القوانين تمر عن طريق مجالس شعبية ، وبعد القرن الأول أصبح فى
يد السناتو حق التشريع ، فالإمبراطور يعطى تعليمات فى شكل
Oratio للسناتو وعليها أن تأخذ رأيه فى الاعتبار ثم
تقره *Senatus Consulta* بدراستها (٦٢) . وكان للإمبراطور حق
إصدار المراسيم والمنشورات ولكنها لا تعتبر قانونا ، وهى تمثل
صلة بين الحاكم والشعب . فالموضوعات الواردة فيها تتعلق بحياة
الناس وتحتوى على توصيات الإمبراطور الخاصة بالإدارة والوظائف
والمراسيم تطبق طوال حياة مشرعها ، ففوة إصدار القانون تخص
السناتو ، ومع تمام الامبراطورية البيزنطية لم يصبح للإمبراطور
البيزنطى حق التشريع فقط بل اعتبر نفسه المشرع الوحيد ، ولكن
اعتبر سلطته محددة بالقانون ، ولقد أصبح اجتوس السماس
جسيتين بمرعاة القانون ، وإن كان جسيتين اعتبر ان الله أرسله
كتانون للأرض ويعتبر هذا اقتباسا من النظرية الجينية (٦٣) ، وفى
أحد المراسيم لثيوديسيوس الثانى يذكر أن سلطته تعتمد على سلطة
القانون ، واحترام الإمبراطور لدور القانون هو أحد أسباب استمرار
الامبراطورية ، والشعب ، آخر فى الأمانة كمناء للقانون ضد

Hussey : op. cit., P 96.

Bury : op. cit., P 344.

Wilehelm Ensslin : Byzantium P 277.

Camb : Med. Hist Vol. 4.

الموظفين المرشحين ولم يكن السناتو يمثل سلطة تشريعية الا
فى الفترات التى كان يتولى امبراطور ضعيف .

وكان على الامبراطور عند تنويجه ان يقسم ان يحافظ
على قرارات المجمع الكنسية . جستين الاول وعد بان يحدث
بالعدل ويحمى المواطنين فى المجتمع ويتقضى على المنازعات فالأوتقراط
يعتبر حامى للمجتمع فى اطار العرف مع مراعاة عدم تعقيد القوانين
وأهم المجموعات القانونية تنسب الى كل من ثيودسيوس وجستيان
وهي تتناسب مع روح العصر وصدرت لتنظيم حياة الناس وعلاقاتهم
بالدولة . وهذه القوانين تمثل جزءا جوهريا من الدستور
الامبراطورى .

وكان الاوتقراط يتولى قيادة الجيش بنفسه وهو صاحب الراى
النهائى فى الحرب والسلام وتقرير الخطط الحربية . ولقد قتل
قسطنطين الحادى عشر وهو مدافع عن عاصمته ، وقاد بأسبل الثانى
، مذكيل الرابع الجيش بأنفسهم رغم اصرار البيئة الحاكمة على
بقائهم على العاصمة لئلا يعرضوا أنفسهم للخطر ، وكان لفظ
امبراطور يعنى فى مضمونه أيضا قائد الجيش ، وكان يميز الابطارة
كفائتهم فى قيادة الجيوش (٦٢) ، ولقد كان الجيش سلاح ذا حدين
فان الجيش بماله من قوة كان يستطيع ان يوقف بالعنف أية اجراءات
لا يرى تنفيذها اعتمادا منه على قوته بل ان الجيش هو الذى كان
يولى ويعزل الابطارة ولقد كانت مورييس اجباره جنده على قضاء
الشتاء فى مناطق باردة عرشه وحياته (٦٣) .

وكان من الطبيعي أن يحيط الامبراطور نفسه ببلاط فخم ذو مقائيد وطقوس وذلك استكمالاً لمظاهر الهيبة والسيطرة ولتأثير على اتباعه وعلى من جاوره من أمم وخاصة المتبربر منها وكتاب De Cermonils الذى ألفه قسطنطين بورغجنيوس أوضح تقاليد البلاط . تلك التقاليد لم يكن حق لالوتقراط نفسه أن يتجاوزها وذكر قسطنطين ان عظمة الامبراطورية تبدو فى غخامتها وفى احتفالتها وتأثيرها على شعبيها وعلى الأجانب (٦٤) .

وفى النهاية من الصعب أن نضع الالوتقراطية البيزنطية فى أى درجة من النظريات الحديثة ولا نستطيع مقارنتها بأى نظام آخر ، فتعتبر يوتوبيا فى آخر فترة انهيار للامبراطورية . فالالوتقراطية فى طبيعتها مناسبة لظروفها .

ورغم أن الالوتقراط كان يتمتع بسلطات مطلقة حتى أنه ألغى حق الهيئات التى كان من الممكن أن تضع نوعاً من الاشراف على سلطانه المطلق . فكما ذكرنا فإن السناتو ظل يحتفظ بحق المعارضة وان كان على نطاق ضيق فى الفترات التى يتولى فيها حكم ضعيف . ولكن الاحزاب البيزنطية هى الفئة الوحيدة التى مارس نوعاً من الضغط على سلطات الامبراطور وشر الالوتقراطية الى القرن السادس يقدر دور الذى تلعبه ويسعون لاستمالتها بشتى الوسائل أو على الأقل الحصول على تأييد أحدها ضد الأخرى (٦٥) .

السناتو :

كان من المفروض أن تحد من سلطات الالوتقراط عدد من الهيئات

Bury : op. cit P 12.

(٦٤)

Oman : History of the Art of war P 36.

Ostrogorsky : op. cit P 67.

(٦٥)

Vasiliev op. cit P 176.

ولكن الحقيقة أن الاوتقراط كان يجمع فى يده سلطات واسعة ، ورغم أن السناتو يعتبر شريك فى المسؤولية ولكن الحكم الثنائى Dyarchy قد انتهى (٦٦) ، وعند انشأ القسطنطينية قسم الامبراطور قسطنطين بانشاء سناتو متخذاً نموذجاً له سناتو روما ولكن فى الحقيقة كان أقرب الى سناتو المدن كائناكية أكثر من سناتو أغسطس وان كان قد احتفظ بعدد من تقاليده القديمة .

فقد كانت طبقة أعضاء السناتو وراثية بل اتخذت صفة الإجبار . أما الأعضاء الجدد الذين ينضمون خارج طبقة رجال السناتو بهم أما ساعلى الوظائف الكبرى praetorship (٦٧) وان كان أمرها بدأ يضمحل من القرن الرابع أو من questorship وهى الغالبة ، أو بمرسوم من السناتور أو الامبراطور وان كان قسطنطين فتح المجال أمام جميع المراكز الوظيفية (٦٨) .

ولقد حاول أغسطس منذ البداية إيجاد نوع من التوازن فى العلاقة التى بين principes والسناتو ولكنها فى التطبيق لم تتحقق فالمؤسسات التشريعية اضطلعت باللاتقراطية التى بدأت تثبت بنورها . تلك التطورات جعلت حكم أورلييس أكثر استبداداً ومركبة من حكم أغسطس رغم محاولات بعض الاباطرة فى القرن الثالث كسفرىوس الاسكندر إعادة صلاحيات السناتو الأولى وتأكيد سلطاته ولكنها كانت محاولات فردية لا تستطيع ان توقف الاتجاه العام نحو الاستبداد فقد أصبح السناتو واجهة ديمقراطية فى نظام استبدادى واتخذ الحكام سبيلهم لتغطية جرائمهم (٦٩) . ودغليانوس بتتظيماته

Wilhelm, Ensslin : Byzantium P 273. (٦٦)

Anna Comnena : the Alexiad trans Elizabeth p 14. (٦٧)

Bury : op. cit P 84. (٦٨)

(٦٩) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٧٨

وتمتصه بين السلطات والتركيز على الإدارات الامبراطورية وابعاده
بيروقراطية ادارية جرد السناتو من كل سلطان ادارى تجاه الولايات.
وأصبح هيئة دستورية تعبر عن آراء أغنى عناصر الدولة وأقواها .

ومع تلم النكم الاوتقراطى فى عهد قسطنطين فقد السناتو
فعاليته فبرغم اشتراكه فى انتخاب الامبراطور وما كان لاجزائه من
حقوق كفلها لهم القانون واكدما الامبراطور فالنتين الثالث فى
٢٤٦ م ومنهم حق مشاركة الامبراطور الرأى واكد جستينان حقوق
السناتو وكانت وظائف السناتو تنقسم قسمين : قسم يختص بالمجالس
الملكية والآخر بالامبراطورية ، وكان والى المدينة يعتبر كرئيس للسناتو
وهو الصلة بينه وبين الامبراطور وكان من المعروف أن أى قانون
قبل اصداره يجب أن يناقش فى السناتو وكذلك القرارات التشريعية
الهامة والخاصة بالسياسة العامة كان على الامبراطور الا يتخذها
منفردا وكذلك يجب أن يرجع اليه فى الخدمات المعطى ولكن هذا
نادرا ما كان يحدث (٧٠) .

وكان فى القسطنطينية مبنيان للسناتو واحد فى الجزء الشرقى
والآخر فى القسطنطينية وبدأ السناتو فى القرن السادس والسابع
يمارس نوعا من السلطة والنفوذ وخاصة فى الفترة التى يخلو فيها
العرش ويقوم السناتو بالوصاية على الامبراطور وتوجيه السياسة ،
وفى ٦١٤ م أرسلت بعثة الى فارس باسم السناتو لا الامبراطور
ايكون لها وزن أكبر مما لو كانت باسم هرقل وهذا يدلنا على ازدياد
سلطانه آنذاك (٧١) . ولقد ذكر الامبراطور قسطنطين المتحى فى خطاب
العرش الذى صاغه لاجزاء السناتو : أن مارتينا وهرقلوناس تم

Diehl : le Senat vol I P 201.

(٧٠)

Le Crivan : le Senat Romain P 15 - 23.

Hussey : op. cit. P 94.

(٧١)

Le Crivan : op. cit P 12.

عزلهم بمقتضى قرار السناتو الذى صدر بتأييد من الله لأن الشيوخ الذين اشتهروا بالتقوى والصلاح لم يستطيعوا ان يتفاوضوا عما يجرى فى امبراطورية الرومان من الظلم والاستبداد (٧٣) ، وبعد وفاة ليو السادس فى ٩١٢ م وبداية حكم قسطنطين السابع لعب السناتو دورا ايجابيا فى توجيه سياسة الدولة . ولكن خلال الاحدى عشر قرنا الذين عاشتهم بيزنطة عاش السناتو غالبيتها كمجلس استشارى وأصبح رجاله مجرد رجال يميزهم الشرف بلا سلطات فعلية ، وأصبح مستشارى الملك مجموعة من الرجال أحاطوا به وخضعوا لمشيئته أما الشيوخ فأصبحوا مجرد عدد من الرجال اشتهروا بالصلاح والتقوى ولم يستطيعوا الا أن يتفاوضوا عما يجرى فى امبراطورية الرومان من الظلم والاستبداد ، وكان الى جانب السناتو يوجد عدد من المجالس الامبراطورية التى تجتمع لمناقشة أمور الساعة مثل *consistorum* . فكان عليه أن يناقش الأمور القانونية والسياسية الهامة . وكان يرأسه الكوبستور وأصبح أهم أعمال المجالس فى الفترة البيزنطية استقبال وفود الولايات (٧٣) .

الاحزاب البيزنطية :

نعت الأحزاب البيزنطية دورا صغيرا فى تاريخ بيزنطة وكانت تمثل جبهة المعارضة الفعلية بالنسبة لسلطات المملوكة للحاكم . وهذه الاحزاب تعود بأصولها للعهد الجمهورى وفى البداية كانت لاغراض رياضية وقلدوا فرق السرك القديمة وأخذوا ألوانها واسمائها . وكانوا أربع ألوان رئيسية الابيض والاحمر والازرق والاخضر فاذا أراد أحد *Magistrat* اقامة احتفال فانه يدعو فرق

Zosimus : Historia Nova ed Mendelssohn.

(٧٢)

Ostrogovsky : op. cit P 102.

Camb : Med Hist vol I P 48.

Hussey : op. cit P 94.

(٧٣)

السرك للاستراكة فى السباق وكان كل طبقة من طبقات المجتمع ابتداء من الفرد العادى فى الشعب الى الامبراطور يؤيدون هذا أو ذاك من الفرق ولكن ابتداء من القرن الرابع بدأ طابعها يتميز واتخذت شكلا سياسيا ولإغراض لاتتعلق بالهيدروم Hippodrome (٧٤) ونظمت نفسها كفرق مدنية للدفاع عن المدينة أو للأعمال العامة ، واخذ اندمجا الأبيض والاحمر فاصبح هناك أخضر وأزرق فقط . وكان الإدارة انابهم : الهدين الحزبين تنقسم قسمين عسكرى ومدنى . فربق عسكرى peratics والأخرى فرقة مدنية تحت قيادة Demecrat وتسمى Politicals وكان عملهم الخدمة فى المدن كحراس والقيام باصلاح أسوار المدينة . وأعمال الشرطة الداخلية وقد نظموا أنفسهم فى demes وفى جميع المدن الامبراطورية لعب الأخضر والأزرق دورا خطيرا (٧٥) .

وعلى الرغم من أن كلا الفريقين يضم أفراد من جميع الطبقات فإن الزرق كانوا الفريق الارستقراطى والخضر يمثلون الطبقات الدنيا ولقد اعتاد الزرق أن يكون رؤسائهم من ملاكى الأرض ومن الرومان والاغريق من طبقة الارستقراطية ، من مؤيدى الارثوذكسية والخضر يفضلون المذهب المشرقية أو المونوفيزية وغالبيتهم من التجار والصناع وموظفى الإدارة المالية وبذلك ورثت روما الجديدة عن شقيقتها السرك والسباق ولكنها امتازت عنها بانها مؤسسات سياسية (٧٦) . فهذه المنظمات بديل عما كان يتمتع به العالم القديم

Ramnaud : Byz. Hippodrome p 87.

(٧٤)

Bury : op. cit P 84.

Friedlander : Roman life and Manners II, 27.

Ostrogorsky : op. cit P 84

Ramnaud : op. cit P 84.

(٧٥)

Friedlander : Roman life and Manners II. 27.

(٧٦)

من تقاليد الحرية ، وما كان فيه من المدن الحرة السياسية والاقتصادية .

ولقد أدى الصراع بين الحزبين إلى إثارة حروب داخلية مريعة ، وأُعيدت الاوتقراط في تثبيت سلطاته على ضرب كل فريق بالآخر ، ولكن تلك الأحزاب سلاح ذو حدين فإنها كانت دائمة الثورة على سلطات الحاكم المطلق بل كثيراً ما اتحدوا ضده ، واجتمعوا في السرك ومطالب أحدهما أو كلاهما بغزل الوزراء الذين اشتبهوا بالعسف بل عزل الامبراطور نفسه كما حدث في عهد جستنيان ، ولم يكن الاوتقراط بمثل الاستجابة لمطالبهم (٧٧) ، فكان الشعب أعطى نفسه نوعاً من الوصاية على الاوتقراط عن طريق احزابه وكان هذا تطبيقاً لنظرية ان الاوتقراط لا يعزله الا حق الثورة المشروع ، ولقد زاد نفوذ تلك الأحزاب وانتشر من العاصمة إلى المدن الامبراطورية ، واقتد ازدادت أهميتهم السياسية ابتداء من القرن الخامس وان كان صاحب ازدياد سلطانهم انتشار الفوضى ، فذكر جيبيون انه سادت في انقسطنطينية وانطاكية فوضى الديموقراطية دون ما يصاحبها من روح الحرية (٧٨) ، وأصبح التأييد الحزبي ضرورة لازمة لكل طلاب الوظائف المدنية .

ولقد انحاز ثيودوسيوس الثاني للخضر ومارقيان فضل الزرق وكذلك ليووزينون وكاد يكف ثيودوسيوس انصاره الخضر ومناصرته للمنوغزنية عرشه . فلقد حارب الزرق في ٥٢١ م وأحرقوا المبنى الحكومية . وكسروا تماثيل الامبراطور وقامت فتنة ضده اضطرت

Ostrogorsky ; op. cit P 62.

(٧٧)

Bury : op. cit P 86.

(٧٨) جيبيون : انحلال الامبراطورية ج ٢ ص ١١١

لتغيير سياسته (٧٩) . وجستيان كان متحمسا للارثوذكسية فانضم
اليه الزرق وكان راعى الحزب وراء الاضطرابات التى اثارها الزرق
واغزت السناقو وكل عواصم الشرق . فقاموا بأعمال السلب والنهب
بل قاموا بذبح أعدائهم من الخضر اعتمادا على التأييد الامبراطورى
والنتيجة ثورة الخضر على الامبراطور وعنوهم ورفضهم له وتسبب
هذا فى قتله نيقية التى كانت تنزع بالامبراطور للتخلي عن عرشه
لولا شجاعة زوجته نيودورا ومقدرة قائده بلزاريوس عن طريق ايقاعه
بين الحزبين الخضر والزرق ولقد استغل بعض الابطرة كتيبريوس تلك
الروح الحزبية لضرب الارستقراطية (٨٠) .

ولكن ابتداء من عهد الايسورين بدأ نفوذهم يضمحل وأصبحوا
هيئات مدنية بحتة وبذلك فقد الشعب احدى وسائله التمييزية الرافضة
ولم يعد متاحا الا الثورة فقط .

Maricq la durée du Regime des partis populaires a (٧٩)
constantinople „Bull de Acad. de Belgique 19.”

Bury : op. cit P 86.

Hussey : op. cit P 96.

Wilhelm Ensslin : Byzantium P 280. (٨٠)

وصل تعدادهم فى القسطنطينية فى عام ٦٠٢ م الى ١٥٠٠ من الخضر
وتسع مائة من الزرق وفقا لتعداد :

simocartes.

الكنيسة والدولة

كان اغتراف قسطنطين بالمسيحية دليانه مصرح بها بداية لفترة جديدة تاريخ الامبراطوريه الرومانيه . فالمسيحية سحلت تاريخ بيزنطة السياسى والاجتماعى على حد سواء ولا يمكن دراسته تلك الفترة بدون دراسة دور الكنيسة وموقفها من الدولة . فهناك سمات مميزة اوجدتها المسيحية فى طبيعته ونوعيه العلاقات التى تربط الدولة كنظام سياسى والكنيسة كمؤسسة دينيه ميزتها عن الفرد الوثنية السابقة بل اتخذت الكنيسة فى بيزنطة طابعاً واتجاهاً يختلف عن كنيسة روما الغربية من حيث وضعها كسلطة سياسية دينية او بابوية قيصرية .

كانت عقيدة روما القديمة تسعمل كأداة سياسية من قبل الاباطرة ، ولكن فائدتها او منفعتها السياسية كانت مجرد رمز ولم تكن لها النظرة العالمية التى حاولت الكنيسة تطبيقها فيما بعد فالفيتها لم تكن تؤمن بالوحدانية ، ولا تعارض قيام عبادات أخرى الى جانبها بعكس الكنيسة المسيحية القائمة على أساس التوحيد فالكنيسة منذ عهد قسطنطين بدت ذات نظرية وتكوين محدد وهى نفس الكنيسة التى سمعت فى عهود الارهاب والاضطهاد للحصول على حريتها (٨١) ، بدأت تشعر باستقلالها وبدأت بدورها فى اضهاد مخالفينها ورقض العبادات بل الهرطقات المسيحية فبدت فى مظهر جديد لم يألفه الرومان والاغريق الذين اعتادوا ممارسة ما شاؤوا من عقائد ما داموا يقدمون القرابين لعبادة الدولة والامبراطور المؤله (٨٢) ومنذ البداية

Glover : The conflict of Religions in the Early Roman Empire P 37. (٨١).

Hussey : op. cit P 96.

Bury : op. cit 344.

Painter : A Hist of the Middle ages P 33. (٨٢)

Charanis : Church and state in the later Roman Empire 48.

اتخذت الكنيسة في تشكيلها شكل علماني فالتقسيم الذي اقامه الامبراطور دقلديانوس لادارة واصلاح الولايات جرت على نمطه الكنيسة في تنظيم المراتب الكهنوتية لتوافق الولايات الجديدة .

لتقسيم الكراسى الكنسية في روما وانطاكية والاسكندرية اضيفت اليه القسطنطينية بعد انشاءها فكان النظام الكنسي عدل بما يوافق التفسير الجديد وبذلك تشابهت نظم الحكم في الكنيسة والحكومة في الشرق واصبح البطريرك كالامبراطور يسيطر على كل جهاز الكنسى ، ويرجع اليه رجال الدين في جميع شؤونهم فكانه بلاط بطريركي ، وهنا بدت المشكلة الحقيقية وهي العلاقة بين الكنيسة والدولة وخاصة بعد أن أصبح الامبراطور اوتقراط ذو سلطات مطلقة وبدت علاقة جديدة ذات نوعية مختلفة لم تعرفها روما القديمة فمشكلة الكنيسة والدولة تعتبر شيئاً جديداً على مفاهيم ذلك العصر (٨٣) . ففقدت روما القديمة كانت جزءاً من سياسة الدولة وعبادات ايزيس وعشتروت تتوافق مع عقيدة واحتفالات الشعب الروماني وكان الامبراطور هو الكاهن الأعظم pontifex Maximus واكن لما جاءت المسيحية فصلت ما بين قيصر والله وان كانت اعترفت بمال قيصر من سلطان واصبح الصراع موجود .

ولكن الاوتقراط لم يكن يسمح بوجود هيئة أو مؤسسة يكون من حقها أن تمارس نوعاً من الاشراف عليه أو على سلطاته . ومنذ البداية صمم شخص الأمر ووضع الأساس الذي سارت عليه الدولة تجاه كنيستها (٨٤) . فالكنيسة في نظر

Ostrogosky : op. cit p 34.

(٨٣)

Baynes : op. cit p 83.

(٨٤) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ١٢٤ .

Lot : The end of Ancient world p 30.

الامبراطور مؤسسة تخضع لسيطرة الدولة ولم يكن للمسيحية آنذاك فلسفة خاصة ولكن حياة المسيح هي المثال في نظر الامبراطور Imperium Christianum الذي لم يرى الفرق بين سلطات قيصر وحق الله (٨٥) . ولم يكن هناك خلاف كما حدث في الغرب فالاختلاف الوحيد بين الكنيسة الشرقية والامبراطورية كان يبدو حين يعتقد الامبراطور أحد المذاهب الهرطقية فالامبراطور من حقه التدخل في أمور الكنيسة بك رأى أن عقيدة شعبه مرجعها اليه واعتبر الامبراطور انه يحكم باسم الاله في الارض ولقد وصف ليو الاسورى نفسه في الاكلوجا Ecloga «بأنه حارس مفاتيح السموات وراعي القطيع وأئمة الناس بطرس» (٨٦) . ويعتقد هذا الحق الالهي اعتبر نفسه حامى الكنيسة الارثوذكسية والمسئول عن عقد المجامع الدينية ، بل وانتخاب البطريرك ورغم ان الانتخاب تقوم به هيئة اساقفة فان غير الواقع الامبراطور هو الذى يعين البطاركة ويعزلهم اذا اختلفوا معه وكان يتدخل أحيانا في تعيين الاساقفة (٨٧) ، وكان الامبراطور يعلن بعد تعيين البطريرك ان هذا الرجل عين كاسقف القسطنطينية برضاء الله وبأمرنا الامبراطورى الذى نستمد من رحمة الله والسلاح الوحيد الذى كان في استطاعة البطريرك استعماله تجاه الامبراطور هو اصدار قرارات الحرمان واستعماله البطريرك ضد حنا زمسكيس بعد مقتل نقفور فوكاس حين أراد أن يلى العرش مع زوجته ثيوفانو التى اشتركت في قتله فانضم الامبراطور للتراجع والاستجابة لرغبة الكنيسة . وان كان ما يحدث غالبا أن الامبراطور المخالف يصدر قرارا بعزل البطريرك .

Hussey : Op. cit p 90.

(٨٥)

Ecloga . trans Freshfield. p 66.

(٨٦)

(٨٧) رنمان : الحضارة البيزنطية ص ١٥٢ .

ولكن كان أهم ما يميز العلاقة بين الكنيسة الشرقية والدولة هو هذا التوافق الواضح للعلاقة في غالبيتها ودية بين الطرفين (٨٨) ولم تحدث خلافات جوهرية بل الخلاف حول مسائل مدنية في غالب الأحيان كمعارضة الكنيسة لزواج هرقل من ابنة أخيه مارتينا • ولم يكن غريبا أن تتحد القوتان ضد أي خطر سواء كان داخليا ممثلا في الحركات الهرطقية أو أعداء من الخارج ففي عهد هرقل حين غزت الجيوش الفارسية أرض بيزنطة في مصر والشام وآسيا الصغرى وتعرضت التسطنطينية للخطر قامت الكنيسة بتحويل ممتلكاتها الذهبية للدولة لتمتدح القيام بأعبائها وتجنيد الجند اللازمين وإمدادهم بالسلاح (٨٩) • وكان يحدث في بعض الأحيان أن يسير جندريك الامبراطور في اصدار قراراته الكنسية كما ذكر جستين في إحدى متحدثاته أن تبة الانية العظمى هي حب الله الذي يمتد لاثني القس والامبراطور الأول يحتص بدمور رومانية • والثاني يتولى شؤون الدنيا ولقد تطورت هذه النظرية في القرن التاسع في كتاب Epanogey حيث يقارن الامبراطور ورجل الكنيسة بالروح والجسد فكل منهما حيوي لاستمرار الحياة ولا يمكن لأحدهما أن يعيش بلا الآخر (٩٠) وهذه الفكرة اندمجت زمسكيس وعدد من اباطرة القرن العاشر (٩١) ، ونفس هذا المعنى وردده بيجررت Calecas في مواجهة اندرونيكوس الثاني — حين اهمل نصحه ورفض الاستجابة لهذا « كأنك بهذا التصرف كما يقول الجسد للروح ان لا تحتاج اليك » •

Hussey : op. cit P 41:

(٨٨)

Ostrogorsky : op: cit P 83:

(٨٩)

(٩٠)

Schlumberger : un Empereur byzantin au dixieme
Siecle P 748.

(٩١)

ولقد ازداد نفوذ الكنيسة بعد معركة القسطنطينية وخروجها منتصرة بنهية الاسرة الايسورية الالاهوتية والثن البيزنطى يعكس هذا النفوذ ففى كنيسة Sant Vtaie فخر الامبراطور كماله وتبس ولكن بجواره كان البطريرك كهوى وخارون فجوهر العلاقة بين الكنيسة والدولة كان التفاهم وكانت أوامر الامبراطور ملتبقة بى يسر وبلا رفض (٩٢) •

ومع ذلك غاب سيطرة الامبراطورية على حياة الكنيسة لم تفضى بلا معارضة وان كانت نادرة ، ولقد أبدى بعض الاساقم منذ البداية ومع اعتراف تسانطين بالمسيحية معارضتهم لسلطات المظلة فذكر St. Ambrose فى نهاية القرن الرابع ان الامبراطور فى داخل اطار الكنيسة لا على رأسها ببعض رجال الدين رأى فى الكنيسة مؤسسة أعلى منزلة من الدولة (٩٣) وكتابات القديس اوغسطين وايوزبيوس توضح هذه النظرة (٩٤) و Belesus فى ٤٨٩ م رأى ان الامبراطور ابن الكنيسة وليس سيدا لها.

سمى البطريرك بيجنيل ، ايوزبيوس لتفويض الدولة من سلطة الكنيسة ونظام حكمها ثم انقلب على راسه ايوزبيوس بالمهجوم على البطريرك بيجنيل ، وادخله السجن ووزره الامبراطور ونعت الامبراطور بـ "الملك" فوجه الملك الاسرائيلى الحساب التى اشتهرت بحجتها وتعدوها واتى أموت بنفيه واضطرت لاعادته تحت الضغط الشعبى • ولقد حاول الاله اريد السيطرة على المنصب البطريركى عن طريق تعيين ابنائهم كما فعل رومانوس حين عين ابنة ثيوغيل وبنان

(٩٢) Mussey : op. cit. p 188.
(٩٣) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية من ١١٦ .
(٩٤) Hury : op. cit. p 282.

ولقد ازداد نفوذ الكنيسة بعد معركة أمقودنة وخروجها
مقتصرة بنهية الأسرة الإيسورية ألا إيتونية، والفن البيزنطي يعكس
هذا النفوذ ففي كنيسة Sant Vitale ظهر الامبراطور كملك
وقس ولكن بجواره كان المطريرك كشمس وعادون فبوهو علاقة
بين الكنيسة والدولة كان التناغم وكانت أواخر الامبراطور سلقس
يسر وبلا رفض (٩٢) .

ومع ذلك فإن سيطرة الامبراطور على حياة الكنيسة لم تفض
بلا معارضة وإن كانت نادرة ، ولقد أبدى بعض الأشخاص في البداية
ومع اعتراف غسطنطين بالمسيحية معارضتهم للسلطات المطلقة
غذرت St Ambrose في نهاية القرن الرابع أن الامبراطور في
داخل إطار الكنيسة لا على رأسها وبعض رجال الدين رأى في
الكنيسة مؤسسة أعلى منزلة من الدولة (٩٣) وكتابات القديس
أوغسطين وإيوزيوس توضح هذه النظرية (٩٤) و Belesus
في ٤٨٩ م رأى أن الامبراطور ابن الكنيسة وليس سيدا لها .

، سمي البطيرك ميخائيل إيولاريوس تخليص الدولة من سلطة
الامبراطور وقام بمسما في سنة ٥٠٠ ارمانوس بالهجوم على
الامبراطور اوطيسيا وعاديتا وزوزراء الامبراطور ونعت
الامبراطور باسم Josabel زوجة الملك الاسرائيلي
التي اشتهرت بخبثها وتمسوتها والتي أمرت بقتله واضطرت لاعادته تحت
الضغط الشعبي ، ولقد حاول الامبراطور السيطرة على الشعب البطيركي
عن طريق تعيين ابنائهم كما فعل رومانوس دين ابنه ثيوفيل وكان

Mussey : op. cit P 188:

(٩٢)

(٩٣) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية من ١١٦ .

Bury : op. cit P 282:

(٩٤)

الامبراطور يمارس رقابته وتحكمه في الكنيسة عن طريق وزيره المقلب Syncellus (٩٥) . ولكن كما ذكرنا لم يكن الاختلاف بين الكنيسة واندوة هو طابع الدولة البيزنطية وهذا الموقف هو الذي جعل الكنيسة الغربية تتخذ خطا منفصلا تماما عن الشرق فالغرب كان بابوية قيصرية كان البابا يتمتع فيها بسلطات تفوق أى من حكام الغرب (٩٦) . وكان لقرارات الحرمان التي يصدرها عظيم الأثر على أباطرة الدولة الرومانية المقدسة وخاصة منذ عام ٨٠٠ م وهو عام تتويج شارلمان وانفصاله بالغرب .

وبالنسبة للشرق فإنه لم يحدث إلا نادرا أن قام رجل مثل Theodores وقال للامبراطور « أيها الامبراطور لا تحطم استقلال الكنيسة فعملك تدبير أمور انسياسة والحرب أما أمور الكنيسة فخاصة برجال الكهنة والرهبان (٩٧) » . ولكن كان هناك فئة دينية نشأت أولا خارج نطاق المؤسسة الكنسية ثم احتوتها فيما بعد هذه الفئة هي التي تولت المعارضة وأعلنت لنفسها الحق في رضى ومخاربة الارادة الامبراطورية الا وهي الرهبان .

التدبيرية والدولة :

شهد نهاية القرن الثالث وبداية الرابع حركة دينية ظهرت في الجراء اشترقى الامبراطورية وفي مصر بالتحديد ومنها انتشرت الى ارمينيا سيحي ، ولقد بدأت تلك الحركة منفصلة عن الكنيسة أساسا بل اعتبرت كنوع من الرضى لارتباط الكنيسة بالدولة . فلقد تسعر بعض الأفراد بانحطاط المقاييس الدينية والاخلاقية وخاصة لوجود أمثلة

(٩٥) جيون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ٢ ص ٢٢٧٢ .

Painter : op cit P 15.

Baynes : Op. cit P 387.

(٩٦)

(٩٧)

لبعض رجال الدين المنحرفين الذين لم يتورعوا على الاستجابة لطلبات
الامبراطور الشاكهم بهذا كانت نوعية طيقت كموقف اسقف اري الذي
أراد الاحتفاظ بمركزه سواء كان الشاكهم امبراطور مسيحي أو وثني
كجوليان فأرادوا الهرب إلى الصحراء طلباً للمعزلة واحتجاباً فرجياً
على نظام ساهم بأكبر نصيب في تأييد الدولة (٩٨) . وقد حرصت
الكنيسة منذ البداية على إحياء تلك الحركة وادخالها في داخل
الاطار الكنسي نتيجة لنصائح عدد كبير من آباء الكنيسة الأول
كثانسيسيوس والتديس باسل . ونظم أمرا المناجم الكنسية المحلية
والدولية عن طريق إقترع الامبراطوري، وحكم البطارقة وكان الهدف
الحفاظ على النسخة القبطية الأصلية والسيطرة على هذه الاسرار
واستغلالها لصالح الكنيسة .

ولقد بدأت الحركة ادبويه في مصر نتيجة استياء عدد من
المسيحيين من عدم تطبيق مبادئ الانجيل في سلوكهم الحقيقي
فنبذوا اهتمامهم بالحياة وذاتها وكبحوا متاعر الخب ومارسوا
حياة قوامها الزهد والتقشف ، للحصول على السعادة واتجهوا إلى
إلى الصحراء حيث مارسوا حياتهم الجديدة بعيداً عن العلم واجتذبت
تلك النسبة الآف من النساء والرجال ، حيث خذوا جنوعهم واتجهوا إلى
الصحراء (٩٩) . فقام في مصر القديس القسطنطين حوالي ٣٢٧م طييه
وهجر أسرته وعاش مفرداً في الصحراء وبعد خمسة عشر عاماً اتجه إلى
القلزم حيث عاش في أحد غابراتها في عزلة واسلوب الحياة هذا ألقى
التأثيرين بآتباعه وذات أسرته في العالم المسيحي (١٠٠) حتى أن
الامبراطور قسطنطين طلب منه الحضور إليه لاستشارته فأعذر .

(٩٨) Zosimus, V. 23 — Theophanes A: M: 5955:

نورمان بينز الامبراطورية البيزنطية ص ١١١

(٩٩) Hu-sey : op: cit P 188.

(١٠٠) Camb : Med. Hist Vol I P 521.

فى نفس الوقت الذى ظهر أسلوب آخر من الرهبنة وهى الرهبنة
الجماعية التى يمثلها باخوم ، وأسس سبع أديرة للرجال والنساء وكون
أول المجتمعات الديرية فى طيبة بالقرب من دندرة ونجد وصف للحياة
الديرية فى مؤلفات Cassian Palludius « لقد ازداد عدد الرهبان
زيادة كبيرة حتى قيل أن فى أكثر نطوس «أنجيسا» بلغ عدد الرهبان
عشرين ألف راهب ، وأن بمدينة طحا بالنصيد وحدها ٣٦٠ ديرا ورغم
أن هذا العدد مبالغ فيه فإنه يدل على مدى انتشار الحركة الديرية
وأصبح من المنكوك فيه أن كل من دخل الدير دخل بدافع دينى حتى
اضطر الامبراطور فالتيان وفالتر لمنع من يصلح للجيش أو المرتبة
بالخدمة العامة من دخول الدير (١٠١) .

وكان من الطبيعى الا تقتصر اديرية على مصر بل بدأت تكتسب
صفة عالمية فظهرت فى سوريا وفلسطين . ومع بداية القرن الرابع
أوجد القديس Hilarion والقديس chariton حركة ديرية
نشطة هناك ، وصلت الى العراق وقيم دير فى
نصيبين (١٠٢) . ثم انتقلت بعد ذلك الى آسيا الصغرى وكان هناك
رهبان فى جالاتيا قبل نهاية القرن الرابع ثم فى ارمينيا الصغرى
وبافلو جونيا بونفس عن طريق الرابع عندهم وصلت بعد
ذلك الى صقاية وجنوب ايطاليا ، اما العاصمة الامبراطورية
فقد دخلتها الديرية خلال حكم قسطنطين وفى عهد اثنا حوالى
خمسین ديرا غالبيتها تنسب الى رجل الدين Macedonias ،
الذى وصف بالبرطقة فيما بعد ولكن قيام حركة ديرية
فعالة فى القسطنطينية يعود الى عهد ثيوديسيوس ولقد ازداد عدد

Painter : op: cit 17:

Baynes : op: cit P 156:

Camb Med: Hist Vol I P 525:

(١٠١)

(١٠٢)

الاديرة فى بيزنطة حتى أن ممثلى الاديرة بلغ عددهم فى مجمع ٥٢٦ م ست وثمانين وبازدياد اعداد القديسين والاديرة كان على الدولة التدخل لى تضع لها نظاما (١٠٣) ، فلقد أصبح الرهبان والاديرة يمثلون قوة مناهضة مثيرة للقلق سواء فى منطلعتهم أو والجامع الدينية المختلفة التى سادت فى الامبراطورية ، وتدخلت قوى الدولة فى أمور المفروض أن تكون لوائسى اللاهوت ورجال الدين (١٠٤) وعادة كان الرهبان يعملون سرا وبطريقة تنتم بالحرص ولكن فى حالات أخرى كانوا يقومون بالتظاهر والثورة العنيفة والدخول فى صراع سافر يشترك فيه أغلب رهبان الاديرة أن لم يكن كلهم (١٠٥) ومع بداية كل صراع دينى أو خلاف مذهبى كان الرهبان يعطوا فى البداية التراميم بالاستقلال عن الصراع ، ولكنهم لا يلتزموا بوعدهم - فلى كل مكان يبدون رأيهم صراحة فيما هو مرفوض وأصبح جيش الرهبان أولئك يكون بصورا غير منتظمة والثروا على السلم العلم حتى اضطر الامبراطور ثيودوسيوس للحد من نفوذهم وخاصة انهم أصبحوا جبا على الدولة (١٠٦) - وبدعى القية الدينية كانوا على استعداد لارتكاب أعمال العدوان والعنف ضد منافسيهم فبهم مسئولون على تدمير العابد الوثنية والتمثيل بالوثنيين وهم المتسببون فى الشعب الذى حدث فى مدينة الاسكندرية وانتهى بمقتل عبيثا الفيلسوفة الوثنية ، وهم مسئولون عما حدث فى مجمع افسوس التسعين بمجمع اللصوص فلقد ذهب الديوى Barsamus archimandrite مع آلاف الرهبان لتأييد أويتفيا فى نظريته

Bury : op. cit P 387.

(١٠٣)

Hussey : op. cit P 188.

Moss : The Birth of the Middle Ages P 37

(١٠٤)

Baynes : op. cit P 159.

(١٠٥)

Moss : op. cit P 56.

(١٠٦)

الكنسية ضد الاسقف Eianrin الذي يزيد البابا فخارت عليه تلك الجموع ثورة عارمة وانهلوا عليه ضربا حتى توفي بعد ثلاث أيام متأثرا بجراحه (١٠٧) . وبعد أحداث مسابهة تخرب خلال القرن الخامس والسلس . واقد حاول الاساقفة السيطرة على تلك المؤسسات الديرية . ففى مجمع خلقدونية ٤٥١ م نصت المادة الرابعة فى القانون « ان هؤلاء الذين يقودون الحق ويمارسون حياة ديرية حبس سيمنعوا الذى يستحقونه (١٠٨) ، لكن هناك آخرين جعلوا من دوله الديرية أساسا للمشاكل فى الكنيسة الدولة (١٠٩) ، فالبعض يقيم بالقرب من المدينة ويتجول فى طرقاتها مثيرا للشغب فأننا نقرر ليس من حق أى شخص اقامة ديرا أو قلاية بلا موافقة أسقف المدينة وان يكون جميع الرهبان سواء فى المدينة أو الضواحي تحت سلطة الاسقف وعليهم أن يكرسوا أنفسهم للحدث القدس ولصلواتهم ، والامبراطور يرى انه من حق الرهبان ممارسة حياتهم المعتادة واعمالهم انضويية خارج الدير ولكن بتصريح من السلطة المتمثلة فى الاسقف (١١٠) .

ومع ذلك فقد ازداد نفوذ الرهبان زيادة كبرى رغم ان القانون كان ينص على بنائهم داخل اديرتهم والا يسمح لاحد بالخروج الا بموافقة رئيس الدير أو الابروشية Hogeumenos وحدد الرهبان أحياء خاصة بهم .

واما ادارة الممتلكات الكنسية فكانت ترجع لاسقف ومع ذلك فان الرهبان لم يقتنعوا بالبناء فى اديرتهم والاقتصار على الأمور

Hussey : op. cit p 155.

(١٠٧)

Payles . op: cit P 60.

(١٠٨)

Hussey : op. cit P 110.

(١٠٩)

Hussey : op. cit 145.

(١١٠)

الدينية وازداد عدد الأديرة زيادة كبرى مما تطلب تنظيم الدولة
ثانيه لتنظيم الحياة الديرية والهيئات التي تمنح للأديرة . وبعد ان
أحد المؤرخين الوثنيين في القرن السادس معلقا على ازدياد عدد
الرهبان « هؤلاء قد أنكروا الزواج الشرعى ومنزوا مؤسساتهم فى
القرى والمدن برجال ونساء غير متزوجين لم يقدموا أى فائدة للدولة
والشعب ونمت أعدادهم منذ عهد أركادىوس إلى يومنا هذا حيث
شغلوا جزء كبيرا من أرض الدولة بأدعائهم انهم يشاركون الفقراء
فى فقرهم والحقيقة انهم تسببوا فى جلاء غالبية الشعب فى حالة
فقر (١١١) » وربما نعتبره رأى مبالغ فيه لوظف فى المبالغة وثنى ، ولكنه
يدل على مدى ما وصل اليه نفوذ الديرية واتساع املاكها
وكثرة الهيئات فقد توقف عدد كبير من الرهبان وعلمسة النساء
نحوهم على الادب والعلوم والمهنة وأدى هذا الى تضاعف
دائى الضرائب ، الى جانب حرمان الجيش من العناصر الصالحة
للتجنيد (١١٢) . ولقد ازداد نفوذ الأديرة المالى والنسبى على حد
سواء وحمل الرهبان لقب Violigeres الرجل الحبيب
العبوز (١١٣) . ولقد تأثر الشعب الرومانى بهم وخاصة ان عدم
زواجهم وعزيتهم وصغرهم فى نظر العامة فى طبقة أفضل من رجال
الدين التابعين للكنيسة . وهذا دفع بالباطرة لإصدار شريعات
لتنظيم الحياة الديرية ولقد عمل موضوع الديرية وتنظيمها
جزء من Novles جستيان فأعطى القانون سلطة شرعية للقانون
الكنسى وأتبع تقليد القديس Basil فى تنظيم المؤسسات
وتوضيح الحياة الديرية (١١٤) . وأرجع الأثراف أيضا للأسقف ومجمع

Bury : op. cit P: 388.

(١١١)

Hussey : op. cit P 117.

(١١٢)

Brehier : Vie et Mort P 78:

(١١٣)

Bury : op. cit P 388.

(١١٤)

قولوا - منع ان يرسم راعيا الا اذا قضى في الدير ثلاث سنوات
 وصدر قرار مجمع القسطنطينية ٨٦١ م بمنع اقامة اديرة الابموافقة
 الاسقف. واعدت نقفور الثاني موسوما أمر فقيه بدمقم غيسام اديرة
 جديدة الا في حالات خاصة ، وان يراعى ان تتشابه في بنائها مع
 ساقطة الاديرة الاولى التي اتخذها الآباء الاولاء . ولقد شارك
 الاباطرة التأخرين نقفور في آرائه ، وفي القرن الثالث عشر بدأت حركة
 ريناسانس في Nesychaste حيث أخذ رجال الاديرة مراكز في
 الكنيسة (١١٥) ولكن الديرين لم يكونوا دوما من مثبتي الشعب كما
 سورتيمم القرارات للامبراطور ، بل عدد كبير منهم كان يمثل الجانب
 المنفي في التاريخ الديني للمصور الوسطى ومرس بعضهم
 ضمتا على الاباطرة احيانا بالندبة وأخيرا بالثورة ، بل ان هناك
 من الاباطرة من اعتاد استقالتهم لا في الشؤون التي تعالج شؤون عامة
 بل وسياسية أيضا (١١٦) ولقد وضع الاباطرة في اعتبارهم مدى ما حازته
 تلك الفئة من تأييد بين الاوساط الشعبية وعرفهم بعض المؤرخين بأنهم
 دعاة العالم المسيحي (١١٧) بل ان اقتصار الديرية في عهد ثيودسيوس
 يعتبر أهم مظهر من مظاهر التدهور الكنسي وقد نظر الشعب لهؤلاء
 الرجال القادمين من الصحراء كرجال الله ووصفت عبيد كثير من
 المعجزات ومرس الرهبان ذو التزي واستورة نوعا من التأييد على
 الاباطرة وكبار موظفي الدولة (١١٨) . وأحد رهبان القسطنطينية ناد
 مجموعة من الرهبان الى قصر الامبراطور ثيودسيوس الثاني في
 العاصمة وتسلم منه اعترافه بالعقيدة الارثوذكسية الصحيحة والارباب

Baynes : op: cit P 167:

Hussey : Op: cit 119:

Bury : Op: cit P 367:

Brehier . Vie et Mort P. 74.

(١١٥)

(١١٦)

(١١٧)

(١١٨)

سيمون تدخل في الشؤون العامة للامبراطورية وقاد حملته ضد الوثنية وحارب الهرطقة وأرسل الى الامبراطور يطلب منه الاعتراف بشعبه (١١٩) والراهب دانييل كان على علاقة بالامبراطور ليو ووزراء دولته وكثيرا ما زاره الامبراطور ليستمد منه النصيحة وفي أحد المناسبات اصطحب معه ملك اللان يأخذ رأيه في نزاع حول مسألة سياسة . ولقد قاد دانييل الشعب ضد المنصب باسيليوتس الذي اتى المفوزية فأجبره على التراجع عن عقيدته في كنيسة ايبسرنيا (١٢٠) . وحينما اعتنقت أسرة هرقل مذهب المنوسيلية أمر مكسيموس الراهب على عقيدته رغم الاضطهاد والنفي .

ومع بداية الصراع الايقوني بدأ الصراع الحقيقي بين الاباطرة والمؤسسة الديرية فقد أعلن الرهبان صراحة موقفهم المعادي للدولة عندما أعلن الاباطرة اللا ايقونيين الحرب ضد الايقونات التي كان الرهبان أكبر مؤيديها وحاول قسطنطين الخامس استمالتهم لجانبه فلما فشل قام باضطهادهم وفي ٧٦١ م نشر Andrew Calylite ربح عدد كبير من الرهبان ولقد عم الاضطهاد العاصمة والولايات وأغلق عدد من الاديرة وفي انطاكية وفي ميدان انطرس خير الرهبان بين الزواج أو الموت . وكان آخر المعارضين ثيودر Studite الذي قاد المعارضة الايقونية ضد الاباطرة ، وطلب من ليو الرابع أن يترك شؤون الكنيسة لرجال الدين وأن سلطة الامبراطور على الأمور المدنية فقط . وحين أصدر الامبراطور قرارات لتنظيم نفسه ، اخبره قام ثيودوسيوس بقيادة المعارضة ضد نفسه الامبراطور . ومن المفهومي ليو في الثالثة

رسائله وتأييده للحركة الايقونية ولكن فكرته عن فصل السلطة الدينية
على السلطة المدنية فشلت رغم نهاية الحركة اللايقونية كأساس
لنظام جديد. كان القيصرية انبأوية ورغم ان الديرية اليونانية لم
تتغير الى مؤسسة مستقلة لكن في نفس الوقت لم تخضع لنظام
مساوئم أو الاشراف الدائم للدولة رغم محاولات الدولة المستقرة
لإنهاء وسائلها من جهة المعارضة الحرة في النظام الكنسي (١٣١).

Baynes : op: cit P 155.

Charanis : op: cit: P 491.

(١٢١)

الفصل الثالث

الامبراطورية وأعدائها

أحاطت بالامبراطورية البيزنطية أعداء من جميع النواحي ففي الشرق كان الفرس وفي الجنوب الشرقي كان العرب وفي الشمال من جبال أورال شعوب آسيوية وعربية كالهن والمغول والترك وفي الغرب وجد السلاف والكاك وفي شمال غرب أفريقية البربر ، ولكن الخطر الجائر على الامبراطورية كان يتمثل في حدودها الشرقية حيث الفرس (١) وفي الشمال الشرقي حيث الشعوب الآسيوية وفي الغرب حيث الجرمان ومؤلاء الأعداء افروا في تاريخ الفترة البيزنطية الأولى السياسي بل والحضاري وكانوا سببا في اتخاذا سياسة شرقية على ضفاف البسفور لتكون قريبة من فارس ومن الشعوب القارية التي غزت البلقان في نفس الوقت ، كما ذكر الرومانيون أن أعدائهم (٢) .

هناك أعداء للامبراطورية في الشمال والجنوب والشرق والغرب

وتاريخ بيضة الشرقي ما هو لا صراع مع تلك العناصر في الشرق وخلف الفرس الساسانيين الباراثيين ٢٢٦ م وضقت جيوشهم مدة ثلاث قرون الى عهد هرقل فتقدم آسيا الصغرى . وظل الصراع البيزنطي الفارسي يمثل أهم مشاكل الامبراطورية الى القرن السابع الميلادي الى أن سقطت فارس في يد العرب . وفانى أعدائها كانوا القبائل الجرمانية وهنا نذكر بين جرمان الفترة الأولى الذين

Cambridge Ancient History Vol: P 109

Bury : op. cit P 89:

Painter : Op: cit 47:

Vasiliev : Op. cit P 76.

(١)

(٢)

عاشوا بالقرب من البحر البلطى ثم اتجهوا إلى المنطقة بين الراين والالبي وهؤلاء هم الجرمن الغربيين . أما الجرمان الشرقيين فكانت مواطنهم بين الالب والمقستولا . منذ القرن الثاني الميلادى بدأت تلك القبائل تهاجم الامبراطورية نتيجة لضغط السلاف والهنون حيث اتجهوا غربا إلى قلب أوروبا (٢) . رغب الشمال كانت القبائل الآريوية المتجسرة التى تعيش فى وسط روسيا منذ القرن السابع وعرفوا باسم الكيبيين السارماتيين وإلى الشمال العربى منهم كان السلاف والهنون والكنت وفى القرن الثانى والثالث الميلادى أصبحت ظهرت جديدة فاستولوا الهون الآسيويين الجزء الشرقى من البحر الأسود وهاجموا الهون بدأت فترة جديدة فى تاريخ المنطقة فى شرق ووسط أوروبا وآسيا ودفع الهون أمامهم بالعديد من الشعوب والقبائل إلى البلطى كالبلغار والخزر والهنون والسلاف فدخلت تلك الشعوب إلى الامبراطورية الرومانية وغزت أراضيها منذ القرن الثالث . وعند بداية القرن السادس انتشر السلاف من مواطنهم الأصلية غرب روسيا ووصلوا فى اتجاه شرق الألب وغابات بوميرانيا والألب بوليان من قبل من. وفى جزيرة البلقان . ولقد أطلق الرومان اسم *Slavones* على كل القبائل فى المنطقة وإذا كان خطر من القبائل بدأ واضحا منذ القرن السادس فإن تلك القبائل كان قد بدأ فى فترة متأخرة الغزو الجرمانى (٤) . ولقد استطاعت بيزنطة استيعابهم من طريق مونتاني ونشر المسيحية بين شعوبهم بل إن عند سقوط الامبراطورية فى القرن الخامس عشر فى أيدي التورك خلت الكنيسة البيزنطية تآثر فى روسيا وما جاورها ، فتأثير بيزنطة الدينية استمر بعد انهيار نفوذها السياسى فى المنطقة .

Painter : Op. cit P 19:
Vasiliev : op. cit P 78:
Baynes : op. cit P 33:

(٣)

(٤)

ولم تكن الامبراطورية الرومانية هي البائدة بالعدوان تجاهه من
 أحاط بها من أعداء .. نفى عهد أغسطس وصلت الامبراطورية الى أقصى
 حد من التوسع ممكن أن تصل اليه وأصبحت حروب الامبراطورية حروب
 دفاعية في الخمسمائة عام التالية ومع ذلك شغلت الامبراطورية بصراع
 دائم ولم تستمتع الا بفترات سلام قليلة (ه) . فهي اما في حالة دفاع
 عن أراضيها أو في محاولة استعادة لولاياتها فالدافع لفتوح تراجان
 في داكيا هو مد خط الدفاع عن اليريا والولايات الشرقية ، وكذلك
 ما يتعلق بهجوم دقلديانوس ثم جوليان على تجرير الذي كان من أجل
 ضمان السلم ، حتى حروب هرقل مع الفرس ما كانت الا ردا على
 غزواتهم لأراضي بيزنطة في آسيا الصغرى ، ومجموعهم على العاصمة
 فالاباهرة مسجونين بشانكلهم ومحاولة الحفاظ على عروشهم في نفس
 الوقت الذي لم يجب التسبب فيه بهزيمته من الفتوح واذا كانت الدولة
 قد نجحت في هزيمة الفرس في عهد هرقل ولكنها لم تبدأ خويلا اذا
 بدأ الفتح العربي .

أما انجرمان فقد استطاعوا تكوين مملكة في الجزء الغربي من
 الامبراطورية وأنشغل الغرب ابتداء من ٤٧٦ م . وأن احتفظ الابطرة
 بالسيادة الانموية فسيطر اودواكر الجرمانى على ايطاليا واعترف
 بسلطان زينون الاسمى اما السلاف والهنغاريون فقد استقروا في
 جسيم الامبراطورية في البلقان وكونوا مملكة دائمة اعترفت بسلطان
 اسبى لبيزنطة وان كانت قد ناصبت أعداء في كثير من الأحيان .

الفرس :

انتهت الاسرة البارثية في ٢٢٦ م وقامت على انقاضها ممالك

Camb : Med: Hist. Vol I P 707.

(ه)

Cary : Hist: of Rome down to the reign of Constantine P. 63

الطوائف المستقلة إلا أن استطاع أردشير بن بابك سادن بيت النار
تكوين دولة متحدة واذ اعتبر البيزنطيون أنفسهم خلفاء قياصرة
الرومان اعتبر الساسانيون أنفسهم خلفاء تورش ٥٥٩ ق م (٦) .
وبدا أيضا منذ القرن الثالث أن فارس أصبحت أهم خطر
يوافق روما ، سيليا وعسكيا .

ولقد كان هناك بعض التشابه بين الدولتان أبان القرن
الثالث وإن امتازت فارس عن روما بعتيدياتها الموحدة وهي الزرادشتية
التي تعود إلى عهد قورش ، حيث نلى قورش عبس الديانة التي نادى
بها زرادشت . ولقد واد زرادشت في بسلاط الميدين ولكن لم تنجح
دعوته فجاءها مهاجر إلى الفرس حيث لقيت دعويته قبولاً لدى قورش
وتسببه ، وأصول تلك الديانة ليست من عمل زرادشت بل أنه لم يكن
إلا مسلحاً جديداً أراد أحياء بعض التقاليد القديمة في الديانة الهند
أوربية التي كانت تقوم على الصراع بين الخير والشر والبر والظلم
وكان لتلك الديانة أثر كبير على حياة ومعتقدات بلاد الشرق القديم
وكان رجال الدين يسمونها الموبدة أو كيانة بدت تلك الديانة في الهند
يسمى موبدة الموبدة وقد وردت في كتاباتهم الدينية في الهند
سلطان السامانيين وأقد لقي هؤلاء القدماء من الفرس والساسانيين
الملكية في حالات كثيرة . ولقد كرس الزكاة سواء دابة أو دابة ،

وحالت القائمة السائدة في هذا المجتمع في عصر سلطانه
لاستطيع الفكك من وضعها الاجتماعي ، وقالت أباقة الأولى يتكون من
بقايا أمراء الأرستقراطية وهم أمراء النوائف السابقين ويعتق أفراد

(٦) أحمد غزوي : دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢٢٧
Charmes - Les Sassanides P 28.
Camb : Auguste P. Vol XII P. 115.

الزراعة المائكة وأبناء البيوت الكبرى ويمثلون الطبقة العليا وأصحاب
الامارات الكبرى ، وهناك طبقة الدهاقين التي كانت تشبه افراد القطيع
وكان عامة الشعب من حرفيين وما اليم مجبرين على ممارسة حرف آبائهم
ولا يمكن لشخص من الطبقة الدنيا أن يتعدى على هذا التقسيم وان
ينضم الى طبقة النبلاء أو رجال الدين حيث كانت الوظائف العليا
مقصورة عليهم . وكان هؤلاء يمثلون جبهة المعارضة ضد الشاهنشاه
أو ملك الملوك المؤله المنصرف على العقيدة وكبير السدنة (٧) ، وهي
نفس فكرة الاوتقراط انحاكم الذي اقتبستها روما من الشرق فيما بعد
. وكان الفرس يعتقدون انهم افضل من الرومان من الناحية الدينية حيث
تعددت آلهة الرومان ولم تكن لهم عقيدة موحدة تضم كل الامبراطورية
وايا كيان قائم بذاته كالزرادشتية وكثنتها . وبالاقرار بالمسيحية
أصبحت اكلا الدولتان عقيدة موحدة تتولاهما مؤسسة دينية . ولقد
تشبه المجتمعان في نهاية القرن الثالث في عدة أمور ، فانبطربك
ينسب موبد المواظدة ، وتنظيمات المؤسسة الدينية الكنسية تتشابه مع
تقسيمات الوظائف الدينية الزرادشتية في بعض المظاهر يوبد
كلا منهما غالبا الارستقراطية ضد الملكية . واتخذ المجتمع الروماني
أيضا في أواخر القرن الثالث صفة الاجبار في نظام الحرف فنتيجة
لنمو النضياع الكبرى Latifundia وارتباط الاقنان بالأرض وجد
أيضا ما يشبه الاجبار في الحرف فما حدث من صرامة النظام الطبقي
وجد من العسير على الفرد أن يفر من مكانته الاجتماعية التي نشأ
عليها (٨) ، والواقع أن النظام المالي كان مسئولا عن هذه النتيجة
فحينما أصبحت مجالس السناتو المحلية مسئولة عن جمع الضرائب

صار لزاما على الأبناء ان يسموا على نيج الآباء فارتبطت الوظائف
بأنطوائف سواء كان رجال سنا أو ارباب الحرف (٩) •

وقد كان تأثيرهم من لغتين باثري وضحاً في المجال الحضارى
ولما ذكرنا تأثيرات فكرية الوصحة في عصرهم والفهم والادب
بمصر • وقد نرى كذا نميد بكنه وانجية بحرف الآخر ففى
نيجهم • رستم الخبده بين لغزتين اعتبر كل منهم مساوى للآخر
يستخدم لقب بسينوس لمخاطبة الشاهنشاه فى الوثائق البيزنطية •
لما بقية الملوك فاستعمل لقب rex كان من المتبع عند تولية حاكم
جديد فى كلا الدولتين أن يرسل سفارة الى جانب الآخر ينبه بذلك
ويتمتع سفراء كلا الطرفين بمعاملة خاصة لا تتوافر لبقية السفراء
وعادة يختار الملوك السفارات افراد ذو مكانة عالية ولقبوا بالسفراء
العظام ولقد تأثر الفرس بالفكر اليونانى ولحضارة اليونانية بل شجع
ملوكهما فلاسفة اليونان فقد أقام عدد من النساطرة مدارس للمعارف
اليونانية فى الرها نشرت المعرفة اليونانية فى مدن آسيا ولما أمر
الامبراطور زينون باغلاقها لجأ هؤلاء الى اكاديمية غارس حيث
أكرمهم • وفى ٥٢٩ م أغلق جستينان مدرسة اثينا الفلسفية بدعوى أنها
تنشر الإلحاد وصادر ممتلكات استودتها وفقدت اثينا أهميتها الثقافية •
وارتحل أستاذتها الى بلاط كسرى حين سمعوا باهتمام كسرى انثروان
بالفلسفة فأستقبلهم بالترحاب وقام بنشر معارف أرسطو وحالينوس
وديسقورس ويقال ان بعضهم عاد الى اليونان سقضى معامدة عقدها
جستينان تقضى بالسماح بالعودة لهم مع عدم اجبارهم على اعتناق
المسيحية •

(٩) بالنسبة لنظام الاحبار الدينى والحرقي « انظر » •

Anom: Marc. XVII 5: 10

Jamb: Med Hist Vol I 51:

ولقد بدأت علاقة الدولة الرومانية السياسية بـساسانيين منذ قيام الدولة على يد سابور بعد قضاؤه على البارثيين في عهد الامبراطور فاليريان (٢٥٣ - ٢٦٨ م) . وقد بدأت بداية عدائية واستمرت ما يقرب من أربع قرون كانت المعارك سجلا بين الطرفين وتغيرت الحدود عدة مرات وفق معاهدات مختلفة تخللتها فترات سلم قصيرة . وكان سبب الخلاف غالبا ارمينيا وهي تمثل نقطة خلاف ومنطقة صراع بين الدولتين طوال تاريخهما وأصبحت مشكلة السيطرة عليها من أهم المشاكل التي تواجه الدولتين وخاصة بعد انتشار المسيحية في الفترة التالية (١٠) . وكان بدأ الصراع بين روما وفارس يعود الى أن ارمينيا التابعة آنذاك، سياسيا لفارس والتي كن يتولى أمرها أحد أفراد الاسرة البارثية السابقة ، الذي سعى للتحالف مع روما ولكن لقي مضرعه على يد سابور ومع ذلك فقد حيكّت مؤامرة لتقوية Tiridates ابن خسرو بمعاونة روما : فاضطر سابور للعودة الى ارمينيا وضم في طريقه نصيبين وخرج فاليريان على رأس جيشه ولكن بسبب عدم كفاية القيادة واستمعه الى نصائح قائد الحرس البيروتوري ماكريانوس هزم الرومان وعرض فاليريان جزية مالية مقابل السماح لهم بالانسحاب . ولكن رفض سابور وانتهى الأمر بأسر الامبراطور الروماني واختار سابور أحد القادة الرومان وهو Cyriades كامبراطورا ، وتقدم جيش الفرس لانطاكية ثم لقيصرية عاصمة قبادوقيا . حيث أجرى الفرس مذابح وحشية هناك ولم يتصدى لسابور سوى جيش اوديناتوس السوري العربي شيخ السناتو وحاكم تدمر . ولقد تطلب استمرار الصراع بين الدولتين في ايجاد حدود دائمة تنظمها معاهدات ، وأول تلك

(١٠)

Bury : Op. cit P 93.

.. (١١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج ١ ص ٢٤٨

Baynes · Rome and Armenia in the Forth Century.

المعاهدات كانت في عهد دقلديانوس الذي أهتم بالشرق وعين حاكما لارمينيا هو تيرادتيس . ولقد حققت حملاته نجاحا وضمت عدد من المدن البيزنطية ومع ذلك فقد عقد صلح مع فارس لمدة أربعين عاما سارل فيه للفارس عن الولايات الواقعة فيما وراء دجلة ومد خطا الحدود من الشمال إلى الجنوب من حدود كولخيس إلى البحر الأسود إلى تيصرية على نهرات (١٤) .

ويانتقل العاصمة إلى الشرق وإنشاء القسطنطينية أصبح من السهل على بيزنطة تحريك قواتها بسهولة لمواجهة فارس وأصبحت العاصمة أقرب إلى مركز الصراع ، ولقد تجددت مشكلة أرمينيا وخاصة بعد انتشار المسيحية في أراضيها ووجود حكام يديون بالولاء لبيزنطة وتمريض المسيحيون للاضطهاد على يد الفرس في عهد سابور الثاني فاضطر الامبراطور قسطنطين للخروج على رأس قواته (١٥) وفي البداية انتصر الرومان ولكن أنقلب النصر في سنجان ٣٤٨ م إلى هزيمة نتيجة لإهمال وحاصر الفرس نصيبين ثلاث مرات وتم الصلح أخيرا في ٣٥٠ م . ورغم أن جوليان في عام ٣٦٣ م استطاع إحراز النصر على الفرس وأجبرهم على التراجع إلى تجرّيز وحاصره حتى عرض الفرس السلام ، ولكن أصاب الامبراطور سهم قاتل مبعوث المصدر مما قلب مقاييس الحرب لصالح الفرس لعدم مقدرة جوفيان الذي خلف جوليان (١٦) وخاصة بعد الهجوم الخاطف الذي قام به سابور استغلالا لوفاة الامبراطور وطلب الرومان المفاوضة وانتهى الأمر بصلح سنة ٣٦٣ م الذي يعتبر مهينا بالنسبة للرومان عدلت على أساس الحدود ثانية ، فقد قضى باستعادة الولايات الخمس الواقعة

Bury : Op. cit P 93.

Chapot : La Frontiere de Euphrate P 332:

Ostrogorsky : Op: cit P 27:

(١٣)

(١٥)

(١٦)

وراء دجلة ومدينة نصبين وسنجار والتنازل عن مملكة أرمينية لفارس وأصبحت الحدود تمتد في اتجاه الجنوب بين نصبين ودارا إلى نهر الخابور ، ومن فرع الخابور الذي يصل من الفرات إلى قراقرصيا وتبقت للرومان مدن أميديا ، الرها ، ملطية قسطنطينا ولقد استاء الشعب الروماني من هذه الاتفاقية فوفقا للمعاهدات السابقة لم يتنازل الرومان إلا على ولايات نائية (١٧) .

ومع ذلك فإن بيزنطة لم تلتزم بالنص الخاص بعدم التدخل في شؤون أرمينيا بل اعتبرت عدم استجابتها إلى نداء الأرضين التابعين لها في العقيدة تخلى عن مسؤوليتها الدينية فتدخل فالنز في أمر أرمينيا ٢٧٢ م بناء على استجداد أمرائها وانتفى الأمر بعقد هدنة لأن فلانز لم يكن يبغي نقض السلام ، وأجرى ستليكو في عهد ثيودسيوس الثاني معاهدة مع سابور الثالث انتهت بتقسيم أرمينيا قسم مستقل وقسم يتبع فارس وهو الأكبر ، وإن كان يتولى القسم الأول أمير تابع لبيزنطة هو أرشاك وعند وفاته ٣١٠ م . قسمت بيزنطة الامارة إلى خمس استرايات يتولى كل منها استرابون ولكن أكبرهم كان يحمل لقب كونت أرمينيا واستمر هذا الوضع للقرن السادس . وقد اقيمت سلسلة من القلاع لحماية البلاد من الخابور إلى دارا وأميديا وديار بكر (١٨) وكانت الحدود الشرقية لآسيا تتبع الفرات الأعلى وأهم المراكز الدفاعية ملطية في الجنوب وصدقة في الشمال . فملطية على ضفاة مساوية من طرايزون ويصل إليها من سميساط طريق طويل يتبع الشاطئ الشرقي من الفرات حيث توجد أرمينيا التي تكون جبالها حاجزا طبيعيا للدفاع ضد فارس ، ولقد حرص خلفاء ثيودسيوس

(١٧) جيون — اضحلال الامبراطورية الرومانية ج ١ ص ٢٢

(١٨)

Bury : op: cit P 93:

على عدم نقض الهدنة القائمة ولكن في عهد انستاسيوس اندلع الصراع ثانية بسبب العرب المقيمين على حدود كلا الدولتين . فقد كان على حدود كلا الدولتين تعيش قبائل بدوية عربية : على الحدود الرومانية كان بنو غسان الذين هاجروا في القرن الثالث المسيحي متخذين الطريق الموصل بين مآرب ودمشق واتصلوا ببيزنطة واعتنقوا المسيحية (١٩) ويذكر جييون أن ذلك التأثير الديريين المسيحيين كسيمون العمودي والرهبان الذين عاشوا في الصحراء السورية واستغلّتهم بيزنطة لحماية طرق التجارة والتصدي لغزوات الآخرين كما وجدت فيهم أداة صالحة لحماية حدودها ضد توسع الفرس (٢٠) .

ولقد استخدم الفرس في المقابل قبيلة عربية أخرى رعى بنو لخم . أدت لهم نفس الوظيفة فاستقرت في الحيرة وكونت مملكة قوية في جنوب بابلونيون تدين بالولاء لفراس ولقد اشتمكت كلا القبليتين في صراع دائم لحساب فارس وبيزنطة (٢١) ووصلت كلا الدولتين الى أوج مجدها في نهاية القرن الثا في عهد الحارث بن جبلة بن غسان والمنذر بن ماء السماء في الحيرة ولقد شارك في حروب القرن الرابع فرددت المراجع البيزنطية ذكر اسم قبائل الحيرة الذين وردوا تحت اسم العرب بين القوات التي هاجمت جيوش جوفيان في فارس وفي ٤٩٨ م اجتاح النعمان بن المنذر حليف فارس ولاية بيزنطة الشرقية ولكن تصدى له حاكم ملطية والغساسنة بقيادة حجر وجبلة ولكن كلا الدولتين كانت تستخدمها كمنفذ قط ، وعند استنفاد اغراضها تتخلص منهما فعندما تجدد الصراع حول أرمنية ثانية استجد البشاهنشاه قباد بانستايوس وطلب منه مساعدات مالية ولكن الأخير

(١٩) احمد نخري / دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢٢٧

(٢٠) جييون : امجلال الامبراطورية ج ١ ص ٢٢

Amm. Marc. VIX 4.

(٢١)

اشترط سدادها فتجددت الحرب وانتهى الأمر بينهما بالاتفاق على
التخلص من بعض القادة العرب في كلا الطرفين الذين يدينون لهم
بالتبعية .

ولقد قام إباطرة بيزنطة بتحسين حدودهم المشتركة مع فارس
فدعموا الحدود في دارا مستغلين فترة انشغال الدولة الفارسية
بمشاكلها ، وفي عهد جستنيان استمرت الامبراطورية الساسانية من كسرى
انوشروان بالمال في سنة ٥٢٢ م ليستطيع الامبراطور انشرع بحروبه ،
انتهجومية في العرب ورغم انتصاره في دارا وافق على نقل مركز الحاكم
البيزنطي من دارا على الفرات الى قسطنطينة (٢٢) ، وترك التدخل في
أمر ارمينيا . ولقد تجدد الصلح عدة مرات وفي ٥٦١ م عقد سلم لمدة
خمس سنين عاما وكان على بيزنطة ان تدفع في مقابلة جزية مائنة ، ولقد
انتهى الصراع البيزنطي الفارسي في عهد هرقل بعد عشرين عاما من
انتقال بين هرقل وكسرى ابرويز في معركة نينوى في عام ٦٢٧ م . بل
ان سيراويه عند وفاته اوصى بأن يتولى هرقل الوصاية على ابنه .
ويظهر العرب واستبلائهم على ولايت بيزنطة الشرقية ثم اخضاعهم
فارس تجدد الصراع في المنطقة وخلف العرب الفرس كعدو تقليدي
لبيزنطة (٢٣) .

الجرمان :

يمثل الغزو الجرمانى أهم الأحداث في تاريخ الامبراطورية
البيزنطية في القرنين الرابع والخامس الى عهد جستنيان ولقد أثرت
تلك الهجرة الجرمانية في تاريخ الامبراطورية عامة والجزء الغربى

Christensen : op. cit P 281.

(٢٢)

Vasiliev : op cit P 197.

Hussey : op. cit p 16:

(٢٣)

Bury : op. cit p 96.

خاصة فأثرت في الولايات الامبراطورية من بريطانيا الى الغال الى
شمال افريقيا . ومنذ القرن الأول الميلادي عرفت تلك القبائل طريقها
الى اراضي روما وعرفهم الرومان زمن قيصر وتاكتيوس وكتبوا عنهم
والمقصود من الجرمان الغربيين ومقرهم بين الراين والالب وهؤلاء
عرثوا نوعا من الاستقرار (٢٤) .

اما الجرمان الذين هددوا الامبراطورية في القرن الرابع فهم
الجرمان الشرقيين الذين احتلوا الاراضي بين البحر البلطي وبين
الالب والفستولا وكانوا يعيشون بعيدا عن أفق السياسة الرومانية أيام
اغسطس ودومتيان وتشمل القبائل الجرمانية بطرط الوندال البرجندين
اليمبارد الفرنجة الجيبيد السكسون .

ومنذ القرن الثاني الميلادي بدأت تلك القبائل ترتاد اراضي
الامبراطورية وتؤثر في تاريخها فقد اضطرت للهجرة من موطنها نتيجة
لتقلبات الحياة وقلة المراعى وزيادة عدد السكان وتعرضهم لضغط
من كل السلاف والهون الذين اتجهوا من وسط آسيا الى الجنوب
الغربي خلال طريق الاستبس الطويل الذي ينتهي في اراضي المجر
فأتجه فريق منهم الى البلقان ولكنهم لم يمتثلوا خطرا مباشرا على
الامبراطورية واتجه فريق آخر الى ولايات الغرب ودخلوا في صراع
سافر مع الامبراطورية الرومانية منذ عهد ماركوس أورليوس
١٦١ - ١٨٠ م الذي اشتبك مع الجرمان في شمال الدانوب حين
اتجهوا هناك نتيجة لضغط القبائل أسفل الالب في يانونيا (٢٥) . وفي بداية
القرن الثالث هاجر القوط من مصب الفستولا الى الشواطىء الشمالية
للبحر الأسود ومن مستعمراتهم تلك انقسم القوط قسمين شرقي وغربي

Tacitus : The German. trans Bredtbb P 709
Camb : Med. Hist Vol I P 102.

حيث بدأ هجومهم الفعلى واجتاحوا أراضي الامبراطورية فى عهد كل من كراكالا وجيتا وابلاجابا لوس والاسكندر سيريوس ومكسيميان • ونفذ بدأ خطرهم واضحا فى عهد فاليريان ومثل كلا من الفرنجة والالمان والقوط الغربيين خطرا على أمن الامبراطورية ، بل اعتبرتهم آنذاك أكثر خطرا من الفرس ولقد تصدى لهم جالينوس بن فاليريان وشريكه فى الحكم •

نمنذ ٢٤٠ كون سكن وأدى اراين الادنى والوزير اتخاذا تحت اسم الفرنجة واجتاحوا المنطقة من الراين الى البرانس (٢٦) وظهر السويشى والليمانى منذ عهد كراكالا على ضفاف نهر انسين وفى الأماكن المجاورة للولايات الرومانية فى نفس الوقت سارت جموع كبيرة من الانس عبر الدانوب واخترقوا جبال الالب الى سهل لمبارديا ثم وصلوا لرايت وأصبحوا على مقربة من روما ولقد تصدى السناتوجم عن طريق ارساله جيشا فاضطروا للتراجع • وكانت غارات Sarmatians وهم قبائل آسيوية قائمة على حدود الدانوب (٢٧) •

اما القوط فانهم باستيطانهم فى أوكرانيا أصبحوا سادة على السهول الشمالية للبحر الاسود والى الجنوب من هذا البحر كانت ومزجت آسيا الغنية والمسافة بين ضفاف الدنيبر والدنجل الضيق لبحر جزيرة القرم لا يتجاوز مائتين ميلا غفرت اساطيلهم وحاولوا الاستيلاء على Rityus وهى آخر حدود الولايات الرومانية ولكن لم تستطع اساطيلهم اقتحامها • ولكنهم استطاعوا نهب مدينة تارابيزون ، وفى غزوة أخرى وصلوا الى خلقدونونية وهاجموا نيقوميديا وكوزيكوس بل اثينا أيضا •

Bury : op: cit P 5:

Lot : Les invasions Germany ues P 23.

ورغم ان كلوديس ٣٦٨ - ٢٧٠ أصرز استمارا باعوا على القوط
 فان الامبراطور أورليان ٢٧٠ - ٢٧٥ منح القوط إقليم داشيا لحصرهم
 فى منطقة وضمان عدم اعتدائهم على اراضى أخرى فى الامبراطورية
 بتوفير المستقر لهم . وان كان قد جرد قواته فى نفس الوقت ضد
 القبائل الليماني ورغم أن الهجوم الجرمانى خفت حدته فى الفترة
 التالية فأنها لم تنتهى فان الامبراطورية تعرضت لغزوات جرمانية فى
 عهد كلوديوس تاكتيوس وأوروليوس وكاروس ودقلديانوس (٢٩) .

ونلاحظ أن هناك ظاهرة هامة بدأت تتضح فى العلاقات الجرمانية
 الرومانية فى هذه الفترة هى ان الغزو الجرمانى للامبراطورية بدأ
 يتخذ مظهرا آخر الى جانب المظهر الحربى . الا وهو الغزو السلمى
 لأراضى الامبراطورية عن طريق التحاق اعداد كبيرة بالجيش الرومانى
 وتكوينهم فرقا كاملة فى بعض الأحيان ، ووصول بعضهم لمرتبة القادة
 وحدث امتزاج جنسى عن طريق الزواج بين الطرفين ، ودقلديانوس
 عند اعادته تنظيم الجيش وقيامه بحركته الإصلاحية كانت مرتبة
 الجندى ترتفع كلما قل نصيبه من الحضارة ومع قيام الامبراطورية
 البيزنطية وانتقال العنصر الى الشرق فان هذا الاتجاه بدأ
 واضحاً (٣٠) .

وفى نفس الوقت لم يتوقف الجرمان عن محاولة الغزو والتغفل
 الحربى ولقد قضى الامبراطور قسطنطين سنوات عدة فى صراع مع
 القبائل القوطية والسارماتية وخاصة فى الفترة الأخيرة من حكمه ولقد
 طردهم قسطنطين الى ما بعد الدانوب واستبعد آلاف منهم وجعلهم

(٢٩) سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى الجزء الاول ص ٥١

Camb : Med. Hist Vol I P 204.

Ostrogorsky : op: cit P 17:

اقتنان في أرضه (٣١) وحارب قسطنطينوس الألمان في الألزاس والراين وقاد جولين الجيوش الامبراطورية ضد البرابرة في الغال (٣٢) .

ولكن ابتداء الغزو الجرمانى منذ عهد فانتيان وفالتر بأخذ شكل مجرة عامة وأصبح يمثل خطرا على وجود الامبراطورية نفسها وتنام فالنتين امبراطور الغرب بتجريد آلاف من القوط من سلاحهم واقامهم على حدود الامبراطورية . وقام فالتر بالاستجابة لنصيحة أخيه بالهجوم على اندانوب في ٣٦٦ - ٣٦٥ م وأجبر الجرمان على توقيع معاهدة سلام واقسموا على عدم التدخل عن ولائهم لبيزنطة ولقد تعرض الجزء الغربى لهجوم العناصر الجرمانية كالان و أسكنين والفرنج والقوادى السرماسيين فانتمصر فالنتين على الجرمان في ثلاث معارك وفي الحدود الشمالية ظهر الولايات من السكسون والفرنج (٣٣) .

واما الجزء الشرقى فان الوضع أخذ شكلا مثيرا عند تقدم القوط في ٣٧٥ م الى الامبراطور فالتر للسلام لهم بدخول الى اراضى بيزنطة نتيجة لضغط الجون . فغير ما يترتب من مليون ومائة ألف واستقروا في ٣٧٦ م على انفسهم من الدانوب واعتبروا معاهدين في مقابل تقديم المساعدة العسكرية ولكنهم في ٣٧٨ م ثاروا ضد الامبراطور ونهبوا اراضى المجاورة فخرج الامبراطور للاقائهم في ادريانوبل ولكنه هزم وقتل هو وقواده . وتقدم القوط من ادريانوبل الى اراضى الامبراطورية الشرقية بل سعوا الى مفاجأة العاصمة

Camb : Med. Hist. Vol I P 220.

(٣١)

Ostrogorsky op: cit P 47:

(٣٢)

Camb : Med. Hist Vol I P 220.

(٣٣)

القسطنطينية ووصلوا فعلا إلى أسوارها ولكن اضطروا للتراجع أمام مناعتها إلى تراقيا (٢٤) .

وكانت مشكلة القوط هي أول المشاكل التي واجهت الإمبراطور ثيودسيوس ورأى الإمبراطور أن محاولة القضاء على القوط عن طريق الهجوم المباشر لم تعد مجدية أمام جحافلهم فسمى لاستئجارهم عن طريق التنازل عن بانونيا وموآسيا العليا إلى القوط الشرقيين ، وبذلك استقر البرابرة على الحدود الشرقية وعرفت تلك التسياسة باسم Foedus . وفي ١٢ أكتوبر سنة ٢٨٢ م عقد الإمبراطور معاهدة مع القوط الغربيين وسمح لهم بالأقامة في موآسيا السفلى ولقد أفاد كلا الجانبين الجرمان والإمبراطورية غلب ولكن مع الوقت لم تحقق ما يرجوه الطرفان فلقد حصل الجرمان على حق التشريع المحلي واختيار أمرائهم في مقابل حماية الحدود واعداد فرق يقودها قادة منهم ، وكانت الأراضي التي حصنوا عليها لا تخضع للنظام الضريبي الإمبراطوري ولا تدفع جزية . ولقد منح من انخرط منهم في سلك الجيش الإمبراطوري مرتبات عالية ، وبعضهم دخل تحت الخدمة المباشرة للإمبراطور (٢٥) . ولقد ترتب على ذلك أن أصبح العنصر الجرمانى هو السائد في الجيش وتولى عدد كبير من القادة تجرى في عروقهم دماء جرمانية ، ولقد عوض هذا نقص الرجال الذي عانى منه الجيش . ولقد اعتبر ثيودسيوس سياسته تلك نصرا . ولكن مع المدى الطويل فأنها تمثل سلاما مؤقتا فمن الصعب على هؤلاء البرابرة أن يصبحوا جنودا نظاميين أو أداة طيعة في الجيش الروماني وكان الجهود التي بذلت لصبغهم بالصبغة الرومانية ذهبت هباء بل أن

Vasiliev : op: cit P 78:

(٢٤)

Lot : Les invasions P

(٢٥)

Vasiliev : op: cit P 87:

أدانيوب فيما عدا دوبرد وزا أقتطع من بيزنطة بل أن إرياد أعداد القوط في الجيش اعتبرت خطرا عليه ، ومعظم القوط كانوا أريوسيين والبقية تمسكوا بوثنيتهم ولذلك لم يدم السلام طويلا (٣٦) .

وأصبح الجرمان عند وفاة ثيوديسيوس موزعين كما يلي : على حدود الراين كان الفرنجة في الشمال ثم مجموعة قبائل معاهدة للامبراطورية وهم الألمان ، وفي الجنوب الفرنجة وكانوا قسمين Salians وفي شمال الراين ، Raanons في منتصف الراين وتمتد حد دعم جنوبا إلى المينز حيث تبدأ أراضي الألمان في هولندا وغريزيا . والسكسون أراضيهم تمتد من شمال البحر إلى وستفانيا ، Thuringians حول الغابات التي ماتزال تحمل اسمهم (٣٧) . والآنجلز حول غنتسبه جزيرة دانفيس ، الماركوماني في بوهيميا Siling من قبائل الوندال في سلسيا وفرع آخر من الوندال هو Asding في ثييس وبجانبهم Rugians فرع آخر من الجرمان Gepids وهم أقرب العناصر إلى القوط في شمال داكيا و Scirians في داكيا والقوط الشرقيين في شمال شاطئ البحر الأسود وأسطولهم Heruls الذين اتجهوا في القرن الثالث بعد تركيم السويد ، أما بانونيا فسقطت في أيدي البرابرة الهون والآن وقسم من القوط الشرقيين ، أما داكيا فقد اجتاحتها الهون (٣٨) .

ويجب أن نفرق بين شطري الامبراطورية عند التحدث عن الغزوات الجرمانية فقد استطاع أباطرة الشرق انقاذ أراضيهم بالتخلي

Bury : op: cit p 99:

(٣٦)

Bury : Op: cit P 99:

(٣٧)

Oman : The Dark Ages P 16:

Oman : Op: cit P 16:

(٣٨)

عن الغرب القبائل الجرمانية تسيطر عليه وتكون ممالكها المستقلة التي لاتدين إلا بسيادة لسمية للإمبراطورية لشرقية غنى عهد زينون استطاع أحد قادة القوط الاستيلاء على الحكم فى إيطاليا واستمر فى الحكم من ٤٧٦ - ٤٩٠ م وأرسل سفارة الى القسطنطينية من أعضاء سناتوروما تطلب ان يمنح أودواكر لقب شريف ويتولى الحكم كنائب عن الامبراطور ومنح فعلا لقب (Magister Militum) (٣٩) وغى نفس الوقت آثار فى الجزء الشرقى الاضطراب اثنين من القادة الجرمان هما ثيودريك سترابون فى قراقيا وثيوديرك أمالى فى ولاية اليريا وأخذ الامبراطور يستعين بكل منهم ضد الآخر ولقد ظلمه الموت من ثيودريك سترابون اما ثيودريك أمالى القوطى فقد دفعه الامبراطور الى الاتجاه الى إيطاليا وانتزعها من أودواكر وباستيلاء ثيودريك على إيطاليا قامت مملكة انقوط الشرقيين باعتراف الامبراطورية وموافقة زينون ، وإن لم تكن هى المملكة الجرمانية الوحيدة فقد قامت عدة ممالك جرمانية على أراضي الامبراطورية انقوط الغربيين أسوا مملكة فى اسبانيا وفلوندال فى شمال افريقيا ثم مملكة الفرنجة والبرجندين والسكسون (٤٠) . وكانت محاصرة جستنيان فى القرن السادس القضاء على الممالك الجرمانية واعادة وحدة الامبراطورية هى آخر محاولة جدية .

الجرمان والشرق البيزنطى :

واذا كان الغرب سقط فى أيدي البرابرة فإن الشرق أيضا تعرض ل تلك الغزوات وإن كانت أقل حدة الى جانب ما تمتع به القسطنطينية

• Ostrogorsky : op: cit p 58:

• Bury : op: cit p 99:

من حصانة ومناعة طبيعية (٤١) . ولكن تعرض الجزء الشرقى للغزو
المسلمى منذ عهد قسطنطين . وبدأ تأثير لعنصر الجرمانى واضحا
فى السياسة الداخلية للدولة البيزنطية فافضل فى انتخاب قسطنطين
يعود لجيش بريطانيا وقائده الجرمانى حيث أعانوه ضد ليسنيوس
وبدا امتزاج الجرمان وتزارجهم بالرومان ويقال أن ثيودسيوس الثانى
كانت تجرى فى عروقه دماء جرمانية وابتداء من عهد اركادىوس
وهنريوس تغلغل الجرمان وقادتهم فى حياة الامبراطورية فستليكو
قائد المغرب قوطى ورفينوس الوصى على اركادىوس امبراطور الشرق
جرمانى (٤٢) ، وكان ستليكو متزوجا من احدى قريبات الامبراطور .

وبعد التخلص من رومنيوس تولى الخصم اوتربيوس الوصاية
على الامبراطور وسبى جانياس القوطى على الامور فى البلاد وحين
قام خلاف بينه وبين الامبراطور يودوكيا زوجة اركادىوس انتصر
فيه جانياس ونفى انصار الامبراطور . وتمددى جانياس فى تسولاته
وحاول الاستيلاء على بعض الكنائس فصاح القوط غثارا الى
القسطنطينية عليه وتخلصوا من القوط فى مذبحه فى كنيسة القوط
الارثوذكس ، واضطرت بقاياهم للتراجع الى خرسون لكى يعبروا
لآسيا وهرب جانياس عبر الدانوب حيث قتل . وتكرر هذا الموقف
بعد وفاة ماركيان فقد قام القائد الجرمانى اسبار بتعيين ليو لعدم
استطاعته تولى العرش بوصفه بربرى ، وحول منع الامبراطور من
ممارسة سلطانه فحاول هذا التخلص منه عن طريق الاستعانة
بالايورنيين وبعد صراع بين الطرفين انتهى الامر بمقتله فى ٤٧٩ م
هو وأولاده ، غالى الشعب البيزنطى لما يؤلوا جهدا فى التعبير عن

Vasiliev : op: cit p 92:

Camb : Med. Hist Vol I p 469.

Hussey : Op: cit: p 14:

(٤١)

(٤٢)

يسخطة من تحكم العناصر الجرمانية ورغبتها ان يتولى حكمة متعبرين
أقل منه منزله (٤٢) ورغم ان محاولات البيزنطيين التخلص من
العناصر الجرمانية داخل الدولة كتب لها النجاح على الجزء الشرقي
فانها أدت الى نقص فى الجيوش الامبراطورية التى تعتمد اعتمادا
كبيرا على تلك العناصر الجرمانية .

٣ - شعوب وسط آسيا وأستبىس روسيا :

على حدود الامبراطورية فى الشمال والشمال الشرقى فى مناطق
البلقان والبحر الأسود كانت الامبراطورية على صلة بعدد من الشعوب
والتي تنسب الى الجنس Ural Alatis ومجموعة Uralic تشمل
ثلاث أجناس الأول الفن الفنش والمولدافين والثانى Uralic ويشمل
المجرين و Voguls والثالث Alatic يشمل الترك المغول
Manchul Tunguse

وكانت أهم القبائل التي تنسب الى هذا الجنس والتي ارتادت
الدولة البيزنطية فى الفترة الأولى اللان والهون وقد أثرت تلك
الشعوب وتأثرت ببيزنطة واستطاع السلاف صبح البلبونيى بالصبة
السلافية رغم اختفائهم كدونة وتنظيم سياسى وظل اسمهم علما على
المتنقة (٤٤) .

ومع بداية القرن السابع ظهرت قبائل أخرى تنتمى لنفس الجنس
ومم الصرب والبغار والمجر الذين استطاعوا الاستقرار فى البلقان
وتكوين ممالك مستقلة ارتبطت بالود أحيانا والعداء أحيانا أخرى

Brooks : The Emperor Zenon and the Lsaurians (٤٢)

P: 216:

Runicmau : Byzantium and the slavs p 339.

مع بيزنطة ومع ذلك فقد أثرت بيزنطة عنائديا وثقافيا ومضاربا في تلك الشعوب وظل تراث بيزنطة وكنائسها الارثوذكسية قائمة رغم زوال سلطانها السياسى .

ولقد شهدت المنطقة في القرن السابع ق.م هجرة عدد من شعوب استتبس روسيا ووسط آسيا فطرد السكتيين والسرمانيين . ولقد غادر السكتيين جنوب روسيا واجتاحوا امديا في ٢٦٣ وتقدموا للعراق وسوريا ومصر فلا ان حردهم Cyaxares من ميديا واعدوا الى البلقان ثانية ، وفى الشمال العربى منهم كان السلاف والفرن .

ولقد تجاوزت تلك الشعوب مع مجموعة المستعمرات الاغريقية Chresonesas, Pahtio, Tyrus Theodosia, Olbia: التى على ابحر الاسود ويقال ان سكان المنطقة الاصليين هم Tauri ولقد نامروا محاربا باقتضائهم بالانغريق وكانت ملكتهم تتألف من بعض عناصر يونانية وميديين نصف منحصرين (٤٥) ، وكانت عاصمتها تقع على المضائق التى تصل بحر اوف سائيتو الاسود . ولقد بعثت كدولة مستقلة منذ حرب البونينى حتى استولى عليها مترايدتس ثم سقطت مع بقية ممتلكاته فى ايدي الرومن . وبغى حكامه السنفور منذ عيد اغسطس حلفاء متواضعين ولكنهم ذوى نفع للاعمال البحرية ولقد وقفوا سدا منيعا فى وجه قطاع الطرق والقرامسة من اهل سارماشيا وحاولوا دون تدهمهم فى بحر الاسود وآسيا الصغرى . وفى القرن الثانى الميلادى اندفعت هجرات جديدة الى شمال البحر

(٤٥) جيبون ، انحلال الامبراطورية الرومانية .

Bury : op. cit 101:

De Guignes : Hist des Huns 4 vols:
Bury : op: cit p 101.

الأسود والحد ، الغربي من الاستس المنطقة القبائل الجرمانية وخاصة القوط والجزء الشرقي هذه الهون الآسيويين .

ولقد ظلت مملكة القوط غربيين في الهضاب جنوب روسيا وفي مناطق على حدود الاسود ودخلت القوط أراضي بمنطقة في البلقان واشتبكوا في سراج منها . وفي ٢٧٥ م اختفى القوط من شمالى انبحر الاسود واتجهوا لأوربا وان كان قد بقي جزء صغير منهم في القوقاز .

وفي عهد فالنر ظهر الهون في جنوب غرب البحر الأسود وبظهورهم بدأت فترة جديدة في تاريخ المنطقة فقد اندمجت جموعهم لجنوب روسيا وسيطروا على اللان والقوط الغربيين ثم طردوا القوط من داكيا (٤٥) .

والهون ينتمون الى الجنس المنغولي الذي تفرعت منه الاجناس التي ينسب اليها كل من الجر واليون والصرب والبنغار ولقد أقسام الهون مراعيهم في المناطق القريبة من الخليج الفارسي وبشمالية آرال ولكن بسبب الأحداث السياسية في شمال وقلب آسيا ونتيجة ضغط عجرات وسعوب أخرى وقلة المراعى وصعوبة الحياة اتجهوا الى الغرب . وكان هذا اثناء ارتفاع شأن امبراطورية Zhu-Zhu لصينية ولقد مدوا نفوذهم على منطقة من حدود كوريا الى حدود أوربا والبعض ينسب الهون الى Hiung-hu وهم إحدى القبائل التي سيطرت على أراضي الصين فترة . ويذكر Bury ان كلمة الهون تحريفا

Bury : op: cit p 101.

Hodykin : Italy and her Invaders:

Troplong : La diplomatie d'Attila "Revue de Hist XVII 1906"

P 59 Camb: Med, Hist: Vol I P 360:

لأسم تلك الأسرة أو القبيلة . وان كان البعض ذكر ان المصبيين قد أطلقوا عليهم هذا الاسم وهو بمعنى تحيد وبلا حظ ان اغلب القبائل والشعوب ذات الأصل الآسيوي التي اجتاحت لمنطقه خضعت فتره من تاريخها لسيطرة امبراطورية الصين .

ولقد بدأ خطرهم ملموسا منذ عهد سيودسيوس الثاني حتى اصبحوا اكثر تهديدا للامبراطورية من الجرمن باستقرارهم في ادرما ونقسم انهم قسمين يحكم كل قسم امير وان كان القسمان قد اربطوا معا بمعاهدات وفي القرن الخامس دخلا في اتحاد سياسي . فالملك Rugilas وحد اغلب القبائل تحت سلطانه وخاصه ايضا حتى سهل المجر ، وخضعت لسلطانه مجموعه من الشعوب البربريه سمل سلاف وجرمان وسرمشيين(٤٦) .

ولقد ارتبط Rugilas بعاصمت صيبه مع ايتوس قائد من الامبراطورية . ولقد دفع حكام الجزء الترمي جزيه لليون بعد مهاجمتهم لتراتيا . ولقد منحوا خمستقر جزء من بانونيا ووديه سيواس وبعد وفاة راجليز حقه Rugilas, Attila وكان الحزم مشتركا بينهما وان كان كل واحد منهما يتولى الاشراف على قبائل معينة ولكن في السياسة الخارجية كانت هذه سياسته موحده(٤٧) .

توسعت اتتالا وشريكه ليمسك سلتانتهما على مناطق جديدة فاقضعوا المسكتيين و Rugilas(٤٨) ووصلوا الى البحر الاسود بل وصلت مملكتهم الى اميديا في فارس . وبالنسبة لبقية الشعوب

Lot : op: cit p 208:

Ostrogorsky : op. cit: p 59.

(٤٦)

Hussey . op : op. cit p 38:

(٤٧)

(٤٨) جنس من اسل سكي اتاموا في جنوب روسيا

Camb New Hist Vol I p 360

المبريرة فقد دفعت له الجزية فبازل اللان واعداد كبيرة من السلاف
 حصا من قبائلهم تمام في الفستولا والباقي مضى هاربا أمام
 السد الهوتي إلى الجنوب ولقد ضمت القائمة التي تشمل الولايات
 الخاضعة له أسماء الألمان والقوط الشرقيين والماركوماني والبرجندين .
 ولقد انضم اليهم اعداد من الفرنجة والجرمان في مجيهم على
 سنة ١٨١ م . ورسلت حدود الهون إلى الراين (٤٩) ولقد نظر أتيلا
 إلى تلك الشعوب كعبيد له من حقه التمتع في حياتهم وممتلكاتهم .

ولقد هاجم الهون شطرى الامبراطورية ففي ٤٤٧ م هاجموا
 تراقيا ووصلوا إلى أسوار القسطنطينية واضطر ثيودسيوس الثاني
 لسراء سلمهم بالمال . ولقد اضطر شطر العرس لاتخاذ نفس
 الموقف فوقع معه التائد اتيوس اتفاقية نصت على حد . واه
 على لقب Magister Militum وجزية سنوية . ولكن اتيلا عاود
 الهجوم على الغرب بسبب قرار بعض الأفراد التابعين له ولجؤهم
 إلى الأراضي الرومانية ، فرد على ذلك بحرمان الامبراطورية من
 الحصول على المدد البشرى من الجند من الولايات التي خضعت له .
 وانضم القوط الشرقيين إلى جانب الرومان في معركة سالون التي
 انتهت بهزيمة اتيلا وارتداد الهون إلى الراين .

ولكن عاود اتيلا الهجوم على ايطاليا ٤٥٦ م وخرج البابا
 بنفسه لمفاوضتهم ولقد سارع اتيلا بمقابلة اتيلا حين سمع بتقديم
 جيوش ايتيوس في مقابل جزية ، فلم يكن هدف اتيلا القضاء على
 الامبراطورية الرومانية بل استنزافها مدية ودمارها ولكن انقذت
 الامبراطورية بسبب وفاته في ٤٥٣ م . حيث قسمت الاماكة بين ابنائه

Hussey : op: cit: p 39:

Troplong : op: cit: p 541-568:

Eranc, Degisich, Ellak ولكن الملكة لم تستمر بهذه طويلا
لأنه كان يعتمد على شخصيته كقاتل .

ولقد دفع الهون أمامهم بالعديد من القبائل وأشعوب الى
البلقان والبحر الاسود وآسيا الصغرى وكانت غالبية تلك القبائل
التي انتشرت في المنطقة نتيجة لضغط الهون ترجع الى أصل تركي
كالبلغار والافار والخزو والبيجناك والكومان والمجر وانغز . ولكن تلك
الشعوب لم تظهر على مسرح التاريخ كتوف فعالة الا في القرن
اساس .

واما أهم تلك الشعوب فكانت السلاف الذين أعطوا اسمهم لأغلب
تلك القبائل المعروفة المناطق التي استقرت فيها تلك القبائل بأخري
اسلاف وبدأ ظهور قبائلهم في منتصف القرن السادس مصادفة
مهما في تجوالها قبائل Avaric وبدأ اجتياحهم المثلث في عهد
جستينيان في نفس الوقت الذي اشتبك فيه الافار مع الاسراعية
فاستغلوا هذا الصراع واستقروا في جنوب الدانوب (٥) . أما السلاف
الشرقيين فقد استقروا في الشرق والشمال والشرق لروميا واستمتع
الافار الاسيلاء على سيرميوم واتاح هذا للسلاف الوصول الى أسوار
القسطنطينية ، وكانت الامبراطورية في تلك الفترة مشغولة بحروبها مع
فارس ولكن حين انتهت صراعاتها هناك وجدت ان السلاف قد استقروا
في شمال غرب شبه الجزيرة (٥١) .

وفي ٥٩٧ م بدأت موجة جديدة من انغزو السلاف ، واشترك
مهمم البلغار والافار فغزوا المنطقة من سراسيوم الى مورافيا ومن

Labuda : Chronologie des guerres de Byzance p 67. (٥٠)

Runieman : Byzantium and the slaves p 330.

Diehl : Justinian p 455.

(٥١)

Bury : op: cit: p 39:

Labuda : op: cit p 187

الدار الى سالونيكيا ولم تستطع الدولة فعل شيء بسبب أحوالها
السياسية الداخلية وحروبها الخارجية في عهد ثقفور وهرقل . وفي
القرن الرابع من القرن السابع كن كل شبه جزيرة البلقان ما عدا
الشاطئ ، أما قد احتلها السلاف وانقسموا قسمين السلاف
الشرقيين الذين اجتاحتوا البلقان وسيطروا على بوسنة ورومانيا
والتتار . ومع ذلك عند بحر Azove وإقاموا علاقات مع الشعوب على
البحر الأسود (٥٢) .

وسلاف الغرب على حدود الأراضي الجرمانية كانوا مملكة
تزعما شخص من الفرنجة يدعى Same ولكن بعد وفاته انهارت
ملكته ولم يستطيعوا ان يقيموا مملكة الا بعد قرنين ، وقد أجبر
هرقل سلاف البلقان على الخضوع لملكه ونشر ملكه سائر
واستطاعت بيزنطة احتوائهم عن طريق تأديتهم بتضاريسهم وتقيدتهم
وتقاليد بلاطها .

ومنذ القرن السابع عبرت شعوب أخرى آسيوية الأصل هي
هي البلغار والافار الى المنطقة ودخلت في صراع مع الامبراطورية
انتهى باستقرارها الدائم في أراضي الامبراطورية واغتنامها بالافار

Runicman : op: cit p 340:

John of Ephesus trans Schonfelde p 255:

Ostrogorsky : op: cit p 74.

الفصل الرابع

التاريخ السياسي

قسطنطين وعصره

« دامت الامبراطورية البيزنطية من مايو ٣٣٠ ألفا ومائتين وثلاثة وعشرين عاماً وثمانية عشر يوماً ونفى كل هذه القرون الطويلة ظل عاجل واحد ثابتاً لا يتغير في كل ارجاء الامبراطورية الدائمة التغير مومان امبراطورا رومانيا كان يحكم في القسطنطينية حكم العظمة الاوتقراطية وكان الامبراطور في تلك الامبراطورية محورا يدور حوله كل شيء فمن الطبيعي والمناسب الى أقصى حد ان يقسم تاريخها حسب الاسرة المالكة التي تعاقبت على العرش » . (ستيغن رنسمان) .

الامبراطورية الرومانية في نهاية القرن الثالث :

تعرضت الامبراطورية الرومانية مع نهاية القرن الثالث للازمات عديدة شملت اقتصادها وحياتها الادارية والمالية والاجتماعية ولم تكن تلك الازمات وليده هذا القرن بل تراكمات من الفترات السابقة بدأ اثرها واضحا في هذا القرن ، وفي الجزء الغربي من الامبراطورية خاصة الذي ساعد اندحارا مدلا في عدد السكان وانهيئارا في حياة المدن (١) ، واضمحلال في الصناعة والتجارة ، ونمو للضياع الكبرى على حساب الملاك الصغار ، واختفاء الطبقة الوسطى نتيجة لزيادة الاعباء والضرائب (٢) ، وزيادة عدد الاقنان المرتبطين بالأرض بسبب

(١)

Jones : The Greek city from Alexander to justinian p. 58:
Rostovezeff : Social and Economic History of the Roman
Empire 787.

Bloch : l'Empire Romain p 188:

(٢)

الحالة المأساة للإحدى العاملة وتغير - غلبه - فيه اتجاه بالذميمة وسوء
 والمهر أصبح من الصعب على الشخص الفكاك من طبقته والتزاماته
 واقد شمل هذا الاضطراب المنصب الامبراطوري نفسه فأصبح قادة
 الجيش يتدخلون في تولية وعزل الابطرة ، بل احتفظ حكام الولايات
 بكتائب تحت تصرفهم . وانهار نظام الدفاع الذي أوجده الابطرة
 الأوائل بسبب - ذلك - عزوات الشعوب المتبربرة على حدود
 الامبراطورية . وتعرض الجهاز الاداري للتضارب بين السلطة
 المركزية والولايات رغم سعي الابطرة منذ عهد اغسطس لتأكيد ساطة
 الدولة ولكن لم يتحقق هذا نتيجة انه سمح لكل ولاية بأن تحتفظ
 بكثير تقاليدما وعاداتها المحلية فأصبح لكل منها نظام يخالف نظام
 الدولة الرسمية وقامت الدولة بانقاص حجم الولايات مما استتبع
 زيادة عدد الموظفين ، واضطراب الادارة ووضع السناتو في الادارة
 الامبراطورية أهمل ولم يعد أحد يأبه بنظام Dyrachy أو الحكم
 الثنائي .

والاقتصاد مرآة صادقة تعكس الاستقرار والاضطراب في
 أوضاع الدولة فالثورة موزعة توزيعا غير عادل والضرائب عالية وغير
 منتظمة وتختلف من ولاية الى ولاية وتعددت وظائف المشرعين
 الأولى قيمتها *serarium Saturin* وكانت هناك أنواع
 عديدة من الضرائب بعضها تفرضه السلطة المحلية وبعضها السلطة
 المركزية وكانت كل حرفة من الحرف تدفع ضرائب معينة وخضع لرب
 البلديات *Curiales* وتقباء الحرف *Cooperations* لضرائب
 باهظة الى جانب خدمات مدنية كان عليهم تأديتها ، ولم يكن في

Cambridge Ancient History Vol XII p 109:

(٣)

Rostovzeff : op. cit p 787.

Bloch : op. cit p 168 - 194.

بداية عهد الامبراطورية اجبار على تقديم حصة مدالة يمكن بدأت
فى شكل ترغيب بالاعفاء من الضرائب وضع اجر ثم اصبحت اجبارية
ولقد صاحب هذا انقيار فى ارض العملة المتداولة وشلا حظ أن العملة
ظلت متحفظة بقيمتها فى انقاره بين انسطس وسيفريوس (٤) .

وبدا التدور فى قيمة العملة منذ عهد كراكلا وفى عهد اورليان
لم يتجاوز حجم الفضة ٥٪ من نسبة العملة وبعد ذاك وصلت ٢٪
وهذا معناه ان الضرائب ستبطل بقيمتها وخاصة لو علمنا ان عددا من
الضرائب التى تأخذ عينا تأخذ نقدا (٥) .

ولقد حاول اورليان على عمدا الأساس زيادة قيمة الضرائب
المجسوة لأن قيمة العملة النقدية فى عهده انخفضت مما كانت عليه
من عشرين ناعما سابقة ولقد اعتبر الشعب عمدا ظلما واستبدادا من
الامبراطور فى حين اعتبرها هو نوعا من العدالة .

واضطرت الدولة لاصدار عملة هى Folles (٦) مصنوعة من
المعدن منذ عهد الانطونيين وهذا النظام الضريبى انعكست آثاره على
المجتمع الرومانى فلقد ازداد الاغنياء ثراء ونمت الضياع الكبرى
Latifundia نتيجة - نتجت به أصحاب الاقطاعيات الكبرى
من اعفاءات وامتيازات مما جعل عدد كبير من صغار الملاك يتنازل عن
اقطاعه لكبار الملاك تخلصا من اعبائه الضريبية : ولقد حاول عدد
كثيرا الفرار من اراضيهم وولاياتهم لزيادة تلك الاعباء عليهم
مما استتبع فرض نظام السخرة والاجبار (٧) بالنسبة لجميع الطوائف

Zosimus · Historia Nova Ed Mendelssohn "Leipsic 1887" p 38:

Rostovzeff : op: cit p 787:

٥٥) folles عملة فضية صدرت فى عهد كراكلا وأصبحت

بعد ذلك من المعدن .

(٧) هارتمان : الدولة والامبراطورية ترجمة جوزيف نسيم ص ٧

سواء كان أعضاء سناتور أو حربيين وأصبحت كل طائفة ملزمة بسداد
أعباء معينة وأدى هذا شئ إلى اختفاء الطبقة الوسطى (٨) .

هذه المشاكل التي نتجت واجهت دقلديانوس حين تولى عرش
الامبراطورية الرومانية ٢٨٤م ، ومنذ البداية سعى دقلديانوس لايجاد
نظام اصلاحي شامل للامبراطورية بدأه هو واكمنه قسطنطين . ولكن
من الخطأ أن تعتبر هذه أول محاولة جادة لاصلاح انظم والمؤسسات
الامبراطورية فمنذ عهد أغسطس والادارة الامبراطورية دخل فيها
كثير من التطورات . دقلديانوس أوجد أسس النظام الجديد واكمنه
قسطنطين ثم ترك خلفائه ادخال التعديل اللزم الذي يتلائم وظروف
كل فترة . وكانت اصلاحاته تتركز فيما يلي تركيز السلطة في يد
الامبراطور وجعلها أكثر مركزية فهو واضع الأساس الفعلي
للاوتقراطية وأسس النظام البيروقراطي في الادارة (٩) . وكان
هدفه فصل السلطة المدنية عن العسكرية وعدم سماحه بتجميعها في
يد شخص واحد ، وجعل كل جهاز رئيسا على الآخر وادخل التعديل
على النظام الحربي للامبراطورية ، رغم عظمه سقطت واسعة
لخمباطه فإنه أحكم السيطرة عليهم وكان الجيش في ربه هو قوة
الحقيقية التي تضع الحدود للسلطة السياسية (١٠) .

وكان الامبراطور يرى أن الامبراطورية أحكم من أن يحكمها
حاكم واحد ولذلك قسمها إلى قسمين ولكن عد لايعني وجود

Ostrogorsky op cit p 33

Rostovtff op cit p 787

Lot . Fin de Monar Antique p 99

Lot op cit p 99

Rostovtff op cit Vol i p 787

٢٨٦ م له نفس السلطات والمزايا التي للآخر ، وجعل لكل من النصفين
 عاصمة فجعل عاصمة الجزء الغربي ميلانو التي تتحكم في ممرات
 الالب ليسهل تحريك قواته ضد البرابرة . وجعل نيقوميديا عاصمة
 للجزء الشرقي لادراكه لأهمية الشرق حيث المملكة الفارسية وفصل
 الشرق عن الغرب ليس ولتيد تنظيمات القرن الثالث فمئذ القرن الأول
 كان هناك مشرف أو سكرتير اغريقى لولايات الشرق Libellus Graecis
 ولللاتين Libellus Latinis وكان الاختلاف بين السطرين حضاري
 واضحاً ولم تستطع روما ان تؤثر كثيراً في الشرق اليونانى وقرر ان
 كل أغسطس عليه أن يختار قيصرًا ليعينه في إدارة الدولة وليصفه
 في حاله وفاته وبذلك وجدت السلطة الرباعية Tetrarch واختير
 نائباً له Gaius Galenus واختار ماكسيميانوس شريكه
 Constantinus Chlorus غسيفر ماكسيميانوس على المناطق
 الشمالية من الراين الى الدانوب الى جانب غربيه وكانت عاصمته
 ميلانو . وقسطنطينوس على بلاد الغال وبريصيا وسبانيا ومقره
 Treves وجاليرنوس البلقان وجزء من آسيا صغرى ومقره
 Sana أما دقلديانوس فحكم القطاعات الشرقية مصر ومرتبة
 وآسيا ومقره نيقوميديا ، أصبحت أقسام الامبراطورية الاداريه
 الأربعة كما يلي :

إيطاليا ، اليريا ، غالة ، الشرق ، حاكما الشرق وايطاليا يحترقان
 لقب Augustus حاكما اليريا والغال Caesar يقال ان دافعه
 لهذه التنظيمات كان مواجهة غزوات البرابرة .

ولقد تبنى كل من الامبراطورين أحد القيصرين ، دقلديانوس

جالينوس ومكسيميان قسطنطينوس والزمّا كل منهما بطلاق زوجته السابقة وزواج ابنته (١١) .

وبالنسبة لسلطة الامبراطور فان الهدى الاساسى من التشريع سواء كان حربيا أو اداريا كان جعل السلطة الفعلية فى يد الامبراطور الحاكم (١٢) وتحقيق الاوتوقراطية الملكية المستمدة من النظم الفارسية . ولم يعد من حق شخص أو فئة معارضة الامبراطور المؤلة وبدأ يختفى عن انظار العامة ليضفى على نخبة عداسة وأبتدع أشكال ومراسيم جديدة لبلاطة وأحاط نفسه بطائفة من المؤمنين مهمتهم رعايته والحفاظ عليه ، وكان يقوم على حراسة قصره طوائف من الضباط عرفوا باسم Schools اما الغرف والحجرات الداخية فقد حرسها الخصيان وكان يرأسهم Praepositus Sacri واتخذ القاج والثياب الذهبية وتولى ادارة ممتلكاته الشخصية Cubiti بل أصبح دخل الدولة يعتبر دخلا خاصا بالامبراطور Sacred Largesses ولقد ظلت الاوتوقراطية بأجهزتها المختلفة تتحكم فى الامبراطورية الى سقوطها (١٣) وكان أهم وسائل الاوتوقراطية للسيطرة عدم تاحة انفرصة لأى حاكم عسكرى أو مدنى للتمتع بسلطات واسعة أو نفوذ قوى فى ولايته . وكان هذا دافعا لانقاص حجم الولايات غاسبانيا مثلا قسمت ست أقسام والغال خمسة عشر قسما فقد سبق أن استخدام القواد العسكريين ما تمتعوا به من موارد فى ولايتهم للثورة

Empire Chretien p 275.

Bury : op. cit p 18.

Lot : op. cit p 99.

(١٢) جيون : افسحلال الامبراطورية الرومانية ج ١ ص ٢٨٦ .
Dunlop : The office of the Grand chamberlin in the later Roman Empire and Byzantine p 4.

لزيد من التفاصيل عن الاوتوقراطية راجع الفصل الثنى .

واغتصاب العرش ، وغى نفس الوقت لم يسمح لشركه بالاقامة غيرة
طويلة فى مركزه وأصبحت الولايات تابعة امبراطورية تحت غى
جميع أمورها الى الاوتقراء الحاكم واحد قسمت الامبراطورية الى
أربع وحدات •

غالبا وايطاليا والشرق تمت قيادة Praetorian prefect
اما الولايات الغربية كآسيا وافريقيا شمال حاكمها لقب proconsul
ولقد تمثلت تلك الاملاجات الادارية فيما يلى : انقاص حجم الولايات
الضخمة بين الشخصين المدنية والعسكرية ، نولى اثنان من الموظفين
الكبار وكانت الصلة بين حاكم الولاية والامبراطور ، ومنح الحاكم
المدنى سلطات واسعة وتمت الامبراطورية الى اثنا عشر دوقية
Diocese يحكم كل منها Vicarius وتتضم كل منها عددا من
الولايات وبلغ عدد الولايات مائة ولاية . وكانت فى عهد تراجان
خمس وأربعين وكان كل من Vicarius وحكام الولايات يرسلون تقريراً
كل عام عن سير الادارة والفيكاروس كان مسؤولاً أمام الامبراطور
وليس مندوباً عن prefect ولم يكن من حق أحدهم فرض ضرائب ،
وكان لايطاليا وضع خاص فترغم انها دوقية واحدة فكان لها
اثنين Vicarius واحد فى ميلانو والآخر فى روما وذلك لاختلاف
الضرائب فى كلا القطرين • وقد حرم أن يتولى رجل وظيفة فى
موطنه وكان الهدف من هذا بسط سيطرة الامبراطور الكاملة على
الولايات وأحكام الرقابة (١٤) •

The Notitia dignitatum Trans. Bury X.

(١٤)

Ensslin : The Emperor and imperial administration p 231.

Bury . op. cit p. 26.

Camb : Med. Hist Vol I p 30.

أما نظام الجيش فقد أبدى دقديانوس اهتماما كبيرا لما عانته
الامبراطورية من اضطار على حدودها . فاهتم باعداد جيش سريع
الحركة يمكنه تحريكه على الجبهات المختلفة ولقد قسم الجيش
كالولايات الى اقسام صغرى خوفا من تركيز السلطة فى يد فرد فأنشأ
فرق حربية متقلة وازدادت اعداد الجيش فالفرق القديمة *auxilia*
انضم اليها اعداد كبيرة من البرابرة من الجرمان . وكلما قل نصيب
الفرد من الحضارة كلما كانت فرص الترقى أمامه اسرع ولقد وصل
بعض البرابرة الى مراكز عليا فى الجيش . وكان الجيش يتكون من
قوات الفرسان *vexillationes* وفرق الحبر الدنانى الرئيسية
المتقلة *Comitatenses* . كان يرأسهم ممر طور شخصيا .
ثم فرق الحدود *limitanei* . ومن الذين حصلوا على اراضى فى مناطق
الحدود مقابل خدمة عسكرية وتكونت فرق اخرى على الحدود من
برابرة ايضا وكان يتولى قيادتهم احيانا غائد منهم او *praefecti*
واتخذوا اسم *equites* و *alae* و *cunei* (١٥) .

واند اهتم دقديانوس باصلاح النظام الاقتصادى عن طريق اصلاح
العملة . وتحديد كميات النسخ المتداولة فأوجد عملة ذهبية جديدة .
ولما وجد أن بعضا من التجار تلاعب بأسعار السلع اصدر مرسوم
فى سنة ٣٠١ م يحدد أسعار جميع السلع المتداولة وكذلك حدد
الأجور . وجعل الضريبة عينية واصدر *Indictio* او مراسيم
تحدد نوعية الضرائب وطرق جبايتها . ولقد رفع عدد من الضرائب
التي كانت مفروضة قبلا . ولقد وضعت الضريبة على أساسين
iugum - وحدة الفدان *Caput* أما فعلى الأفراد وهى ليست

ضريبة رأس بك على أساس المحبوس الذي يمكن أن يقدمه الفرد على قطعة الأرض فالرجل والعبد يحصلوا على نفس Caput والمائة نصف Out فإذا فرضنا أن مساحة الأرض ١٠٠ Igera فيكون العاملون ١٠٠ مائة عامل . وكانت الضريبة حسب إنتاج الأرض سواء كان حبوب أو كروم أو زيتون ونوعية الأرض وجودتها وقربها من المدن (١٦) .

وكان نظام جمع تلك الضرائب غاية في السوء فكان على أعضاء السناتو أو أعضاء البلديات Decurions أو عشرة من رؤساء المدينة decurion دفع الضرائب للدولة ثم جبايتها بعد ذلك وكان من الطبيعي أن يحصل هؤلاء بكل وسيلة استعادة ما دفعوه حتى لو لجأوا إلى أشد وسائل الاضطهاد حتى اقترن لقب أعضاء البلديات بـ «مخبر» و«فساد» (١٧) . ولقد تعرض صفار الملاك للاضطهاد في حين استطاع كبار التجار أن يخلصوا أنفسهم من هذا النظام ولقيام كل فرد بمسئلة أعماله وحده . فلهذا لم يصنع سناتو أو decurions نواب البلديات حاولوا التهرب من جمع الضرائب عن طريق الانخراط في وظائف أخرى . وكذلك شمل هذا الإجراء نسبة الحرف والطوائف التي تتصل بحياة الناس ولقد ذكرت قوانين بيزنطوس فيما بعد أن هذا انتشيع نزل بالناس لمرتبة العبودية (١٨) .

Zosimus : Historia Nova

(١٧)

Andereades : Economic life of the Byzantine Empire

p 71.

Bury : op cit p 45-49

John Lydus. De mag. II g.

(١٨)

ostrogorsky . op cit p 38

Bury op. cit P 48.

Piganiol op cit p 34

Tenney Frank. Economic History of Rome p 83

وكان على نقابات المهن Collegia و Corpora تقديم خدمات
لندولها وهذا العبا يتوارث من الأب الى الابن وفوائد هذا التنظيم
استفاد منها الأغنياء . أما الأعباء فألقيت على عاتق الشعب وخاصة
فى الولايات التى كان عليها امداد العاصمة روما ثم الشطرنطينيه
نينا بعد باحبيباتها . وكان عبأ جميع الضريبة annonae
وكان مدا أصلا اسم نضريبة القمح التى عرضت على الولايات
المعويه . ثم ادخلت فيها الحبوب والحبوب وضروريات الأخرى .
وكان جبرا من أجر اجندى يأخذه عينا من خلال تلك الضريبة
لانتشار قيمة المقد . . يقع على النقابات الحرية فعليها تقديم خدماتها
بجاه جمع وايصال تلك الضريبة وقسموا حسب اسماء هو تفهم buarii
pocinaril, naviculari, aleari ونجمونه اصبحت بالأعمال العامة أعمال
الشرطة واطفاء الحرائق . وما يبي (١٩) . بل يقال أن الزواج خارج
طبقتهم كان محظورا واذا صدقنا الكتاب المتأخرين فقد فصل
الآلاف من المواطنين العيش مع ابرابرة على البقاء فى الامبراطورية
الرومانية . حتى الجيس وكادر الموظفين أصبح إجباريا وان كانوا اقل
معاناه من غيرهم . ولكن كانت أكثر الفئات نعسا . صرر هو Coloni
الفلاح . فأصبح غير مصرحا لهم بقرت الأرضى ننى وندوا غيها
ونحولوا للخضوع لنوع من لعبودية وفى سبب القانون
Adscripticius ددر أن عدد السكان تناقص وأن الأعباء رادت
على المزارعين والملاك الصغار وأن المسئول عن ذلك هم كبار الملوك .
ونتيجه لفقد بعض الولايات لغزو القبربرين لها رادت اعباء بقية
المزارعين وأصبح افعلاح Coloni فى وضع لا يختلف عن وضع

انعبد ووضعت التشريعات المختلفة لربطه بالأرض ومنعه من الهرب .
وقانون الجمراتم كان يتعامل على دست حريان مع honestiores
الطبقات العليا . عنه مع pebun (٢٠) فقد تعرضت الطبقات الدنيا
لعقوبات لم تكن تتعرض لها الطبقات العليا .

الى جانب ان نظامه كلف الدولة كثيرا فهذه الأعباء الكبيرة من
الموظفين كان على الدولة دفع تكاليف وذلأفهم (٢١) .

ورغم أن إصلاحات دقلديانوس كانت محاولة جادة للتصاء على
مشاكل الدولة الاقتصادية والادارية فعند التطبيق لم تحقق ما كان
مرجوا منها . ولقد أكمل قسطنطين تلك الإصلاحات والرابع غالبا
ما تذكر الإصلاح مقرونا باسميهما معا . ورغم ما اتسم به عهد
دقلديانوس من إصلاحات مالية فأنه تسبب أعنف موجة اضطرابات
ضد المسيحيين رغم أن زوجته بريسكا وابنته غاليريا تأثرا بتعاليمها
وأن لم تعتقدها وكان في بلاطه عدد من مؤلفين المسيحيين ونقد
مارس رجال الدين المسيحيين والأساقفة في بداية تسع عشرم في
حرية تامة .

وبدا واضحا في القرن الثالث أن أعداد المسيحيين بدأت تتكاثر
وأن بعضا منهم بدأ يجهر بعقيدته وامتنعوا عن عبادة الامبراطور
وتقديم القرابين في المعابد الى جانب عقدهم لاجتماعات سرية
مما أشعر الدولة بالريبة وأثك تباينهم . ويقال أن دقلديانوس كان

Camb - Med Hist. vol I p 32.

(٢٠)

Jones : op cit p 59.

Bloch : op cit p 200.

Roid : Municipal rise of the Roman Empire p 3.

Pol - Gaston : Fin du paganisme Vol 1

(٢١)

p 10 c

Bright The Faith see in Early church p 11.

من أمحا بطبيعته أما دافعة لاتخاذ سياسة العنف والأضطهاد فكان
 جايروس اد رأى أن المسيحية أصبحت تهدد كيان وتنظيمات
 الامبراطورية ، فقد رفض ساب غريقي يدعى مكسيميانوس الانخراط
 فى سلك الجيش رغم أنه لائق وأعلن ضابط اسمه *Marcellus*
 انتمى عن وطنه العسكرية . وأنه لايسنفع أن يطيع الا يسوع
 المسيح الأبدى . وسمح هذا مؤثرا خطيرا يهدد نظم الامبراطورية التى
 احاطت بها الاخطار واضطر دقلديانوس للاستجابة لرغبة شريكه .
 وربما يكون اندافع لدقلديانوس حرصه على تسبيق اصلاحاته وخوفه
 أن تعتمد فئة « وكان المسيحيون فى نظر الدولة مخربين » الى تهديد
 سلطته وضيقاتها وخصوصا أنه حاول أن يبعث فكرة الامبراطور
 مؤيد الى الوجود (٢٢) . واعى الوهيته بانتسابه الى المنسرى *Jupiter*
 ليدخل البارنتيون الرومانى منوى "اله الرومان ، واتخذ مكسيميان
 رعاياه هرقل ، وقسطنطيوس انتسب الى ابولون اله الشمس وفى
 ٢٩٠ م بدأت الاضطهاد . ويقال أنه اجتمع مجلس من كبار الموظفين
 مدنيين والعسكريين وقرر مجلس أن المسيحيين يمثلون خطرا على
 الدولة بتكوينهم جمهورية متميزة داخل صرح مصر صوره ويسمئهم
 السرية ورفضهم الخضوع لعبادة الامبراطور . وفى ٢٠ فبراير ٣٠٣
 فى عيد *Terminalia* عابها الكنيسة الوثنية على المسيحية . وضرت
 الكنيسة والكتب المقدسة ثم سرسرسوس فى ٢٩٧ م فخر تير وجرب
 هدم الكنائس فى جميع اهلاليات وعلى حرو الاضاحل والعدم ان
 من يعند اجتماعات . وضورت املال الكنيسة وبيعت مبانيتها
 وضمت الى الاموال العامة وحرم الاجراء على من يتنصرون والمبيد

(٢٢) Chawner, Influences of Christianity on the Legislation
 of consantine p 20:

Boisser, Gaston : La Fin du paganisme vol I p 12: (٢٣)

من حق المعتق ، ولم يكن مسرحا لهم برقع شكاوهم أو التناضى . ومزق أحد المسيحيين المنشور (٢٣) ثم اشتعلت انوار مرتين خلال خمسة عشر يوما فى قصر دقلديانوس بل فى مخدع الامبراطور نفسه ، واتهم المسيحيين بذلك مما أوغر صدر دقلديانوس عليهم ، وبدأ بتنفيذ الاضطهاد على نطاق واسع وسمح بشك دمائهم ، وأمرهم بتسليم أناجيلهم فى نفس الوقت الذى ثارت فيه اضطرابات فى ارمينيا وسوريا واتهم الاساقفة بتدبيرها ، وصادر الامبراطور سلسلة من المراسيم . الأول يقضى باعتقال رجال الكنيسة والثانى يقضى باستعمال وسائل العنف والاجبار للرجوع الى الوثنية ، وآخر يقضى باجبار جميع المسيحيين على ترك عقيدتهم وتعذيبهم حتى يقرروا تقديم اقربائهم ولقد نفذ شركاء الامبراطور سياسة الاضطهاد وان تفاوت اقتناعهم بجدواها فمكسيمايان نفذها بحذافيرها فى ايطاليا وافريقيا وكذلك جاليرنوس ، اما قسطنطيوس فانه نفذها على مضض وحول التخفيف من أسلوب الاضطهاد وعنفه وفى ٢٠٥ م أعلن دقلديانوس اعتزاله العرش واعتزل معه مكسيمايان وفق اتفاق مسبق (٢٤) .

وكان من الطبيعى أن يتولى امبراطوران آخران ولقد تجاهل دقلديانوس وجاليرنوس قسطنطين الشاب بن قسطنطيوس وعينا سيفريوس الثانى فى الغرب ومكسيمايانوس فى الشرق . ولكن توفى قسطنطيوس ٢٠٦ م ونادت قواته بقسطنطين ابنه فاضطر جاليرنوس الى الاعتراف به قيصرا ولكن ماكسنطيوس ابن مكسيمايان أعلن أن له هو الآخر له حق تولى العرش ليصبح أغسطا واستطاع كذب ايطاليا لجانبه ، وفى ٢٠٩ كان هناك ستة يحملون لقب اغسطس (٢٥) .

Van Millingen : Byzantine p 2:

(٢٤)

Brissier : op. cit Vol P 121.

(٢٥)

الامبراطورية القسطنطينية :

يعتبر حكم قسطنطين بداية لحقبة تاريخية جديدة في تاريخ الامبراطورية الرومانية فلقد شهد هذه حدثان هامان الاعتراف بالديانة المسيحية في سنة ٣١٣ م في الشرق في القسطنطينية ، فهذان الحدثان ادى الى تغيير المفاهيم والنظم السائدة في الامبراطورية القديمة ، والحد من سلطة الوثنية والطابع اللاتيني وكان هذا بداية مجدها كدولة لاتينية وبزوع نجم القسطنطينية اليونانية . وقيام امبراطورية جديدة ذات خصائص مميزة وانا لا اعنى ان هذا التغير تم خلال حكمه او بعده ، او تم غداة الاعتراف بالمسيحية في مرسوم ميلان ٣١٣ م او الانتهاء من انشاء القسطنطينية ٣٣٠ م ولكن كان تطورا تدريجيا استغرق ثلاث قرون لتتضح معالمه وسبب الذي اعطى الامبراطورية انشورية خصائصها الفريدة سياسيا واقتصاديا . فالتاريخ حقائق هامة ولكننا نستطيع ان نقول بلا تردد ان بعد ثلاث قرون من انشاء قسطنطين عاصمتها ، ان الامبراطورية التي وجدت في الشرق تختلف تماما الاختلاف عن تلك التي اوجدتها اغسطس لغة وحضارة وعقيدة ونظما ، بل حتى طبيعة ونوعية المصراعات والاعداء اختلفت . فالحجز الشرقي منها اتخذ خطا مخالفا للشطر الغربي الذي خضع امام غزاته من البرابرة .

قسطنطين :

فلافيوس فاليريوس قسطنطين ولد في ناسيوس في داكيا ٢٧٤ م وابوه هو قسطنطيوس ابن احد الاسر الثرية في Dardania شمال مقدونيا ولقد تزوج اباؤه من قريبة للامبراطور كلوديوس . ولكن والده قسطنطين كانت مجرد محظية من طبقة وضيفة الثمان

تدعى هيلينا • وتولى أباه حكم دلماسيا ثم أصبح قيصرًا للممال
لاستعادته بريطانيا من Carausius وتزوج ثيودورا ابنة زوجة
الاعطس مكسيميان وأرسل قسطنطين الى بلاط دقلديانوس ، فى
الظاهر ليتلقى تعليمه ويؤهل لدخول البلاط وفى الحقيقة ليكون رهينة
اذ ازمع أباه القيام بأى تصرف ولقد رافق دقلديانوس الى مصر
وتعرف أثناء رحلته تلك بايوربيوس مؤرخه فيما بعد وأسقف قيصرية
وانضم الى جاليرنوس فى حملته ضد فارس (٢٦) •

وحين اعتزل دقلديانوس ومكسيميان فى أول مايو ٣٠٥ ساد
الاعتقاد بأن قسطنطين سيعين قيصرًا وخاصة بعد زواجه من فوستا
ابنة مكسيميان فى ٢٩٢ م (٢٧) ؛ رغم انها لم تتعدى دور الطفولة
انذاك • الى جانب صدور عمله تحمل اسم قسطنطين قيصرًا •
ولكن فى آخر لحظة تعدها دقلديانوس واختار جاليرنوس ماكسيميانوس
دايا وسفيروس الثانى وحاول جاليرنوس اغرائه بالقيساء فى بلاطة
بوعده انه سيعينه على أن يخلف والده فى الحال ، ولكن تركه وانضم
الى أبيه فى بولونيا بعد حملة قصيرة على غلطة (٢٨) • ومات
قسطنطينوس فى يورك ٢٥ يوايسو ٣٠٦ وقسمت القوات والجيش
المربط فى بريطانيا بالناداء بـ قسطنطين اغسطس واضطر جاليرنوس
الى الاعتراف به ولكن كقيصر وليس كاغسطس فى الحال وبريطانيا
ولكن ماكسنتيوس ابن الامبراطور ماكسيميانوس الذى تنسأ عن
مرش مع دقلديانوس أعلن افضيته فى انورقة وكان أبيه ومعه

1. *W. H. Jones: Byzantine p 1*

(٢٦)

Firth, J. E: Constantine the Great p 20:

(٢٧)

Ostrogorsky : op cit 43:

(٢٨)

Firth : op. cit p 20.

للمبصرة على ايطاليا وخامسة لانتفاخ الغداء ضد سيفيروس بسبب
الغائه الحرس البيوتوري . وتمكن من الاستيلاء على الحكم في
ايطاليا وانضمت اليه اقربقيا ثم اسبانيا .

وفي مؤتمركارنوتوم الذي عقده جاليرنوس أعلن تقسيم
الامبراطورية بين قسطنطين ومكسيمانوس دايا وليس.نوس اذى حل
محل سيفيروس الذي قتل في صراعه ضد ماكستتيوس الذي رفضوا
الاعتراف به جميعا .

وخلال السنوات التالية اثبت قسطنطين كفاءة في حروبه فبح
الرايين ضد الفرنجة والالان وكان قسطنطين متعاطفا مع المسيحية رغم
وحيته . وقد انتسب الامراطور في البداية الى الميثرائية عقيدة
أسرية ، ثم الى هرقل بعد زواجه من ابنة مكسيميان . ثم اتخذ من
ابولون آله اسمى حاميا له ولما اتحد ماكسيميان وسياسة
مناهضة للمسيحيين سمي قسطنطين لاتحدهم خلفاء (٢٩) .

ورغم أن جاليرنوس المخطط والمنفذ لسياسة الاضطهاد ضد
المسيحيين ، ويعزى اليه الاضطهاد الكبير الذي اشنى به عهد دقلديانوس
حتى اتخذ المصريون بداية تاريخهم اذى عرف باسم الشهداء
سنة ٢٨٤ م وهي سنة تولى دقلديانوس ، ونجده قبل وفاته
بقليل عام ٣١١ م يصدر قرار تسامح . فان سياسة العنف التي اتبعها
في الشرق اثناء حكمه هناك «وكان الشرق يضم ولايات اسيا وثرانيا»
لم تجدى وكان قد اجبر الاباطرة المشاركين على اتخاذ نفس السياسة
حتى أن نطاق اضطهادته امتد الى مصر وسوريا وفلسطين حيث اعداد كبيرة
من المسيحيين . وقد استجاب مكسيميان دايا وطبق سياسته حيث عانت
تلك البلاد على أيديهم الكثير ولكن بعد ست سنوات من تلك السياسة

أصدر مرسوم تسامح وربما كان دافعه أن سياسته التي أنبها تجاه
 المسيحيين لم تجدى بـك تسببت في الاضطراب في الولايات وتوقف
 في حركة الحياة الاقتصادية والزراعية الى جانب أنه لم به مرض
 خطير وشعر بدنوا اجله (٢٠) . ولكن هذا المرسوم لا يعنى اعترافا
 بالمسيحية أو مبادئها فقد نص المرسوم على ما يلي : « انا لشديد
 الرغبة : بصفة خاصة ، في أن نهدي إلى طريق العقل والطبيعة
 أولئك المسيحيين المضللين الذي نبذوا الديانة والطقوس التي شرعها
 أبائهم . والذين تتجحوا فازدروا شعائر الاقدمين . ومن ثم ابتدعوا
 قوانين وآراء متطرفة ، أملاها عليهم خيالهم وتكلموا مجتمعا متعدد
 الألوان في مختلف أرجاء الامبراطورية ، ان المراسم التي أصدرناها
 لفرض عبادة الآلهة عرضت كثيرا من المسيحيين للخطر والكروب ففرض
 الكثيرون نحبهم ، على حين ظل عدد أكبر سائدين في حماقتهم
 الملحدة حيث جردوا من الحق في الممارسة الطنية للدين . ومن هنا
 انتهجت ارادتنا الى أن نسط سزايا رأفتنا المألوفة على هؤلاء الأفراد
 القراء (٢١) » وفي ٣١١ م توفى جالينوس وفي ذلك تقسيم
 الامبراطورية : فأخذ قسطنطين الثالث ووريثا ومكسنتيوس
 ايطاليا واسبانيا وافريقيا ليسنيوس سوريا وبلاد الأناضول
 ومكسيميان دايا على ما في الدستور . وفي البداية كانت علاقة
 قسطنطين بهم ودية فلم يكن ليسنيوس بالحاكم المستبد في حين كان
 مكسيميان قاسي عنيف : أما مكسنتيوس فلقد اتخذ ضده الجميع
 ولكن ما لبث أن غلبت عليه مكسيميان في صراع كذلك
 قسطنطين ومكسنتيوس وانضم ليسنيوس إلى قسطنطين .

٢٠: Gregoire Les persécution dans l'Empire Romain (٢٠)
 p 48

(٢١) جيون : اضطلال الامبراطورية الرومانية ج١ ص ٤٨٠

ق. انیسویس ویکسنتیوس « مرسوم میلان » :

ثم ياتر غسطنطين تقدم عدوه بل سارع الى الالب في جيش
بلغ تعداده ثمانون الفا وفي تورين انتصر على قوات مكسنتيوس ثم
استولى على فيرونا واكويزلا ومودينا ثم اتجه الى روما وفي
الـ ٢٨ أكتوبر حدثت معركة Saxa Rubra واحاطت بعض القوات
بغسطنطين على المارسة في المنطقة التي خلفه النصر
وكانت في يد مكسنتيوس الذي استطاع في سير
الـ ١٠ من نوفمبر ان يفر من روما ويذهب الى
نابولي ثم الى بيزنطة ولم يحدث مثلها بعد عهد
ديكليس الذي كان يهرب من روما الى بيزنطة
في سنة ٣١٢م في حين ان مكسنتيوس لم يهرب
من روما الى بيزنطة بل الى مصر حيث كان
يقيم في سنة ٣١٢م في حين ان مكسنتيوس
لم يهرب من روما الى بيزنطة بل الى مصر
حيث كان يقيم في سنة ٣١٢م في حين ان
مكسنتيوس لم يهرب من روما الى بيزنطة بل
الى مصر حيث كان يقيم في سنة ٣١٢م

ولقد كان لتلك الرؤية تأثير نفسي كبير اقتضاء شروطه من صخبين
اذ اشيع بأن نبال العدو لا تنفذ اليها (٣٣) . وله نصيب هذه القصة

H. Gregoire, la conversion de constantin p 34. (XX)
H. Gregoire Nouvelle des ches constantiniennes p 13.
Alfoldi : The conversion of constantine and Pagan Rome
Eusebius, Ecclesiastical History. Vol I trans A. C. Mc - (XX)
Giffert p 315 - 317.

معارضة من بعض المؤرخين الوثنيين أمثال *Laetanum* و *Plutarchus* وإذا حاولنا معرفة دافع قسطنطين فإنه يحيط به انغموس كفايية تصرفاته ولكن في الغالب كان دافعه ان مكسنتيوس اتبع سياسة شديدة المناهضة للمسيحية فكان من الطبيعي ان يسمى منافسه لالتماس مخالفة المسيحيين وان كان عددهم آنذاك لايزيد عن خمس سكان الامبراطورية ولكنهم كانوا من أقوى الطوائف الدينية في الامبراطورية نو قارنهم بالميثرائيين مثلاً وعلى كل فقد تشابه صليب المسيح *Labarum* مع صيب آله الشمس ابولون وقسطنطين نفسه لم يسعى الى التفريق بين الاثنين فجندوه من الغال يحاربون تحت صليب آله الشمس والمسيحيون تحت صليب المسيح • وما زال قوس النصر الذي أقامه السناو والشعب ٣١٥ م مكتوباً عليه بفضل البواعث الالهية *Instinctus Divinitatis* (٣٤) •

ولقد بقي قسطنطين في روما شهرين ثم تركها الى ميلان حيث التقى بليسينيوس وعقد اتفاقاً واصبره أخوته • واتفقاً على مجابية مكسيميان دايا • وكان أهم ما قرره هو ما يختص بأمر العقيدة المسيحية وهو ما عرف باسم مرسوم ميلان •

وكان يشمل على صيغة تسامح تجاه المسيحيين ولقد فقد النص الأصلي ولكن أبوزبيروس أورد في تاريخه نصاً مقارباً • ولقد صدر باسم قسطنطين وليسينيوس ولقد تضمن أن من حق كل انسان ان يمارس العقيدة التي يختارها بدون تدخل من الدولة ولا التزام بالقائمة الحكومية التي تنص على الا يعبد شخص أى معبود خارجها • وبذلك أصبحت المسيحية عقيدة ممرحاً بها أن من حق كل من اراد ان يعتنق المسيحية ان يعتنقها بدون خوف من ضغط أو ارهاب (٣٥) •

Eusebius : Ecclesiastical History p 315, 317.

(٣٤)

(٣٥) نفس المرجع

وان تعاد الكنائس السابق الاستيلاء عليها سواء كلن الحائز لها الدولة أو فرد بدون مقابل لأصحابه المسيحيين . وكذلك كل ما يتعلق بممتلكات الجماعة المسيحية (٢٦) . وقد ظل هذا القانون سائدا لعهد ثيودسيوس الأول ولا يمكن انكار الدافع السياسي وراء هذا المرسوم وهو اخراج مكسيميان دايا حاكم مصر وسوريا وفلسطين حيث أعداد المسيحيين قوة لا يستهان بها . وأمره قسطنطين بتنفيذ المرسوم في أراضي واضطر لإصدار مرسوم ذكر فيه ان موظفي الدولة ارتكبوا كثيرا من الأثام والشرور لم يرضى عنها الامبراطور اترحيم وأكد انه يصرح لكل فرد ان يمارس ويعتق العقيدة التي يريد .

وفي ٢١٢ م قدم مكسيميان بالبحوم على بزنطة بجيش بلغ تعداده سبعون ألفا وحقق نجاحا كبيرا باستيلاء على وقلعة أن ادريانوبل حيث التقى به ليسنيوس وعزمه عزيمة ساحقة من ٣٠ أبريل سنة ٢١٢ وفر مكسيميان إلى نيقومديا ، وأخيرا وقع مكسيميان أسيرا في قبضة ليسنيوس حيث مات في نفس سنة . ولقد تلى ذلك إصدار ليسنيوس مرسوما أكثر تسامحا من مرسومه في ميلان في ١٢ يوليو ٢١٢ م قرر فيه إعادة ممتلكات الجماعة المسيحية وأصدر قسطنطين مرسوما مماثلا للغرب .

قسطنطين كامبراطور منفرد :

كل من قسطنطين وليسنيوس طموحا فكان من انطيمى ان يمتدما وكانت الحرب مسألة وقت فقط فاذا كان قسطنطين يضل انغال فان ليسنيوس يحكم من حدود ارمينيا الى ايطاليا وكان سيد اليا حيث يوجد أفضل الجند وكان جميع الاباطرة من

فلوديبوس الى ليسينيوس من هذا الاقليم أساسا لما دعا تالكوس
وكاروس .

وفي البداية شغل قسطنطين بحروبه مع الفرنجة ولكي
لا استقرت الأمور في نهاية ٣١٣ تفرغ للمصراع مع ليسينيوس وسانت
البداية حين حاول قسطنطين تعيين شقيق زوجته Bassianus
كحاكم لإيطاليا وبانونيا وطب من ليسينيوس منحه اليريا . ولكن
ليسينيوس دبّر مؤامرة نبت بعقته في نفس الوقت الذي
رفض إعادة Senecio شقيق باسنيوس . كان يقيم لديه .
فاندفع قسطنطين في بانونيا بجيش بلغ عشرين ألفا رجل يواجهه
جيش ليسينيوس الذي بلغ خمسا وثلاثين ألفا ودارت المعركة في
١٠ أكتوبر ٣١٤ . ونقلت بالتصارع قسطنطين واستيلائه على
سرمية . بعد سجنه في اديانوبل (٣١٧) ، ولكن حدثت
معركة أخرى غير خصة له حيث defeated . نتجت بعقد عدته لمدة
ثمانى سنوات ورغم أن ليسينيوس فقد جزءا من أراضيه فإنه ظل
محتفظا بجزءا من حيرته وبقائه وقوة نيقته ولقد نص الاتفاق على
اعتراف قسطنطين به كإمبراطور مشارك مقابل تنازله عن بعض
أراضيه .

ولقد اتخذ كل منهما خطأ مخالفا في سياسته الداخلية فلقد
أهتم قسطنطين بالمسيحية بمنح الكنيسة الببات وحرر المسيحيين من
تأدية الواجبات والإقرايين للوثنية في حين ان ليسينيوس لم يبغي أن
يمضى خطوات أبعد في تسامحه بل على العكس تغاضى عن ما تعرض
له المسيحيون من الاعتداء في بعض الولايات التابعة له ولكن لم يجد
الشماعة لنقض مرسوم ميلان . وكانت الوثنية ما زالت قوية

لارتباطها بالفلسفة والحضارة اليونانية والفنون الرومانية وتقاليد المجتمع ، وبدأ وكان الحرب بينهم اتخذت طابعا دينيا مع أنه في الحقيقة كان صراعا سياسيا (٢٨) .

ولقد تسبب القوط في انتهاء هذه الحالة غير المستقرة بين الحاكمين فقد كان القوط قد استقروا في أيام اورليين في داكيا . وفي عام ٢٢٢ م عبر رشموند ملكهم الدانوب ، ولكن قسطنطين وصل الى ما بعد الدانوب وذبح قائدهم وجعل آلاف من القوط أقتان في الأراضي المجاورة وأثناء مطاردته لهم عبروا أراضي ليسينيوس وتسبب هذا في نشوب الحرب ، وكان جيش قسطنطين تعدادة ١٢٠ ألف رجل والاسطول يقوده ابنه Crispus ويتكون من مائتي سفينة . وكان جيش ليسينيوس ١٦٠ ألف رجل وعدد اديانوبل انتصر قسطنطين ولكنه توقف عند أسوار بيزنطة لسيطرة ليسينيوس على البحر ولقد ترك ليسينيوس بيزنطة لمصيرها واتجه الى chrysopolis حيث دارت معركة في ١٨ ، ٢٠ سبتمبر سنة ٢٢٢ م انتهت بهزيمة ليسينيوس وفراره الى نيقوميديا . وذهبت قسطنطينة الى أخيه تطلب منه العفو عن زوجها فوافق وأقسم لها على ذلكو سكن . استسلم له ليسينيوس قبض عليه وقتله بعد ست أشهر في سنة . ونم يؤدي هذا الى انفصام العلاقة بينه وبين شقيقته وهذا ان مثل خير تمثيل نوعية العلاقات المأسوية في هذه الاسرة .

ويعتبر قسطنطين كقائد من أفضل القادة الرومان في .
أورليان وصلا الى ما وصل اليه فممتلكاته أمتدت من
بريطانيا الى ضفاف النهر الى أسوار بيزنطة . ولم يعد أمام
معارك يخوضها الا مع القوط والاربع عشرة سنة الاخيرة من .

قضاها في سلام لا يشغله الا أمر العقيدة وتقريرها وعقد المجامع
ثم انشأ المدينة التي خلدت اسمه وتجميلها لتحل محل روم القديمة
ولقد استغرق بنائها من ٢٢٤ الى ٢٣٠ م .

اولا : قسطنطين والمسيحية :

يعتبر اعتراف قسطنطين بالمسيحية أهم حدث في تاريخ
الامبراطورية الرومانية بل في تاريخ العالم أجمع (٢٩) . فالمسيحية
أصبحت طابعا مميزا على تاريخ تلك الحقبة بأجسامها وأوجدت تغيرات
جذرية في الأسس التي قامت عليها المجتمعات القديمة وأوجدت
نظاما جديدا في كل صغيرة وكبيرة من الحياة وعلاقاتهم سواء
علاقة الفرد بالدولة أو بغيره من المواطنين وهذا يدفعنا لدراسة
الأسباب التي دفعت بقسطنطين الى إصدار مرسوم التسامح وما نتج
عن الاعتراف بالمسيحية من اثاره مشكلتان هامتان ظلتا تشغلا العالم
المسيحي لقرون طويلة وهما الفصل بين السلطين الروحية والزمنية
وهو ما اشتهر باسم الصراع العثماني . واذنهما الخلافات حول طبيعة
المسيح وكانت مثار الشقاق بين الكنيسة الشرقية واللاتينية الى
سقوط القسطنطينية في أيدي المماليك (٤٠) .

وتضاربت آراء المؤرخين حول اعتناق قسطنطين المسيحية بين
مؤيد ومعارض : وحاول الجانب المسيحي الذي رفع قسطنطين الى
مرتبة القديس Isapostolo اثبات ان قسطنطين اعتنق

Bright : Age of Fathers 2 31-32

Allen : Christian Institutions.

proglie: l'eglise et l'empire

Porcher. I. A : Doctrine of the person of Christ:

Baynes : op: cit p 30:

Ostrogorsky : op: cit p 44:

١٣٩١ : انظر

(٤٠)

المسيحية عن اقتتاع كالمؤرخ ليكتاتبيوس في تاريخه

Lactantius : Hist. in Ex mortibus persecutorum

والمؤرخ Nazianzus في حين حاول الوثنيون أسماء Zosimus
بمختلف الأدلة والشواهد اثبات عكس هذا وهناك
أدلة تؤيد وأخرى تدحض كلا الجانبين . ولكن بالدراسة
الموضوعية نجد أن سياسة قسطنطين تجاه المسيحية تعكس بوضوح
اتجاهاته الفكرية ونخصيته . فقسطنطين كان يطبق ما يراه أكثر
فاعلية وأمانا للامبراطورية . فأول الإباطرة المسيحيين لم يكن ليستحق
هذا اللقب إلا حين كان يلفظ أنفاسه الأخيرة حيث عمد وهو على
سريره الموت . فدافع قسطنطين الأول تدعيم مركزه الذاتي وثبتت
أركان إمبراطوريته وكما قل Gibbon « وازن بدهاء بين آمال
علاياه وبين مخاوفهم وكان مسيحيون والوثنيون يرقبون سلوك
ملكهم بنفس انقدر من القلق » (٤١) ولم يكن هناك تأثير لنشأته
الأولى في اتجاهه إلى المسيحية فأبواه لم يكونا من مؤيدي العقيدة
الجديدة فأباه كان ميثرائي وحين أصبح قيصرًا عزج عقيدته تلك
بعبادة أبوللون فأصبح سليل إله الشمس وكانت الميثرائية منتشرة في
طول الإمبراطورية وعرضها « والميثرائية عبادة ذات أصل فارسي
وكان لها عراسم خاصة وكانت تتضمن شعائرها نوعا من النصب
ولقيت اقبالا بين الجند وكانت أقل استسلاما وسلبية من غيرها من
المعتقدات وكانت أشهر العبادات آنذاك التي سادت عبادة يزيس التي
كانت أقرب إلى تلوذ المتعلمين ولقد وجدتنا منازعة من المسيحية .
ولقد اتممت المسيحية جميع الاتجاهات الفكرية والحسية
كانت روح التصرفات المسيحية تسيطر على عاداته لطيفة . »

(٤١) جيبون : امبراطورية الرومانية ج ١ ص ٤٥٠

John Ferguson : The Religions of the Roman
Empire p 36:

فطر على حب الرمز الى جانب انها روق للطبقات الدنيا بوجه
 حاس حيث ساوت عند الله بين العبد الرقيق والامبراطور وكان
 المسيحية منظمة تنظيمًا يدعو للاعجاب وتولاها رجال ذوي كفاءة حتى
 أن جونيان حينما اراد بعث الوثنية حاول تنظيم المعاد من غرار
 الكنائس المسيحية وكانت مبرتها على الميثاقية سلطان منسأة أن
 يعمل بها دور . وثانيه التي
 فكريا .

وكان قسطنطين منذ ابدية غير في صناعة مسيحين رعا
 بحكم كراهته لجائينوس وان تم يكن مسددة تعني له في بدييه
 شبيها ولكن بدأ اهتمامه به منذ بدأ النسخيون يصبحون قوة لفتت
 انظاره طوائف الشعب والدولة اليها وبعد أن اثبتت الأيام مثل
 سياسة الاضطهاد حتى أنهم دققدبنوس وجائيرنوس الذي اضطر
 تراجع وصدار مرسوم التسامح . واقادته علاقاته الطيبة بالمسيحيين
 وراقفتهم في العاد في عدم قيام ثورات ضده ومرسوم ميلان ٣١٣م
 جعله بطل المسيحية في حين أن ليسينيوس توقف عن المضى في
 سياسة التسامح بل سمح لولائه بضطهاد المسيحيين ومصادرتهم(٤٢)
 ومع ذلك فلم يمضى قسطنطين بعيدا فمالت الوثنية لها انصارها
 ومؤيديها ومن هنا كان مرسوم التسامح يعترف بالمسيحية كاحدى
 الديانات المصرح بها(٤٣) فبذلك يكسب الجانب المسيحي وفي نفس
 الوقت لا يثير عليه نقمة لوثنيين فنص المرسوم على أن تعاد كل أماكن
 العبادة والأراضي العامة المصادرة ووعد أن يدفع لمن سبق له شراء
 تلك الأماكن ثمنا مناسباً كتمويض من الخزانة الامبراطورية ،
 وعلن المرسوم انه منح المسيحيين مع غيرهم من الأفراد في الدولة

Ferguson : op cit p 36.

(٤٢)

Progle : l'eglise et l'empire:

Vasiliev, : op cit p 55:

(٤٣)

الحرية في اعتناق العقيدة الأوفق بالنسبة له وعطالبي حكام الولايات بالالتزام الدقيق بالمعنى الحقيقي للمرسوم وتأمين حرية العقيدة .
 وحدد السببان اللذان دفعاه لاتخاذ تلك السياسة وهما الدافع الانساني الذي يستهدف أمن الشعب وسلامته وثانيهما انهما يتقربان الى اله الشمس انذى يعترفان بالشواهد العديدة الفريدة لعطفه الألهى وفى هذا اشارة الى القصة التى أوردها يوزبيوس فى تاريخه عن الصليب المقدس الذى رآه قسطنطين فى قرص الشمس وقيل أنه سينتصر بفضلها وتلقى هاتفا بان يحفر علامة المسيح السماوية على دروع جنوده حين انتصر عند جسر مليفن (Milvian ٣١٢) ولقد تحدث كل من Nazianzus ويوزبيوس وأضافا بنفسه الكثير ولكن لم يحددا ازمان والمكان تحديدا دقيقا مما دفع nazarius و zosimus فى القرن الخامس الى ارجاعها لمهرة رجل بياسه يحاول استغلال الحماس الدينى لصالحه فالامبراطور لم يشأ التفارقة بين المسيح وآله الشمس فترك جنوده من الغال يعتقدون أنهم يحاربون تحت صليب آله الشمس والمسيحيين تحت صليب المسيح . ولقد استمر الامبراطور حتى تجاوز الأربعين يتعبد لآله الشمس وزينت معابده وجدرانها . ولقد قام قسطنطين بانشاء مبدين فى مدينته فى فترة لاحقة ولقد زخرت معابد أبولو الذى اشتهر بانه اله الامبراطور بقرابين ونذور الامبراطور ونلاحظ ذلك التناقض العريب فى كل تصرفات الامبراطور (٤٥) .

فالامبراطور اصدر قرار بان يكون يوم الأحد يوم الرب عطلة ، فى نفس الوقت الذى اصدر مرسوم ثانى على استشارة العرافين

Ostrogorsky : op cit p 54:

(٤٤)

(٤٥) لم يحدد اله الشمس ليترك كلا الطرفين المسيحي والوثني يعتقد

انه يتائل تحت لواء الهه .

والذجالين وزعم اختفاء أسماء جوبترومارس بعد Saxa Rubra أو بالتحديد ٣١٧ واقتصر ظهورهما على الأراضي التي يسيطر عليها ليسنيوس ومع ذلك فظلت العملة تحمل علامات وثنية وعبارات *beata tranquillitas* أو ماكتب على غوس نصر *Instincta Divinitas* وفي البداية كانت القوانين تخفل طابع الحيلاد وإن أصبحت تميز بعض الشيء إلى المسيحية . والصلوات كانت تعرض على الجيش الامبراطوري باللاتينية (كانت خمسة قبل التحويل وقوس) وفي سنة ٣٢٣ م سمح لرجال الدين ان يكونوا يفتي الامايا المشوكة للكنيسة الوثنيين . وإن كان عاد ومن رسالة أى تس من قوى المكانة غنى أى *Cultus* ومن فى حصة هذه على الوجود فقط . وكان دافعة لذلك الدفاع عدد كبير الى سائر رجال الدين فقد الدخل العام وكان هذا بمثابة ضربة لهيبة الكنيسة . ففى نفس الوقت أصدر قرارا بحرق اليهود اذا تعرضوا للعبادة المسيحية لماثاقون لا يناف من استخدام أقصى الوسائل لعقاب المجرمين .

وهزيمة لبسنيوس فتحت الطريق أمام الكنيسة فأرسل الامبراطور خطبات الى الولايات الامبراطورية خاصة بمعاملة المسيحيين وشر أوديجوس القصة المرسلة الى فلسطين ولیدا بمدح من اعتراف بملكية واداة الاسطيد ومن قام به (١٦) . وذكر ان البداية الانبياء أرسلت مسيحين من أقصى بريطانيا فاعادت لهم جميع الممتلكات التي اسيلا عليها وما قام به من تدبير الاعداء واعادة العبادة الحق (١٧) .

Eusebius : op cit vol 1 p 315 .

(١٦)

Eusebius : op cit vol 1 p 315 .

(١٧)

ولقد أخذ على الامبراطور سلسلة المذابح التي قام بها ضد أفراد أسرته وأصدقائه ثم تأخير تعميده حتى قال المؤرخ Zosimus أن الامبراطور عمس يديه في دم أكبر أبنائه قبل أن يعلن نبذه لمعبودات والده أجداده . وكان مقتل crispus في نفس العام الذي عدد فيه مجمع يقبه ٣٢٥ م . ففي خلال عدة أشهر تبدأ من أكتوبر ٣٢٥ م بدأ في تلك المذابح التي لانجد لها مبررا فيقال أن الأب نظر بعين الحقد لانتصارات ابنه من زوجته الأولى منيرفا حيث يرجع اليه الفضل في الانتصار على ليسنيوس مما حقق له شعبية عظيمة وجعله يشعر بأنه ند له . واتهمه قسطنطين بتدبير مؤامرة ضده وقضى عليه في احتفال في روما وأرسل الى بولا في استريا حيث أعدم ثم تلى ذلك بقتل زوجته فاوستا وقيل انها هي التي وثت بكرسيوس ليخاو العرش الأولادها ولقد اكتشفت خيانتها فيما بعد مع أحد عبيد القصر نتيجة لجهود هيلينا والدة قسطنطين فقام بقتلها (٤٨) . ولكن ليس هناك ما يؤيد هذه القصة ، فقبل ذلك قتل عدد كبير من أصدقائه بلا جريمة حتى قارنه البعض بحكم نيرون لكثرة الضحايا ويقال انه بعد تلك المذابح بدأ يتجه الى المسيحية تكفيرا عن اثمة ومع ذلك فقد تأخر تعميده ويرجعه مؤرخي الوثنية لرغبته في الانغماس في الشهوات ثم التكفير عنها في نهاية حياته بقتعيد ليقضى على ذنوبه ، فأرجاه عن عمد خوفا من انتكبه واقتراحه احدي جرائمه ، وعند وفاته في قصره في بومبي ذات تناول

اسرار التعميد فى ٢٢ مايو ٣٣٧ وقال فالندع الالبهم والغمرض وخلق
الارجوان وارتنى الثياب البضاء ثياب التعميد وهذا المبدأ أتبعه
عدد من الاباطرة اذا كانوا يتأخرون فى تعميدهم ليتمكنوا من اقتراف
جرائمهم (٤٩) •

ولقد تلقت الكنيسة من الحكومة هبات ضخمة الى جانب تأييدها
فى ارسالياتها ومبعوثيها وفى صراعها ضد أعدائها ، وفى البداية
تمتعت الكنيسة بنوع من الاستقلال • فما يختص بالعقيدة من
شأن الكنيسة ، ولكن بتأثير احتياجات الامبراطورية اسباسبية أصبحت
عنصرا هاما فى الصراع السياسى • وكانت مشكلة الكنيسة والدولة
شيئا جديدا فكما ذكرنا كانت عقيدة روما جزءا من سياسة الدولة
ولكن حين قامت المسيحية بفصل ما لله وما لقيصر وجدت المشكة
ونلاحظ ان الامبراطور كان يشغل فى العقيدة منصب الحبر الأعظم
وفى البداية كان يشغله أعضاء السناتو ثم تولاها منذ عهد أغسطس
الامبراطور • أما الكنيسة المسيحية فقد عهد بخدمة مذابحها الى طائفة
متدرجه من القساوسة وبدأ الصراع بين السلطين وخاصة ان مرسوم
ميلان كفل للكنيسة دخلا ومنحا عظيمة ونفس المرسوم قد سمح
للعرايا الكاثوليك بوهب ثرواتهم للكنيسة بل فى ٣٢١ سمح لهم
بوراثة ممتلكات الشهداء بشرط الا يكونوا كتبوا ثرواتهم لغير
الكنيسة ، وكان الامبراطور خير مثال يحتذى به اذ منح الكنائس

الكثير من الهبات (٥٠) ومنذ عهد قسطنطين الى جستنيان أثرت الكنائس وكثرت أعدادها حتى بلغت ألفا وثمانمائة ونقد منح الاساقفة عدد من المزايا منها مزايا قانونية كحق التكية واختصاصات الاسقف القضائية ومع ذلك فوفقا ليوزبيوس فان الامبراطور حدد اختصاصات الاسقف . ولقد سيطر الامبراطور سيطرة تامة على أمور الكنيسة ونقد استجاب الاساقفة له ولقى منهم الدعم وكان الامبراطور يرأس الجامع الوثنية ويشارك فى الصلاة ويجادل الاساقفة فى الوعظ والارشاد وأعلن نفسه قسيسا فى الاسرار المسيحية رغم عدم اعتناقه المسيحية وهذا يحدد الخط الواضح الذى تميزت به الكنيسة فى الشرق واختلافها عن كنيسة الغرب ولقد أدعت الكنيسة الغربية فيما بعد قصة هبة قسطنطين التى ادعاها البابوات فى القرن الثامن حيث ذكروا أن قسطنطين فى ٣١٧ م بعد ثغائه من البرص منح البابوات الذين هم رسل وممثلى المسيح سلطات أعلى من سلطاته ولكن ثبت تزوير تلك الوثيقة (٥١) . فالكنيسة الشرقية كانت قيصرية بابوية ولايخفى تاريخ تلك اكنيسة بالتعارض بين السلطة الدنيوية والدينية كما فى الغرب .

ومع ذلك فقد بدأ الصراع فى الكنيسة الشرقية بسبب مشكلة الخلاف حول طبيعة المسيح ومنذ البداية حدد قسطنطين موقف الدولة من الكنيسة . وجذور تلك المشكلة تعود الى عهد دقلديانوس فبعد صدور مرسوم مايو ٣٠٣ ضد المسيحية طلب دقلديانوس من المسيحيين تسليم كتبهم الدينية غرض عدد كبير ما عدا فئة سلمت اناجيلها ومن هنا بدأت الخلافات نحو تحديد موقف تلك الفئة التى

Ostrogorsky : op cit 45:

(٥٠)

Camb. Med. Hist Vol II 12.

Pulbn : Sources for the History of Medieval Europe (٥١)

P 8 - 11:

أطلق عليها Tradiforēs وثار أحد رجال الدين في اثريشيا
وهو Donafus ورفض قبول تلك الفئة في كنيسة (٥٢) ، بل
تمادى وأعلن احتجاجه على تعيين Cassiodorus الذي وافق على
الغزو على الكهنة الذين سموهم بل اعتبروا الأسقف
الذي رسمه خارجا هو أيضا عن كنيسة ، وأرسل قسطنطين الأموال
إلى كالكيانوس وكتب منه إرشاد السلطات المحلية لمناوئة وقرر
تعيين محكمة دينية تفصل في هذا الأمر وطلب اتباع دوناتوس
سائفة من الغال فاستجب الامبراطور وعين ثلاثة قضاة من الغال
واثنين من رجال دين في روما وعقد مجمع في أكتوبر ٢١٢ م
في روما ادان دوناتوس . وكى رفض اتباع دوناتوس قبول قراره
وأرسلوا إلى الامبراطور عقد مجمع جديد فاستجاب لهم وعقد مجمع
للكنائس الغربية في أريس في أغسطس ٢١٤ م ولقد جاء القرار
ضد دوناتوس . وذكر في القرار أن الامبراطور خارجا عن العقيدة
ونوقشت في المؤتمر عدد من الأمور الكنسية الأخرى . وأرسل
القرار إلى البابا سليفستر لا للتوقيع وبدء يرى بل للعلم فقط
ولجأ اتباع دوناتوس إلى قسطنطين لبدء يرى نقابهم في ميلان
وأدانهم هو الآخر وهنا ارتفعت أصوات من بينهم تعترض على
تدخل الامبراطور في أمور الكنيسة فأمر الامبراطور باضطهاد
معارضى إاراته وهم جماعة أطلقت على نفسها اسم circumcelliones
ولكن أوقف الاضطهاد لعدم جدواه رغم إرسالهم رسالة ترفض
التعامل « مع اسقفه التوضيح (٥٢) » ولكن التدخل أو الصراعات على
المذاهب الدينية لم تكن لتثير اهتمام الامبراطور . فما كان يسمى
إليه الامبراطور هو القضاء على الخلافات وضمان وحدة الامبراطورية .

• Camb: Med: Hist Vol I p 12:

بعد استنكر الامبراطور في رسالة وجهها الى الاسكندر أسقف
 الاسكندرية والتي أرسلها اليه بولس بنطرس بولس بنطرس بالاسكندرية أيضا خلافتهم
 في الاعتقاد بالوحدانية عن الخلافات المدعية ويرجع قسطنطين
 أصلاً إلى أن نور الله غمض يتفق بنفسه في القانون لا يستطيع
 أن يكون نور يرضى حال شعب البحر الذي يعبد لها واحداً
 في دين واحد ويصر على عبادة واحدة ومع ذلك يترك لفروق تابعة ان
 تسمى في الانقسام ويوصيهم بأن يحدوا حدو فلاسفة اليونان بأن
 يرفعوا الحجة بالحجة دون أن يفقدوا أعصابهم أو يحزنوا
 أصدقائهم (٥٤) . وكانت المشكلة قد أثارها أريوس الذي كان أحد
 أعضاء جماعة Melitins والذي رفض التسامح الذي قام به
 القديس بطرس ضد الذين تحولوا الى اعتناق المسيحية بعد ارتدادهم
 زمن دقلديانوس وكانت نظرية أريوس قائمة على أن الأب نفع في
 ابنه الوحيد من روحه وغمره في قيض من نور مجده . وكان يحكم
 العالم خضوعاً لإرادة أبيه ومليكه ولكن هناك فرق لانهائي بين
 الخالق وبين اسمى مخلوقاته أي أن الابن ليس من جوهر
 الأب homousios بل أقل مرتبة . أما النظرية المعارضة فكان
 مؤيدها اثناسيوس شماس الاسكندرية في عهد بطيريركية الاسكندر ثم
 أسقفها فيما بعد وعدد كبير من رجال الدين الشرقيين فذكروا ان الأب
 والابن والروح والقدس من جوهر واحد ومن مادة واحدة
 Consubstantialism (٥٥) ولا يمكن تقديم احدهما على الآخر .
 وسافر أريوس الى فلسطين بعد صدور قرار حرمان ضده من
 البطريرك حيث عرض مذهبه على ايوزبيوس مستشار الامبراطور
 واسقف قيصرية الذي اعتنق مذهبه . ثم اتجه الى نيقوميديا وعقد

(٥٤) جيون 'ضمحلل الامراطورية ط ص ٦٢٥ .

انظر ملحق ٢ آخر الكتاب

مجمع في ريميني حضره أربعمائة من اسقفية الغرب وانتهى الأمر
بإقرار مذهب أريوس غاصدروا syndes تحت ضغط رجال البلاط
من مؤيدي مذهبه برغم النفي عن أريوس وتأييد مذهبه ولكن اسقفية
الاسكندرية رفضت القرار .

مجمع نيقية ٣٢٥ م :

لا اشتدت حدة الخلاف بين أريوس واتباع اثناسيوس أصدر
مجلس كنسي في انطاكية قرار بطرد أريوس ويوزيبوس اسقف
قيصرية من الكنيسة فقرر قسطنطين التدخل وعقد مجمع كنسي .
ولكن عيب هذه الطريقة في تحويل الخلاف المحلي البسيط الى
مشكلة عامة واختيرت مدينة نيقية كمقر للاجتماع بسبب اسمها الذي
يعبر عن النصر (٥٦) .

وتولى قسطنطين رئاسة المجمع وتحدث في مناقشاته وكان
ما يسعى اليه الامبراطور اصدار قرار جناعي يقضي على الخلاف
ولايهم من يتأثر بالآخر أو من يدان وقد حضر المجمع اساقفة من
الشرق والغرب وتوجد قائمة باسماء ٣٢١ اسقف ولكن العدد الذي
حضر يقرب من ثلاثمائة والاول مرة بدأ يتردد اسم الامبراطورية
المقدسة ؛ ولكن رجحت كفة مؤيدي مذهب الطبيعة الواحدة فقرر الامبراطور
الانضمام الى جانب الأغلبية ومدد من يعارض بالنفي فانخفض عدد المعارضين
من سبعة عشر الى اثنان جرى نفيهم وأجبر يوزيبوس اسقف قيصرية على
تأييده ؛ ونفى اسقف نيقوميديا وطرد من وطائفه أما أريوس فقد نفى
الى احدى مقاطعات اليريا وأطلق على اتباعه P or phrycines
وقررت عقوبة اخيانية العظمى على كل من يؤيد مذهبه . ولكن

Gwatkin : Studies of Aranism:

١٥٦ انظر

Newmans : Arian of fourth Century:

كان لاريوس كثير من المؤيدين فى بلاط الامبراطور وفى حكومته بل أن أخته قسطنطينة كانت من مؤيديه فقرر الامبراطور تغيير اتجاهه وتأييد الاريوسية فاسترجع يوزبيوس وأعيد لكرسى الاسقفية وأعيد آريوس من منفاه وعومل بالاحترام وعقد مجلس فى اورشليم اعترف بمذهبه (٥٧) • ولكنه توفى بطريقة غامضة فى اليوم الذى كان مفروضا فيه رد اعتباره ، وثارت الاقاويل واتهم أنصار المذهب المادى بدسم السم له واتهم فيه اساقفة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية وصدر قرار بنفيهم • وعقد مجمع فى صور حضره يوزبيوس ادان اثناسيوس بعد أن وجهت اليه اتهامات باضطهاد مخالفه ، وجلد ست أساقفة ، وتحطيم كاس قربان ونفى اثناسيوس الى الغال بموافقة قسطنطين اذ اتهمه معارضيته لدى الامبراطور باعتراضه وتعويق أسطول القمح السكندري •

انشاء القسطنطينية :

بعد أن توج قسطنطين انتصاراته العسكرية بهزيمة ليسنيوس تفرغ لأعظم الأعمال الانشائية التى خلدها الا وهو انشاء القسطنطينية التى ظلت تحمل اسم منشأها لاحد عشر قرنا ، المدينة التى وصفت بسيدة الشرق ويقال أن قسطنطين حين تقدمت به العمر أخذ يدبر مشروعا تتمثل فيه قوة العرش والاولتقراط فى مكان أشد ثابته وموقع أكثر ملائمة من روما (٥٨) • فقرر اختيار منطقة على تخوم أوربا وآسيا بدلا من روما التى لم يقيم بزيارتها خلال حكمه الا مرات معدودة وانتهى تعرضت لهجمات البرابرة وتقطنها أشد العناصر اعتناقا للوثنية وكان بها كثيرا من مؤيدي ليسنيوس ولقد رفض

الامبراطور اقترحا باتخاذ نيقوميديا عاصمة لارتباطها بذكر
دقلديانوس (٥٩) •

ولاتجاه قسطنطين الى اشرق اسباب عدة منها ن عدد المسحين
أكثر كثافة في الجزء الشرقي فالمسيحية بدأت في بيت المقدس
وانتشرت في مدن الشرق وآسيا ثم انتقلت لغرب فيما بعد . الى
جانب تواجد مصادر اقتصادية وبشرية فلم يتعرض الجزء الشرقي
لما تعرض له الغرب من الغزوات ، فالعناصر الجرمانية سببت المشاكل
للولايات الغربية ابتداء من ايطاليا الى بريمانيا ومع ذلك لم ينجو
الشرق في القرن الرابع من اندفاع بعض العناصر الجرمانية وخاصة
القوط الشرقيين الى البلقان وأصبحت الحدود الشمالية والدانوب
مصدر خطر للامبراطور قسطنطين كما كانت لدقلديانوس من قبل • وفي
الشرق كانت هناك مشكلة ذات طابع خاص حيث تداخلت حدود
الدولة الرومانية والساسانية وكل منهما سعى لضم حلفاء في المنطقة
وتعرضت الولايات الرومانية في سوريا وفلسطين ومصر لكثير من
المتاعب نتيجة لهذه الحراة ، ولقد اختلفت الفرس عن الاعداء ابرابرة
الذين واجهتهم الامبراطورية الفارسية لثم حضارتهم الزاهرة امشي
لانتقل عن الحضارة الرومانية حتى أن المؤرخين الرومان ذكروا أن
العناية المقدسة جعب العلم يضيء بعينين مملكة الرومان والملكية
الفارسية (٦٠) • فكان لابد من اختيار عاصمة قريبة من قلب الخطر
بحيث يسهل نقل القوات الى جانب الوضع الخاص للولايات الشرقية

Millingen Van : Byzantine constantinople the walls انظر
of the city and adjoining historical sites, john Hearsey City
of constantine p 1-5:

Liddell Byzantium and Istanbul p 5.

Hussey : op cit p 35:

Millingen op: cit p 31:

(٦٠)

حيث شهود حالة عدم الرضا فملك الولايات كانت مركزا للنشاط العقلي والديني وخاصة في المدن الكبرى في الاسكندرية وانطاكية وسكان الولايات الشرقية كدمشق وفسطاط ومصر كانوا شاعرون بانهم شرقيين لا غربيين بولس لا روم (٦١) وكان الفرق واضح بينهم وبين العاصمة روم في عدة مصر أهم اللغة والحضارة التي جاذب نمو اللغة اللوية في شوت جنب في جنب مع عالمية الاغريق . ففي مصر مثلا اسببت لغة الوطنية القبطية مستخدمة على نطاق واسع في الحياة ولغة اليومية قراءة وكتابة . فاتخاذ عاصمة شرقية اريخية الطابع اقرب اليهم من روما كان ضروريا لاستيعاب الشرق (٦٢) .

ووقع الاختيار على بيزطة على البسفور لموقعها الفريد فهي على مثلث غير متساوي الاضلاع يلتقي طرفه المنفرج الذي يمتد شرقا الى شواطئ آسيا بأمواج بسفور تراثيا ويصدها . ويحد الميناء الجزء الشمالي من المدينة اما الجنوبي فتحف به مياه بحر مرمرة . اما قاعدة المثلث فتواجه الغرب وعندها تنتهي قارة أوروبا وهي محاطة بالماء من ثلاث جهات القرن الذهبي في الشمال . البسفور في الشرق ومرمرة في الجنوب (٦٤) . ويحيط ببحر مرمرة بشواطئ آسيا وأوروبا على الجانبين بين البسفور والدردنيل . وكان هذا البحر معروفا قديما باسم Propontis . وتبلغ المسافة بين مخرج البسفور الى مدخل الدردنيل نحو مائة وعشرين ميلا (٦٥) ويعتبر البسفور والدردنيل بوابتي القسطنطينية يستطع من يسيطر

Hussey : op cit p 36: (٦١)

Hussey : op cit p 35: (٦٢)

جيون : امحلال الامبراطورية ص ٤١ . (٦٣)

Hearsy : op cit p 14: (٦٤)

(٦٥) ريسان : الحضارة البيزنطية ص ٣ .

عليهما أن يغلطهما في وجه أي أسطول معاد ويفتحهما في وجه السفن التجارية ومكن موقع المدينة ترضين عن الاحتفاظ بأولويات الشرقية حيث أن قبائل المتبربرين في البحر الأسود عزت عن اقتحام هذا المنبع . والعصمة تشغل مركزا ممتازا إلى جانب ذلك فهي تربط المواصلات بين آسيا وأوروبا وكذلك تربط بين البحر الإيجيني والبحر الأسود إلى جانب كونها مركزا لتجارة عالمية ، ولقد اكتسب ميناء القسطنطينية منذ زمن سحيق اسم القرن الذهبي فان الانحذاء الذي به يمكن مقارنته بقرن غزال ولفظ ذهبي دلالة الثروة التي تتدفق عبره من أقصى الأرض إلى شفر القسطنطينية الواسع والعمق الثابت للمياه في الميناء يسهل عملية تفريغ البضائع عن الأرض مباشرة دون استخدام انقوارب . ويمكن عند الاقتضاء وضع سلسلة متينة تحمي الشفر والمدينة من هجوم أي أسطول معاد(٦٦) .

وبيزنطة التي منحت اسمها للدولة الرومانية الشرقية كانت أصلا قرية صغيرة على البسفور وخلال الثلاث آلاف عام السابقة كانت عبارة عن مساحة من الأرض مقطعة من الشاطئ الأوروبي في اتجاه مدخل البسفور ولقد عاصرت ثلاث حضارات وأربعة أسماء . ففي البداية كانت قرية للصيادين تسمى ليجوس وكان الإغريق قد استشاروا الهة دلفي عن أفضل موقع لبناء تلك المدينة فأشارت عليهم هذا الموقع بينه وبين البحر نصف ميل . والفضل في تأسيسها للملاحى ميجارا ٦٥٧ ق.م ، ولقد سبق للميجاريين تأسيس مدينة خلقدونية على الشاطئ الآسيوى المقابل(٦٧) .

Zosimus op. cit 2 p 35:

(٦٦)

Hearsey : op cit p 1-5.

Camb: Med: Hist Vol I.

Millingen, op cit p Lo.

(٦٧)

Hearsey : op: cit p 5.

الحضارة البيزنطية ص ٣ .

ولقد أصبحت بعد انشائها مركزا تجاريا هاما وفى أواخر
 الخامس ق.م حين ضعف سلطان الاغريق شجعت لغزو لىرية
 فى طرفتها وفى ٢٤٠ م ق.م حصره غيب القونى ولكن فشل
 حصاره ثم استولى عليها الاسكندر وجعلها مقرا لجيشه المتجه الى
 الهند . وفى قرن الاول الميلاد أصبحت مستعمرة رومانية وقد وقعت
 تحت سيطرة بجنط Pescennius Niges فى حربه ضد سبتيموس
 سوريوس واستولى عليها سفريوس بعد عامين وخرب أسوارها .
 ولكن أعاد بعد ذلك تجديدهما وأضاف اليها انهدروم والحمامات
 والقصور وأصبحت ولاية رومانية (٦٨) . وتقدم القوط عبر أسوارها
 لنشر الذعر فى كل البحر الايجنى وشواطيء ايطاليا . وكانت من
 نصيب مكسميان فى التقسيم الربعى ثم استولى عليها قسطنطين
 فى حربه الاولى مع ليسينيوس وكانت المرد الثانية والنهائية بعد
 هزيمة ليسينيوس فى ادرينوبل وكانت بيزنطة محورا لحرب
 ومسرعا للممارك واولا هزيمة الاسطول لم استطاع قسطنطين ان
 يطرده منها ولقد بدأ فى بناء المدينة فى نوفمبر ٣٢٤م بعد انتصاره
 على خصمه ليسينيوس وانتهى من بنائها فى ١١ مايو ٣٣٠م ويقال انه
 أطلق عليها روما الجديد ولكن اثروا ان يطبقوا عليها اسم
 القسطنطينية تخليدا لاسم مؤسسها (٦٩) .

ولقد اجتمع فى بقعة واحدة من الجمال والأمن والثراء ما كان
 كافيا ليبرر اختيارها . وقد كانت بيزنطة مقامة على تل واحد ولكن
 أدخل قسطنطين الى نطاق المدينة خمس تلال وأضاف خلفاؤه التل

(٦٨) جيبون : اضحلال الامبراطوربه ص ٤٩٣ .

Hearsey : op: cit p: 6:

Sozomen . 11. 3 - Aösimus V. 24.

(٦٩)

Hearsey : op cit p 6:

Millingen : op cit p 20.

السابع تشيها بروما • ويبلغ أقصى طول للقسطنطينية في المرتفع
 الشرقي إلى القرن الذهبي نحو ثلاثة أمثال رومانية ويحيط بها
 إلى إحدى عشر ميلا ولم يألوا قسطنطين جده في جعل مدينة
 مترنة واستخدم ثروة وعبقريته ابتاعه عند تملكه على
 القسطنطينية مبلغ مائة مليون وخمسمائة ألف جنيه لبناء الأسوار
 والأروقة وقناطر المياه وجلب أعداد كثيرة من الصناع والمهاتل من
 جميع أنحاء العالم نتيجة لذلك • • • • • يشير جييون أن الإمبراطور أصدر
 تعليمات إلى جميع الحكام في أقصى الولايات لإنشاء المدارس وتعيين
 الأستاذة وأغراء العدد الكبير من المعلمين الذين تلقوا تعليمًا
 متحررا ، ولقد جرد الإمبراطور من أسرار اليونان من ضمن نقائسها
 حيث ازدانت بها العاصمة الجديدة فتمثال أبولو الفخم الذي صنعه
 غيداس نقل إلى العاصمة وغيرت ملامحه بحيث أصبح يحمل صورته
 وأسبغت عليه كل صفات آله الشمس وتحمل إحدى يديه صولجان
 والآخر كرة أرضيه • ويضع رجليه من الشوك كالسيح وبذلك اتحدت
 فيه العقيدتان القديمة والحديثة وقد ظل التمثال إلى عهد
 الكيسوس كومنن ١١٠٥ م • ثم تماثل أثينا • والنحور الذي غسخت
 عليه مريم المجدلية أقدام المسيح ، فال مواطن من أبناء القسطنطينية
 الذي كان يسير كل يوم في شوارع مدينة لم يكن يستطيع نسيان
 مجد تراثه الهليني الغابر •

ولقد ازدانت المدينة أيضا بالمباني الضخمة ولقد أهتم بعمارة
 الكنائس وإن كانت قد احتفظت بمعابدها القديمة وأقيمت بعض
 منبذ نوثيين الثامن من تشييد المدينة • يقدم قسطنطين ولأته

٧٠١ جييون : الضمحل الإمبراطورية ص ٢٩٠ .

Ostrogorsky : op cit p 40:

لأله الحظ : ٢٢٠ • وكان لها سناتو كسانتو روما حيث استدعى
بعض أعضاء سناتو الروماني لعاصمته (٧١) •

وأول الكنائس التي نشأت بها كنيسة القديسة أيرين وكنيسة
الرسول القديسين وبعد قرن من تأسيسها ظهر في وصفها كتاب ذكر
أن فيها كابيول ومحرسة وسرك ومسرحان وثمانية حمامات عامة
ومائة وثلاثة وخمسون حماما خاصا واثنان وخمسون رواقا وخمسة
مخازن للخبث وثمانية خزانات للمياه وأربع قاعات فسيحة لاجتماعات
السناتو أو محكم القضاء وأربعة عشر كنيسة وأربعة عشر نصرا
وأربعة آلاف وثلاثمائة وثمانية وثمانون بيتا ، وقسمت المدينة الى
أربعة عشر حبا ونلاحظ أنهم لم يهتموا ببناء المسارح وحلقات
الوحوش التي فقدت أهميتها حسب وضع القسطنطينية كدولة
مسيحية (٧٢) • وإن كان الاهتمام قد انتقل الى السرك وميدان
سباق الخيل الذي اكتسب طابعا سياسيا فيما بعد للدور الذي لعبه
كل من الزرق والخضر • وكانت المدينة مقسمة وحصينة فاذا هوجمت
عن طريق البحر تبقى على الاعتماد على أخرى غير معروفة على
الامتداد وبقيت القسطنطينية أكثر من ألف عام صامدة لم يستطع
اقتحام أسوارها الا الحملة الصليبية الرابعة والعثمانيون وأول من
استقر بها ثيودوسيوس لأن قسطنطين مات غي نيقوميديا وقسطنطيوس
وجوليان شغلا بحروبهما وجوفيان توفي قبل أن يصل للعاصمة • ولقد
قطنت بها آلاف من الاسر النبيلة تشبها بالامبراطور حيث اقطعهم
ضياعا وراثية في بنطس وغيرها من مدن آسيا بشروط سنة للملكية.

(٧١) رتمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٢ .

Zosimus : V: P 25:

Hussey : op cit p 5:

(٧٢)

Hussey : op cit p 12:

Maurice : Les Origine de Constantinople 282:

وظلت القسطنطينية مركزا تجاريا وسياسيا انى جنب دورها فى المجال الحضارى والدينى طوال قرون عديدة . ولقد ازدادت أهمية المدينة بينما قلت أهمية روما وقل عدد سكانها . وبعد ما لايزيد عن قرن أصبحت القسطنطينية أكثر سكانا من روما وفى القرن السادس أصبح فيها ما يزيد عن نصف مليون (٧٣) .

خلفاء قسطنطين :

تولى قسطنطين بعد فترة قليلة من الاحتفال الثلاثين بتوليته العرش : وقسمت الامبراطورية بعد وفاته بين أبنائه الثلاث قسطنطين قسطنطيوس قسطنز ولقد وُلِدَا فى أعوام ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ م . هم أولاد غوستا ومنح كل منهم لقب قيصر أثناء حياته ونال قسطنطيوس . قسطنز ولقد وُلِدَا فى أعوام ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ م وبريطانيا و قسطنطيوس شرق و تراقيا أما قسطنز فقد حكم إيطاليا و إفريقيا واليريا وحملوا جميع لقب أغسطس وان كان حاكم العاصمة يتمتع بمكانة مميزة بعض الشيء .

ولقد بدأ حكمهم بسلسلة من الخبايا الوحشية توضح الطابع الدموى لتلك الاسرة . فقام قسطنطيوس وهو أول من وصل الى العاصمة عند وفاة أبيه بالتخلص من جميع أقاربه الذكور فقتل اثنين من أعمامه وأولادهم السبع وزوج شقيقته بناء على تجريض بعض رجال البلاط الذين أوحوا للامبراطور بأن ضمان سلامة الامبراطورية يحتم التخلص من أى منافسة قد تحدث مستقبلا تهدد العرش الامبراطورى ، واستضع التأثير على بعض العناصر فى الجيش التى تعالت سيدهته فنادى بالتخلص منهم فاستجاب الامبراطور بعد أن

Ostrogorsky : op cit p 44:

(٧٣)

Maurice : Les Origines de constantinople 282:

Brehier : Le civilsation Byzantine p 81:

كان قد منح اقاربه الامان فتخلص منهم بلا جريمة فلم يشعر
الامبراطور بفداحة فعلته الا عند موته فسمى لطلب المغفرة والرحمة (٧٤)
والعلاقة بين الأخوة تنعكس نفس الطابع والنوعية فليس هناك
مراعاة لرابطة الدم أو صلة الرحم (٧٥) ، فقسطنطين حاكم العاصمة
سمى لضم افريقيا التي تخص أخيه قسطنز واستولى عليها فعلا ،
فعرض قسطنز على أخيه الآخر قسطنطيوس معاونته مقابل وعده
بتسليمه القسطنطينية ورغم هذا التحالف فإن قسطنطين طالب أخاه
بعد استيلائه على افريقيا بتسليمه ايطاليا . وكان هذا ايذاً بنسب
حرب بينهم وفي ٣٤٠ عبر قسطنطين الالب واتيجه الى اكويليا في
حين توجه قسطنز الى ناسيوس في داكيا وهزم قسطنطين في معركة
في اكويليا ولكن ما لبث ان سقط في فخ أهله . وبذلك انحصرت
الامبراطورية بين قسطنطيوس وقسطنز الذي أصبح سيد بريطانيا
والغال (٧٦) ، ورغم أن قسطنز حقق العديد من الانتصارات على
البرابرة ابتداء من عام ٣٤٣ م فطارد الفرنجة وأجبر من تبقى منهم
على عقد معاهدة سلام ، وفي ٣٤٣ م عبر من بولونيا الى بريطانيا
وأخضع البكت والسكسون .

ولكن كان لقسطنز مساوءه فكان حاد الطبع لا يأبه بالقانون
ولا يتردد في انتهاكه الى جانب ازدرائه الواضح للجيش فأدى هذا
الى تجمع عناصر الثورة والتمرد ضده وبدأت الفتن في بلاطة بفساد
أحد المقربين له وهو ماركليينوس وماجنتيوس قائد مجموعة جوفيان
وماجنتيوس هذا بربري الاصل . ولقد انتهز فرصة وجود الامبراطور

Vasiliev : op cit p 77:

(٧٤)

Ostrogorsky : op cit p 44:

Hearsey : op cit p 14.

(٧٥)

Ostrogorsky : op cit p 67:

(٧٦)

Camb. Med. Hist, Vol p 57.

فى رحلة ميد فأعلن ماجنتيوس نفسه امبراطورا وهرب قسطنز الى اسبانيا وفى البرانس فى قرية تسمى قلعة هيلينا سقط فى ايدى مندوبى ماجنتيوس الذى تخلص منه بالقتل . ولقد تحسنت أحوال هذا القسم عن الامبراطورية تحت قيادة ماجنتيوس العادلة فانضت اليه ايطاليا وافريقيا وبناء على نصيحة قسطنطينة شقيقة الامبراطور غان حاكم الدانوب Vetranios أعلن نفسه امبراطورا وأيدهم الامبراطور ، وأمر قسطنطين قوات بانونيا بالانضمام اليه ، وكذلك انتخب فلافيوس بوبوليوس قريبا قسطنطين امبراطورا فى روما ولكن قتله ماجنتيوس بعد ثمانية وعشرين يوما (٧٧) .

ولقد انتظر ماجنتيوس اعتراف قسطنطيوس ، وأرسل سفارة لطلب عقد معاهدة بينهما فيتزوج ماجنتيوس شقيقة الامبراطور قسطنطينا فى حين يتزوج الامبراطور ابنته ولكى رفض الامبراطور وزوج شقيقته جاليوس قريبة . وتقدمت قوات الامبراطور للقاءة المختصب ولكن فاترونيوس انضم لماجنتيوس ضد الامبراطور ولكن عذ التقاء الجيشين عاد وانحاز الى قسطنطيوس الذى عفى عنه ومنحه اقطاعا ، واستطاع ماجنتيوس احتلال بانونيا ، وأمام تلك الانتصارات وتجنباً لمدام لاتعرف منبته قرر الامبراطور ارسال سفارة لماجنتيوس تعرض عليه ان يصبح امبراطورا مشاركا فى الغرب ، ولكن ماجنتيوس رفض لوثوقه من النصر وأرسل مبعوثا هو الساتور تيتانوس ينصح الامبراطور بالتخلى عن العرش ولم يستجب الامبراطور وحدثت المعركة الفاصلة فى ٢٨ سبتمبر ٣٥١ م فى مورسا فى نهر انسان وهرب ماجنتيوس ولكن ماركلينيوس أكمل الحرب هو وقوى انغال التى أبت الاستسلام وقتل عدد كبير منهم ، وبعد انتصار الامبراطور عفى عى كل من اشتركوا مع ماجنتيوس

الا من اشتركوا في قتل أخيه . وقتل ماحفقيوس في ليون وأصبح قسطنطيوس السيد الأوحد -امبراطوره- وأثبتت تلك الحرب أمرا هاما هو أن الرومان ما زال ولائهم قوي لاسره قسطنطين رغم عدم رضاعهم عن بعض الأفراد . ورفعهم لارتقب، متبرير العرش الامبراطوري رغم ما تمتع به من برايه (٧٨) .

قسطنطيوس والفرس :

كان الفرس يمثلون العدو الدائم والقوى المراس اروما ثم لبيزنطة (٧٩) . ولقد تولى في تلك الفترة عرش الامبراطورية الفارسية سابور الثاني وهو من أفدر ملوكهم ولقد اشتهر باسم سابور ذوى الاكتاف . لما حققه من انتصارات على القبائل اليمنة وترك لقسطنطيوس بوصفه حاكم الشرق أمر التصدى له وخاصة أن قسطنطين الأول قبل وفاته كان قد أعد حملة لقتالهم (٨٠) .

ولقد بدأ الحرب الفارسية في عام ٣٣٧ م بعد اجتماعه بشريكه حيث اتجه الى نصيبين وأعاد تنظيم جيشه وأمد فرقه بزررد مدرعة وطالب الولايات بزيادة امداده للفوات المقاتلة وفي نفس الوقت عقد تحالف مع ارشاك الثانى ملك ارمينيا الذى كان قد فر من بلاده ولجأ الى ازرومان بسبب الغزو الفارسى لبلاده وصحبه عدد من نبلائه وعبر الامبراطور نهر تجريز بثلاث جيوش وتركهم الامبراطور يمرون الى

chapot : La Frontiere de l'Euphrate p 169

(٧٨)

Chesney : Expedition For the survey of the rivers Euphrates and Tigris Vol 5:

(٧٩)

(٨٠) عن الملاتات الفارسية البيزنطية

Amimianus Marcellinus trans : H: Baynes:

Chapot : op. cit p. 340.

جيون : انفحال الامراطورة ١١ - ٥٥٣

أن أصبحوا قرب سنجار وأصبح بينهم وبين الجيش الامبراطوري
 مسافة قصيرة . وبدأ القتال الحقيقي في ٤٤- وكانت أفضل الفرق
 الامبراطورية غير موجودة ولذلك أمر الامبراطور جيوده بالانتظار
 وخاصة أن الفرس كانوا يسيطرون على منابع الماء ولكن المطش
 دفع الجند لعدم الاستجابة لأمر الامبراطور فهاجموا المعسكر فارسي
 وحققوا انتصارا سريعا وفر سابور الى تجرير . ولكن الفرس عند
 الماء استطاعوا جمع ثقاتهم واستعدادة معسكرهم فان هزيمتهم الاولى
 اضطرتهم للهدوء فترة ثم معاودة الهجوم فاجبروا نصيبين أثناء ثورة
 ماجنتيوس وقاومهم اشقف المدينة سريعا وخرجهم للانسحاب (٨١) .

وتجدد الصراع مرة أخرى في ٢٥٠ م رغم توقيع معاهدة
 صلح ٢٥٠ م وعدم الوالي الروماني للتفاوض مع الفرس ، ولكن
 سابور كان قد بيت الفية على مهاجمة الأراضي البيزنطية ومهد
 لذلك بعقد اتفاقية مع انطاكية وطلب من الامبراطور استعادة مناطق
 نهر العاص وارمينيا وهدده في حالة رفض الامبراطور . القيام بعمل
 حربي . وكان القائد الروماني الذي يمسد في قد تجاوز مرحلة
 الشباب وهو Licinius واعداد يوشف الرومان سوءا بفرار
 أحد القواد الرومان مع فرقته وانضم الى الفرس وتقدم سابور الى
 الأراضي سوريا واستولى على آمد وبعد أن نسب أراضيها عاد الى
 فارس فقرر تسليطه الخروج بنفسه للحرب وأمر الفرق الموجودة
 في النبال بالانضمام اليه لكن جوليان رفض فقرر الخروج ومحاسبة
 جوليان عند عودته وتقدم الامبراطور الى الرها وانتظر ليري ما يقوم
 به سابور ، ولكن بلغته أنباء تراجع سابور فدعم تحصينات انطاكية

وبلغته أنباء عن جوليان غاضط لسحب قرايته من آسيا والتوجه الى
الغرب حيث وافاته منيته .

الموقف الدينى :

أدت لولادة قسطنطين في موقفهم الدينى كما اختلفوا سياسيا ،
ففسحوا المجال من معتنقى مذهب أريوس وقسطنطين الصغير
، فصار من مؤيدى نيقية بل أن اثناسيوس لجأ الى بلاط قسطنطين
فى الغرب ، وكان قد أبعد أثناء حكم والده قسطنطين الكبير ولقد سمى
قسطنطيوس لنصر المذهب الارىوسى بمساعدة الاسقف يوزبيوس
واجتمع فى انطاكية تسعون أسقفا ممن صاغوا مذهب جديد أطلقوا
عليه اسم Semi Arianism (٨٢) أى الشبيه بالارىوسية ووضعوا
خمسا وعشرين قاعدة دينية لاتزال الكنيسة اليونانية الارثوذكسية
تسير عليها الى اليوم . وكان مما نصت عليه أن الاسقف الذى يصدر
مجلس اسقفى قرار بنفيه لا يباشر مهام الاسقفية ثانية وكان المقصود
به اثناسيوس وعين جريجورى فى اسقفية الاسكندرية بدلا من
اثناسيوس الذى لجأ الى بلاط ميلان حيث قسطنز بناء على استدعاء
الأخير له وفى محاولة للتوفيق بين شطرى الامبراطورية عقائديا عقد
مؤتمر فى سارديكا فى صوفيا على الحدود بين الدولتين وظهر
أربعة وتسعون أسقف ، ولكنه لم يستطع اتوفيق بينهم فلقد تمسك
كل فريق بمعتقدته وظهرت فى المجلس مبادئ الخلاف بين الكنائس
اليونانية والكنائس اللاتينية . ولكن قسطنز حاكم الغرب والأخ الأكثر
قوة وسلطانا أجبر أخاه فى رسالة بعث بها اليه على إعادة اثناسيوس

Cwatkin : op: cit p 66:

(٨٢)

Brogie : l'Eglise et l'Empire p 23.

Newmans : op: cil p 30:

بقدمه على رأس أسطول ان لم يستجيب لذلك . وسارع قسطنطيوس الى كرسيه الاسقفى فى الاسكندرية وكان حطب مصنوعا . جديد الذى كانت يشغله أمر الحرب الخرسية قبول التهديد بدون ابد وأرسل يعيد الاسقف لاسقف من خبره له سيعيد كرسى الاسكندرية ويعيد نجم حقوقه . وغير تهم (٨٢) .

فى ثل هذه الحركة أدت الى شطر الاربوسية فريقين معتدل ثرب عن مذهب نيقية حيث قال ان الألب والابن متشابهان وفى نفس مستوى وان لم يكونا من نفس المعدن . وفريق آخر أصر على مذهبه بقيادة اجرينوميوس وانكر أى تشابه . وان كان مصرع قسطنطاز غير الأمور (٨٤) .

ولقد منحت الحرب بين قسطنطيوس وماجنثيوس فرصة أمام الكنيسة الكاثوليكية لرواحه وسعى كلا الفريقين لضرب اثناسيوس وكن لا استقبال اثناسيوس رسل ماجنثيوس اسماوا الأثر بالنسبة للامبراطور الذى سعى للانتقام منه وعلى مجلس رل وميلان ادين كيرطلى وبانتصار قسطنطيوس اعتمد الاربوسية كمذهب رسمى لدولة . وكان الامبراطور بعد انطاد من سرور الحرب الاعلية قد تفرغ لتقرير أمور العقيدة . ولتحقيق الوحدة المذهبية أمر أساقفة الشرق بالاجتماع فى سلوقيا فى ايوروا ونقد استمر المجلس أربعة أيام ولم يأتى بنتيجة . أما المجلس العربى فعقد فى ريميني ٣٥٩ م على شاطئ الادرياتيک واعترف المجمع بالعقيدة الاربوسية بعد نفى

Gwatkin : op: cit p 66:

Brogile : op: cit 23:

Vasiliev : op cit p 68:

Harnack : History of Dogma Vol 4 p 49.

الاساقفة المعارضين (٨٥) وأعلن المجلس عقيدة التشابه بين الابن والاب دون ذكر ما يفيد انها من طبيعة واحدة وكذلك عقد مجلس في ٣٥٩ م في سرميوم أكد على قرارات المجلس السابق ومع ذلك حدث انشقاق آخر في المذهب الاربوسي فان العدد المعتدل مضى قدما حتى اقترب من مذهب نيقية .

وفي عهده دخل فرع من القبائل الجرمانية الى العقيدة المسيحية على مذهب الاربوسي وقام ولفلاس بترجمة الانجيل الى اللغة القوطية (٨٦) .

أما بانسبة لموقف الامبراطور من الوثنية فعند دخول قسطنطينوس الى روما في ٣٥٧ م أمر بإزالة قوس النصر من السناتوء وشعر الرومان ان هذا ايدانا بانول نجمهم ويقال انه اصدر أمر بإغلاق المعابد ومعاقبة من يتردد عليها وان كان يحوط هذا الأمر الشك فقد استمرت المعابد قائمة في عهده بل قام بزيارة لمعابد روما وأنعم على أعضاء السناتوء بالتاب كهنوتية على حد قول سميخوس . وكانت الانقسامات المسيحية سببا في تأخير هلاك الوثنية فكلما الجانبين المسيحيين تطرف في معاملة الآخر ، وغلب عليه عدم التسامح مما أبقى على وجود الحزب الوثني وكان رعايا قسطنطينوس يتمتعون بنفس المزايا والامتيازات سواء في الجيش أو الدولة ولقد انتعشت آمال الحزب الوثني بظهور جوليان .

Baker, Nestorins and his Teaching p 6.

(٨٥)

Henri Gregoire : The Byzantium church p 87.

Baker : op. cit. p 6.

(٨٦) جيون اضحلال الامبراطورية ج ٢ ص ٧٧

Harnack : op cit vol 4 p 4-9:

قسطنطيوس وجوليان :

كان على الامبراطور مواجهة العديد من المشاكل غائى جانب الاخطار التى احدثت بالامر طورية على الحدود من جانب الشرق . كانت هناك مشاكل التبريرين فى الغال ، وكان الامبراطور يخشى ان يرسل احد قواده الى هناك ان يستقل بالولاية فقرر ان يلجأ الى احد اقربائه من أفراد الاسرة المالكة وبما أنه سبق له التخلص منهم عند توليته الحكم فلم يبقى الا على جاليوس وأخيه جوليان لضعف صحة الأول وضعف الثانى (٨٧) . ولكنه ما لبث ان تخلص من الأول بعد أن ولاء انطاكية لالتزام بسوء الادارة والتعسف فلم يبقى الا جوليان ورغم معرفة الامبراطور بعبولة الوثنية فقد عينه قيصرا ٢٥٥ م وزوجه أخته ميلينا نتيجة وساطة الامبراطورة زوجته ، وخرج مع الامبراطور فى حربه الالمان فى الالزاس .

واتجه الامبراطور الى الراين فى حين أوكل أمر الغال الى جوليان وأثبت جوليان مقدرة فعلة نصرا سريعا فى ستراسبورج واستعاد الراين الأعلى وحرر بلاد الغال من البرابرة ، وقامت محاولات لتنحييه اغسطس ولكن رفض التفرغ من اثاره ربيبة قسطنطيوس بسبب الدسائس التى تشك ضدّه فى البلاط (٨٨) .

Socrates Historia Ecclesiastica trans Hussey W. Y. 1891 (٨٧)

Allard, Paul. Julien l'Apostat 3 Vols Paris 1906,

Des jardins Abel: l'Empereur Julien (paris 1845) Rendall.

GH: 'The Emperor Julian (camb 1879).

Vasiliev op cit 77:

(٨٨)

Rendall : op cit p 12:

Desjardin : op cit p 3.

ولكن تغير الموقف بسبب الحرب في الشرق وكان الامبراطور قد نقل عاصمة احدى القري من ميلان الى سرميوم لمواجهة البرابرة ولكن ما ثبت ان تغير الموقف بسبب الحرب الفارسية حيث استدعى تحريك سابور واجتياحه للولايات البيزنطية خروج الامبراطور فطلب من جوليان الانضمام اليه فرفض جوليان . فقد رأى أن سحب القوات من الغرب يفتح الباب أمام البرابرة ويقضى على جميع الجهود السابقة للسيطرة عليهم وانضم اليه الجند الذين رفضوا ترك أسرهم عرضة لهجمات الالمان الى جانب اضطرابهم للقتال في أرض تختلف عما افوه وانتهى بهم الأمر الى اعلان جوليان أغسطساً ووصلت الأنباء تلك الى قسطنطينوس . وكان أمامه أمران اما الذهاب لاختضاع جوليان أو التوجه الى الميدان الفارسي . فانتصر ولأئله لبلاده وقرر التوجه الى الرها وترك أمر جوليان لحين عودته .

أما جوليان فاتجه لمحاربة الفرنجة في الراين أملا في الاتفاق مع قريبه ولقد تمكن من هزيمة الفرنجة بسهولة ، وحاول فتح باب المفاوضات بلا نتيجة مع قسطنطينوس فقرر أن يعتمد على قواته وتأييدها خوفا من أن يناله نفس مصير أخيه وقرر جوليان أن يبدأ بالهجوم حتى لا يأخذ على غرة وقبل أن يستطيع الامبراطور سحب قواته في آسيا ، فسيطر على الطريق الى الغرب بفضل قوات جوفوريوس وجوليان واستولى على سرميوم بسهولة وأمام هذا التهديد قرر قسطنطينوس التوجه لملاقاة جوليان وخاصة بعد ان استتب الأمر في الشرق (٨٩) . ولم يكن لدى جوليان القوات الكافية لمواجهة قوات قسطنطينوس وخاصة في تراقيا حيث

الكونت Martianus وولايات الشرق الموالية لقسطنطيوس المسيحي
وانسطر جوليان للعودة الى الغال في حين اتجه قسطنطيوس الى
كاليا بقيادة الحرب ضده ولكن انقذت جوليان وفاة قسطنطيوس
المفاجأة في ٢ نوفمبر ٣٦١ م وبذلك أصبح جوليان سيد الامبراطورية
بلا منازع .

جوليان امبراطورا :

تولى جوليان في ١١ ديسمبر ٣٦٠ م عرش الامبراطورية
بلا معارضة واندء ايوزيبوس والفرق الامبراطوري وجمع غداة
الجيش وحكام الولايات والشعب . ولم يكن يتجاوز عند توليته
الحذبة والثلاثين . وجوليان هو ابن يوليوس قسطنطيوس الثقب
الزاهر للامبراطور قسطنطين الذي قتل في مذبحه ٣٣٠ م وكان
جوليان وشقيقه جانيوس الوحيدان الاذان بقي على قيد الحياة
بعد تلك المذبحة (٩٠) .

ولقد تلقى تعليمه الاول على يد Mardonius انذى كان من عاتق
الحضارة الكلاسيكية والفنون القديمة فتمى في نفس تلمذه اهتمامه
بكل هذا وفي ٣٤١ م أبعد هو وأخيه الى قلعة Macellum حيث عاشا
في أحد قصور قبادوقيا ورغم تلقيه العلم على يد مسيحين غاد ظل
على اعجابه بالحضارة الوثنية ، وأرسل أخاه الى انطاكية حيث منح
لقب بروقنصل . في حين ذهب جوليان الى نيقوميديا حيث درس على
يد عدد من المعلمين الوثنيين أمثال Libanus . واجتمع فلاسفة
آسيا الصغرى حول جوليان ووجدوا في ذلك عهد الشاب وشخصيته

ما جعله نصيرا الوثنية ، ثم انتقل بعد ذلك الى اثينا حيث أشبع نهمه الى معرفة وحضارة اليونانية الا أن اختاره قسطنطين قنصلا (٩١) .

وجوليان نموذج فريد بين الاباطرة الرومان فهو فيلسوف ومفكر تأثر بالحضارة الاغريقية ومنجزاتها ودرس على يد أفضل فلاسفة الاغريق وآدابهم ، وكان يشعر بالصلة الوثيقة التي تربط الفلاسفة والأدباء بالعقيدة الوثنية فرأى أن انهيار الوثنية يعنى انهيارا للعالم الاغريقي بكل قيمته وغنونه فلم يكن موقفه من المسيحية نابع عن كراهية أو اندفاع شخصي بقدر ما كان خوفا على حضارة يحوى على استمرارها بل وبعثها (٩١) ، وكان لا يرى غنى المسيحية معجزة بل مجرد ديانة مقبولة للبعض ، وهذا دفعه لمحاولة بعث الوثنية على أسس وبطرق أكثر تنظيما ومجاعة اعصره . وغى نفس الوقت اتخذ من المسيحية موقفا معتدلا ظاهريا فلم يلجأ الى وسائل الاضطهاد واقمع كما حدث فى عصر جاليريوس ودقلديانوس فلم يكن يأمن بالارهاب كوسيلة لتحقيق النظريات أو حل المشاكل ولكن ترك العقيدة تقضى على نفسها وترك انصارها يبذرون بذور اشفاق والخلاف بأيديهم عن طريق تركيزهم يتبادلون الاتهام والخلاف والخطوط العامة لسياسته تتمثل فى أمور ثلاث :

أولا : مداولته استعادة الوثنية لمكانتها الأولى .

ثانيا : كان بطمع فى اقامته امبراطورية عالية تماثل امبراطورية الاسكندر وكان يشعر باحتياج الشعب لرؤية ماركوس أوريليوس آخر على العرش .

Camb. Med. Hist Vol 1 p. 57.

(٩١)

Vasiliev : op cit p 77.

Rendall; op cit p 15:

ثالثا : سعيه لايجاد جهاز ادارى منظم للنهوض بالبلاد والقضاء على الرشوة والفساد التى يعزوها للبطانة السيئة النحيطة بقسطنطينوس (٩٢) .

جوليان والوثنية :

كان جوليان لا يخفى اعجابه بالوثنية وحضارتها منذ حداثة سنه ونصبه للفيلسوف الوثنى مكسيميانوس سرا فى مدينة افسوس عضوا فى مدرسته . ومع ذلك فان ارتداده لم يكن يعرف به الا عددا من المقربين له . ويقال انه ربما ربط بين العقيدة المسيحية وقسطنطينوس الذى كان مسئولا عن مقتل ابيه وأخاه فمن هنا ارتبطت المسيحية فى ذهنه بالاضطهاد الى جانب الخلافات المذهبية بين انصارها دفعه الى أن يجد فى دين آباءه الملاذ .

ولقد اضطر فى عهد قسطنطينوس الى حضور الاحتفالات الرسمية . ولكنه كان حين يعود لتصره يتعبد فى المعباد الخاصة بجوستر التى أقامها هناك ، وادعائه المسيحية زاده كرامة للعقيدة ولقد ألف عددا من الكتب للرد على المسيحية . وقام كيرلس أسقف الاسكندرية بنسخ بعضها للزد عليها ، ولذلك ما كاد يتولى العرش حتى ظن الفريق الوثنى انه سيقوم بسلسلة من المذابح والاضطهادات ضد أعداء الهته (٩٣) .

ولكن الامبراطور كان يؤمن بعدم جدوى الاضطهاد . بل أنه رأى ان الاضطهاد يرغع الضحايا الى مصاف الشهداء ، ولقد بدأ

Ostrogorsky; op cit p 57:

Hussey : op cit p 22:

Vasiliev : op cit p 70:

Hussey : op cit p 22:

(٩٢)

(٩٣)

عنه، بإصدار مرسوم كان يصر على التسامح وحرية العقيدة وأمر
بفتح جميع المعابد الوثنية على سبيل إطلاقها وأنقذ كل القوانين التي
عبرها تعسفية والتي أصدرها قسطنطين وقسطنطيوس تجاههم .
وأشار عو ب حبر لأعظم *Julius Maximus* : وأمر بتقديم الذبائح
لدرجة وتبب صفة من الخدمة في مختلف الولايات وقام بتشيد
معبد من المعبد وأعقد على الوثنيين كثير من المزايا وسعى لإقامة
مؤسسه الدينية تقف أمام الكنيسة ونصح رجال الدين الوثنيين بأن
يجاوز دور رجل الدين الوعظ الى ايضاح ما تقدمه العقيدة
للنفس (٩٤) . ولقيت دعوته استجابة فقد كان من البرابرة
نكأن في الجيش عدد كبير منهم وكتب الامبراطور منشورا
الى انصاكية بوضع سياسته (٩٤) .

وبدا يتخذ خطة مدروسة للقضاء على المسيحية بالوسائل
السامية وعن طريق ايجاد الخلافات . فأصدر أمرا بإعادة جميع
الأساقفة الذين نظام الامبراطور السابق ولقد دعاهم لقصره
وشاهد صدامهم العنيف ومناقشاتهم وطلب لهم أن يعيشوا في سلام
ولكن كما قال ايمميانوس أن هذا تسامحا محضنا من جانب
الامبراطور نابع عن رغبته في إثارة الانقسام وتقويض أسس
المسيحية . ونقل الى المعابد الملح السخية التي سبق أن كانت
تحصل عليها الكنائس وتغاضى عن جمع المزايا التي سبق لهم الحصول
عليها . وأعاد فرض الضرائب والخدمة المدنية وسن قوانين تمنع الهبات
انضمة التي كانوا يحصلون عليها . وحرّم على المسيحيين تعلم النحو

Ostrogorsky : op cit p 47 :

١٩٤٠

جيون : اضحلال الامبراطورية ج٢ ص ٤٤

Ammianus Marcellinus trans. J. Baynes p 195.

١٩٥١

Bidez : la vie de l'empereur julien (Paris 1950) .

والبلاغة وقال أن من يحتقروا ديانة اليونان لا يحق لهم أن يتمتعوا بمزايا علومهم وأطلق عليهم لقب 'جيبين نحير' لهم . وقال أن عليهم الاكتفاء بدراسة الانجيل . وكان الأستاذ ينتخبهم الحكام وكذلك كان الأمر في مهنة الأطباء وأستاذة الفنون الحرة كان التصريح به مرجعة للامبراطور . ولقد ترتب على هذا استقالة المدرسين المسيحيين وفتح المجال أمام الوثنيين . وقررت الكتب الوثنية على الطلبة فامتنع عدد كبير من المسيحيين عن إرسال أبنائهم وكان هذا ما يهدف اليه جوليان وهو ايجاد الفرق بين الوثنية المثقفة والمسيحية وعودة الكنيسة الى حالة من البدائية ولينتحول المسيحيين لجيل من النحلاء المنعصبين وكذلك أبعد أغلب المسيحيين من وظائف الدولة والجيش (٨٦) .

ورغم أن الامبراطور لم يخرق قانون التسامح الذي أصدره فإنه كان يتغاضى عن مواقف الوثنيين تجاه المسيحيين . فحينما قام أهل الاسكندرية بقتل الاسقف جورج القبادوقى اكتفى بإرسال رسالة تأنيب الى أهلها التمس لهم فيه العذر وعلى كل فان جورج كان مكروها من المسيحيين والوثنيين على حد السواء ، ولقد أمر الامبراطور بتعويض الوثنيين عن معيبدتهم بل أمر أن تهدم الكنائس التي اقيمت على اطلال المعابد ومع ذلك فان الامبراطور لم يحقق أمله في بعث الوثنية وكانت حركته اللهب الأخير في شعلة الوثنية وكانت تلك الصهوة قصيرة كحياته وظن الجزء الشرقي على تمسكه بالمسيحية .

Rendall : op cit p 515 :

(١٦٦)

جيون : اضلال الامبراطورية ج١ ص ٥٥٣

Bidez : op cit p 76 :

وفي مجال الإصلاح الإداري بدأ برجال البلاط المصطفين
 بالامبراطور السابق وعزل العنصر الفارسي وجعل نفسه المثال بحكام
 الولايات . فأخضع نفسه لقوانين صرامة وكان يرى أن على الحكام
 أن يظهر نفسه من جيبها الديبوي ويقتف عنه ويتبع العدالة . وكان
 يرضى رسائله على غواده وحكامه يومي . واعتاد مناقشة السنانو
 وكان جسدياً بجانبه ولاته الريتوريين ليضمن سير اعدائه .
 وكان يفرق بين دور القاضي والمشرع ويطالب بالعدالة ولكن الحرب
 مع دريس لم تتح له فرصة المضي شوطاً بعيداً في اصلاحاته (٩٧) .

أخرب مع الفرس :

قرر الامبراطور خوض الحرب ضد فارس رغم نصيحة
 مسناريه بالا يقدم على حرب مع سابور . فوصل الى انطاكية ٣٦٢م
 وكان أهل انطاكية أحرقوا معبد داغين : فاثاروا غضب الامبراطور
 عابهم ثم اتجه بعد ذلك الى هيرابوليس عبر الفرات . ويقال انه
 عبدو بروكبيوس بالعرش في حالة وفاته . وبعد الامبراطور الى وضع
 خطة حربية للتمويه على الفرس فقد قام بتخزين القمح على طول الطريق
 التجريز نيوهم عسوده بأنه سيتخذ هذا الطريق في حين انه سر
 اتخاذ طريق الفرات الى قسطنطيني (المدائن) وكان في نفس الوقت
 قد أمر أسطوبه بمعاونة القوات البرية ، وكذلك أمر كل من بروكبيوس
 وسبتيانوس ان يتقدموا ببعض الفرق عن طريق تجريز للدفاع
 ولحمية ولاية اشرق من الهجوم الفارسي في حين اتجه هو الى
 قلب الدولة الفارسية (٩٨) .

Amianus Marcellinus op. cit XVI.

(٩٧)

Camb : Med Hist Vol I p 82:

(٩٨)

خرج سابور على رأس جيشه لملاقاته وكان جيش جوين يبلغ
٦٥ ألف مقاتل ونظم به سابور الذي يقوده قائد غسطنطيوس .
عند خربت وقرر جوين ان يهاجم العاصمة نفسه والا يهاجم
خزاع على يستغرق فتحها وقتا ورغم قطع الفرس للاهوسة وتدمير
بعض الفرق فان الامبراطور تقدم وهزم جيشا فارسيا واجبرهم على
التراجع داخل أسوار المدينة وعرضوا على الامبراطور السلام ونخه
رفض تشبها بالاسكندر فقام الفرس باحراق الاقاليم امامه .
في ٤٨٠م تقدم جيش فارسي تحت قيادة اثنان من أبناء الملك
الفارسي وعدد من مقاتليه لمنع الامبراطور من التقدم للعاصمة
واستصاع الامبراطور صد الهجوم ، وعقدت مدنه لمدة ثلاث أيام عانى
فيها الجيش من نقص الامداد ولكن سمع أن هناك هجوم على مؤخرة جيشه
فذهب لتفقد الأمر بنفسه ثم استدعى للدفاع عن المقدمة ولكن أصاب
سهم لا يعرف مصدره ذراع الامبراطور الذي ما لبث ان توفي .
واختلف الروايات عن مصدر السهم وانسيع ان مسيحي متعصب هو
الذي اصابه ورغم ان حويلان اقترن في الاجيان بتليه بلقب المرتد
فاننا لا يمكن بأي حال أن نصه في مصاف الضعفاء (٩٩) .

جوفيان :

لم تَمْضِ على وفاة جوليان ساعات حتى اجتمع قاداته لاختيار
خلف له للوضع الحرج الذين كان فيه الجيش لاحاطة الفرس بهم
وتم اختيار جوفيان قائد الحرس وكانت اخلاقه على النقيض من
جوليان فكان يميل الى الفكامة محبا للخمر والنساء ذو تعليم متواضع

Ostrogorsky; op cit p cit 7:

Camb: Med-Hist Vol 1 p 80:

Hussey : op cit p 23:

وتسرب نبالاً مقبلاً. الإمبراطور في الفرس قسارح سابور بالهجوم
 على الفرس. فخرج صوري يسيته وعلى نفس الوقت عاجم الجيوش
 إلى حارب حتى نجا جوليان أن يدفع بهم الجزية. ثم انضموا إليه
 وحققوا عمل السيف في الإمبراطورية. واستطاع البيزنطيون صد
 هجوم ونجح عود الفرس الهجوم الذي استمر أربع أيام على
 جنود من الجوع والنعاس وأرسل سابور يعرض تسليم وواعي
 جوفيان وبعد أربع أيام من المفاوضات تمت صدا لمدة ثلاثين عاماً
 وكان يقضي باستعادة الفرس للولايات في غنم فيم وراء دجلة
 وكانت على عتباتي نصبين وسنجان وتعيد بعدم التدخل في شؤون
 ربي. وتركه فارس. وطالب عدة الشروط المنيه مدر عصب الجميع
 حتى أن أحد الجنود صاح أنه يفضل أن يقاتل عشر مرات على
 قبول تلك الشروط. وكان دافع الإمبراطور يقبل تلك الشروط المنيه
 الاضطرار بفنائه سيئه إلا أن يصل إلى العاصمة ويستطيع مواجهه
 أي معتصب قد يتصددى. وقد بكى أهل نصبين وتضرعوا إلى
 الإمبراطور إلا يسلمهم فارس ولكنهم أصرؤا على تمسكه بشروطه
 وقد رفض اسناتور الروماني قبول تلك الشروط المنيه (١٠٠).

جوفيان والمسيحية :

كان أول ما قام به جوفيان بعد توقيع تلك المعاهدة الخجلة
 وبعد خروجه من نصبين رفع علم الصليب *Labrum* بعد أن كان
 جوليان قد أزال اسم المسيح منه وأرسل منشور في الحكم

Camb. Med. Hist. Vol I p 25:

(١٠٠)

Ostrogorsky op cit p 47:

Hussey op cit p 23:

يقر الديانة المسيحية ويلغى مراسيم جوليان وأعاد ما تكتسبه من امتيازات وتُنظر المسيحيون بعين التقرب إلى جانب الذي سبَحَر إليه الامراطور بين الذهاب المسيحية للتصارع ولكنه نصح أصحاب الفئات المسيحية الخففة بالتوقف وترك الخلاف ثم أعان ميله إلى مذهب يفي به أعدائه فناسيوس إلى بطريركته في الاسكندرية وكان جوليان أمر بنفيه .

وَمَنْ لم يستمر حكم جوفيان طويلا . فقد وجد ميتا في غرائه ١٦ فبراير ٣٦٤ م بعد حكم دام ما يقرب من ثمانية أشهر وقيل أنه احتق بموقد فحم ورويت قصص أخرى ولكن الأرجح أنه مات بمه ضيعة وأصبح العرش خاليا للمرة الثانية ولكن الجيش في نيفيا اختار فالنتينيان كامبراطور .

فالنتينيان ٣٦٤ - ١٧٥ - فالنز ٣٦٤ - ٣٧٨ :

تولى فالنتينيان عرش الامبراطورية خلف لجوفيان (١٠١) ، وفالنتينيان فلاح من اقليم بانوني أترك في الجيش وأصبح قائدا في بريطانيا وعمل تحت امرة جوليان ولكن اختلف معه جوليان بسبب تمسكه بالمسيحية وعزله ولكن لم يثبت أن أعاده . وكان فالنتينيان يسمى لأن يتولى أمر الامبراطورية منفردا ولكن الجيش طالب بامبراطور مشارك فقرر أن يتخذ من أخيه فالنز شريكا به وخاصة أن أخاه لم يكن من ذوي الطموح فحكم فالنتينيان الغرب وتولى فالنز الشرق .

(١٠١) رغم أن فالنتينيان وفالنز لا ينسبان إلى أسرة تسطنطين فلتقد اضمتمهم ولم أجعل حكمها أساس أسرة جديدة لأن حكمها لا يتجاوز عهدها وعهد ابني فالنتينيان جراثيان ولا يمثل سمة بارزة في التاريخ البيزنطي .

رمح ذلك فان وجهات نظر الأخوين تجده السياسة انعمامة وأمور العقيدة اختلفت فكان فالنر اربوى وغنتين من أتباع مذهب نيقية وأدى هذا الى ضعف الحبة بين قسسين . وتمثل فى الفتنة التى قامت ضد فالنر فور نوبية سدرى ولحقى تدعى بركبيوس القائد السيسى فى الجيش الذى كلف بترهفة جنود جولين فى عرسوس فأستقله ومرة عدم وشود . لمبر عور بسعاسة وبدأ يتودد . حسبط عن طريق أغرائيم بالمل ونضم اليه عدد لا بأس به من جنود جيشه فى سبب تقيقات الشعبية وتقدم الى نيقيا ولم يحاول فانتين ان يعد به . حينئذ أخيه بل ركز جهوده على حدوده الغربية وترك فالنر يواجه منفردا (١٠٢) ومع ذلك فان فالنر استطاع اخماد تلك الفتنة على نيقوبوليس فى ٢٦ مايو عام ٣٦٦ ولم تكن تلك الا أولى المسائل التى واجهت امبراطور الشرق (١٠٣) فقد واجهته المشكلة الدائمة وهى مشكلة الفرس .

الامبراطورية والفرس :

كان سلام جوفيان قائما تلك السنوات وفق المعاهدة السابقة والتى كانت تنص على ان توجيه سياسة ارمينيا وفقا لرغبة المناهضة وجرمت بيزنطة من أى تدخل ولم يكن منتظرا أن ترضى بيزنطة بهذا

(١٠٢) Alföldi: Valentinien I er Le dernier des grand pan- noniens

(Revue d'hist. Comparée 4 (1945) P 8 - 20.

(١٠٣) ostrogorsky : op. cit p 48. Alföldi Valentinien p 8-20

الموقف (١٠٤) فلم تكف طوال تلك المدة عن شراء الفتن. وانتهى الأمر بانتصار فالنتين في معركة Bayevan وعقد سلام في نهاية صيف عام ٣٧٥ م ، وعاد سابور الى قسطنطين وغفر له نطاكية .

أما فالنتين فكان في شك الأتدء مشغولا بمشكلة اقرباء القبائل الكوادي والبرمنيين الذين عبروا الحدود الى الغال ولكنه توفي فجاء في ١٧ نوفمبر عام ٣٧٥ م بعد عقد سلام مع الماركوماني وتولى خلف له ابنه جراتيان ، وعد عدده انبيزنطيون فيما بعد من أقدر أباطرتهم المحاربين .

فالنز والجرمان ومعركة أدريانويل :

تحول خطر الجرمان في عهد فالنز الى مشكلة ملحة تهدد أمن وسلامة الامبراطورية اذ تحول هجومهم من مجرد غزوات السلب والتهب الى محاولة للاستقرار . ولقد واجه فالنز خطر القبائل القوطية حيث ضغطت قبائل الهون على القوط الغربيين مما اضطرهم لطلب الدخول في أراضي بيزنطية ، وسمح الامبراطور فالنز لهم بالعبور ليكونوا ستارا يحصى الحدود البرمانية من خطر الهون ، فعبر ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب واستقروا في عام ٣٧٦ م على الضفة

Baynes : Rome and Armenia in the fourth Century, (١٠٤)

P 625 - 643.

اليمنى من الدانوب وأعتبر القوت مدعدين بالنسبة للامبراطورية في
مقابل تقديم مساعدة عسكرية (١٠٥) .

وتقدم القوط الشرقيين الى الامبراطور بطلب مماثل للاستقرار
داخل الامبراطورية ولكن رفض عطبتهم .

وكان في عام ٣٠٠ م ضم قوط الغربيين بصورة ضد الامبراطور
ونهبوا لأرضى الحدود فهاجموا *Scythia* شمال وجنوب
البلقان في نيتوبولس وبيرويا . وانضم اليهم قوط شرقيون وكون
واللان واجتاحوا تراقيا وامتدت غاراتهم الى مقدونيا . وكان على
الامبراطور ان يحسم الأمر بنفسه فعاد من الجبهة الفارسية وعد
جراتيان بالتقدم بنفسه لمساعدته فالنز ، ولكنه تأخر في الوصول
ووصلت رسالة منه الى الامبراطور يطلب تأخير الاستيلاء لحين
حضوره . ولكن تحت ضغط قواده وامتداد انصائهم وبعد أن
بلغه أن قوات الجيش المعادي لا تتجاوز عشرة آلاف . قرر فالتز
الهجوم . وفي معركة أدرينوبل في ٩ أغسطس ٣١٨ م انتصر
القوط الشرقيون المدعين باللان ، وقتل ثلثا الجيش الامبراطوري
وسقط فالنز صريحا في المعركة مع قواده سبستيان وتراجان . وكان
جراتيان في طريقه الى فالنز فلما سمع بنتائج المعركة تراجع
الى سرميوم (١٠٦) .

Ostrogorsky : op. cit. P 47.

(١٠٥)

Camb. Med. Hist. Vol. I p 232.

Vasiliev, op. Cit. P 87.

(١٠٦)

Ostrogorsky : op. cit. p 46.

وبذلك انتصر البرابرة في أول معاركهم الفعلية ضد الامبراطورية وقتلوا امبراطورا رومانيا وقتل ثلثا جنوده ونهبوا معسكره (١٠٧) وكان من الطبيعي ألا تجد قواتهم أى مقاومة في طريقها لبقية أراضى الامبراطورية وحاولوا الاستيلاء على قلعة أدريانوبل ولكن منعها من السقوط دفاع القوات انمربية من الغساسنة عنها ، وبعد ذلك اتجهوا الى سالونيكيا ولكن انقذها الكونت ثيوديسيوس الذى اختير فيما بعد امبراطورا مشاركا مع جراتيان ، ومع ذلك اتجه القوط الى القسطنطينية فقد كانوا يريدون مفاجأة العاصمة ووصلوا الى أسوار القسطنطينية ولكن وجدوا أن حصار العاصمة سيكلفهم ما لا طاقة لهم به فترجعوا الى تراقيا ثم هاجموا مواشيا واليكريوم : ولكن جراتيان كان مشغولا في حروبه مع الألمان في الراين ومع الفرنجة والوندال الذين استطاع أخيرا الانتصار عليهم ، وترك أمر القوط للامبراطور ثيوديسيوس الذى اختاره كمبراطور مشارك في ١٩ يناير عام ٣٧٩ م (١٠٨) .

En : Les Invasions Germaniques

(١٠٧)

جيون : اضحكك الاجرامبرورية الرومانية ج ٢ ص ٩٨

Bury Later Roman Empire, P 96.

(١٠٨)

الفصل الخامس

أسرة ثيوديسيوس الأول

كانت توليته نقطة تحول هامة في تاريخ الامبراطورية البيزنطية سواء في الجانب العثماني أو الديني ، فلقد شاعده عهده أعنف عجمات القوط والقبائل الجرمانية عامة ، حتى تأكد له أن هزيمة القوط بقوة السلاح مستحيلة ، وأن الاستقرار السلمي هو الحل العملي ولقد استتبع هذا نتائج بعيدة المدى ظهرت في عهد خلفائه وأهمها : تغلغل القوط في الجيش وامتزاجهم بالبيزنطيين وسيطرة عدد من قادتهم على الأباطرة وتوجيه أمور الدولة السياسية والحربية مما أدى الى اشتعال العداء ضدهم في القسطنطينية ، الى جانب أن عهده شاهد انقسام الامبراطورية قسمين شرقي وغربي تولى كل منهما امبراطور وان كان هذا داخل اطار الامبراطورية الموحدة (١) ولكن بدأ يتضح انفصال الشرق عن الغرب حيث استطاع الشرق استيعاب واحتواء العناصر الجرمانية في حين سقط الغرب أمام جمافلهم وفي عهده اعترف بالمسيحية كديانة رسمية للدولة وحرمت الوثنية ، ومن أجل ذلك حصل من الكنيسة على لقب ثيوديسيوس العظيم .

وثيوديسيوس كان قائدا في سواسيا ثم نفى لأسبانيا وأعادته جراتيان وحيث التقى في ٢٧٨ م بالرماسيين وهزمهم وحاردهم من باثونيا وكانت انتصاراته يتناسب توقيتها مع سطوة الزعيم البيزنطي

Hussey : op. cit. p 14.

(١)

جيون : اضحلال الامبراطورية الرومانية ص ٢ د ٦٨ .

Vasiliev : op. cit. P 78.

فأختير امبراطورا واتسعت الأراضي الخامسة به باضاعة داكيا ومواشيا العليا ومقدونيا وأخيرا ليبيا شرقية .

وقد ثبتت شبكة الهجرات الجرمانية ثم ما يواجهه الغرباء حيث تفرغ لها كلا الامبراطورين جراتيان عند الترجمة والوندال وثيوديسيوس ضد القوط . وبعد شقق ثيوديسيوس نغرا على مواشيا عام ٣٨٠ م (٢) .

وحين استؤنفت الحرب تقدم القوط الغربيون في عام ٣٨٠ م في الاتجاه الجنوبي الغربي الى مقدونيا في حين ركز القوط الشرقيون واللان والهون هجومهم على الشمال الغربي ضد بانونيا . ولكن عند الالتقاء قوات ثيوديسيوس بجيوش القوط الغربيين حاقت به الهزيمة واجتاح اقوط مقدونيا وتساليا وابيروس واخيا ، وأسرع جراتيان ، بمساعدة ثيوديسيوس ، وفي البداية أرسل قواده اربوجاست وبوتو الى الشمال لصددهم وذهب هو لسرميوم ولكن غنّد القوط الغربيين Fritigern أجبرهم على التراجع الى مواشيا السفلى . وأمام هذا الضيق اضطر جراتيان لعقد تحالف مع الاعداء قبل أن تدمر أراضيهم وتنازل عن بانونيا ومواشيا العليا الى القوط الشرقيين وحلفائهم واستقرار البرابرة على الحدود الشرقية منح الامبراطورية السلام في الغرب . وأتبع ثيوديسيوس نفس السياسة في الشرق ولكن على نطاق واسع وهي التي عرفت باسم Foedous ففي عام ٣٨١ م أقام ثيوديسيوس احتفالا بمناسبة شفاكه وتعميده ودخله

Ostrogorsky : op. cit. P 40.

(٢)

Hussey : op. cit P 14.

Bury : op. cit P 8.

Camb : Med. Hist Vol I p 236 .

(٣)

Leotard . Essai Sur la condition des établis dans l'Empire romain

القسطنطينية وكان ثيوديسيوس محبوبا من الشعب لأنه أرثوذكسى فى حين أن فالنر لم يكن يعطى بأى شعبية لأريوسيته . ووصل فى تلك الأثناء زعيم القوط أثاريخ وأتباعه وطلب السماح لهم بالبقاء داخل الامبراطورية واستقبله ثيوديسيوس بالترحاب وحدثت مفاوضات انتهت بعقد معاهدة ٣ أكتوبر عام ٣٨٢ م قضت بالسماح للقوط بالاستقرار كمعادين فى مواتيا السفلى ولقد بدا كأن كلا الفريقين استفاد من تلك الاتفاقية : وأنها حققت السلام المرجو للامبراطورية ولكن مع المدى الطويل لم تحقق ما يرجو الطرفان ، فلقد حصل الجرمان على حق التشريع المحلى واختيار لرئيسهم والمقاطعات التى يحصلون عليها لا يدفعون عنها جزية بل على الرومان أعانهم بأموال تدفع سنويا ومنحوا إعفاء من الضرائب وحمل جنودهم على مرات عالية وفى مقابل ذلك كان عليهم حماية الحدود وأعداد فرق يقودها قادة منهم وبعضهم دخل فى الخدمة المباشرة للامبراطور وفى القرن الرابع والخامس أصبحت قوات الامبراطورية غالبيتها من العناصر المتبربرة .

أما بالنسبة للامبراطورية فإنها تعتبر سلاحا مؤقتا فمن الصعب على الامبراطورية تهذيب تلك العناصر وتحويلها لأداء طيبة وجعلهم يشعرون بالولاء للامبراطورية فإن الروح العسكرية النظامية كان من الصعب غرسها فى نفوسهم ، بل على العكس استغلوا تلك الفرصة للتوسع على حساب الامبراطورية فانتعدلوا معظم الدانوب ما عدا دوبرودزا الى جانب ان القوط احتفظوا بوثنيتهم والجزء الذى اعتنق المسيحية كان على المذهب الأريوسى فلما أصدر الامبراطور قانونا ضد الجرافقة وعزل الأساقفة الأريوسيين من الكنائس لم يدم السلام طويلا ، وخامة أن عددا من القبائل القوطية القاطنة فى الدانوب طلبت من الامبراطور أسوة بمواطنيهم الدخول

للامبراطورية والاستقرار غيبا ولكن رفض صيغهم وقد قدّم شرحا
تراقيا بمنعهم من عبور النهر وانتصر عليهم (٤) .

ولقد نتج عن هذا النظام زيادة نفقات الدولة ومعظم الخازنين
اقتصاديا تحملوا أعباء مالية لا يستطيعونها وكان هذا سببا دفعه
لأن يضموا أنفسهم تحت حماية كبار الملاك وتنازلوا عن حريتهم
لساداتهم مقابل ما تحملوا عنهم من أعباء وعند نهاية القرن الرابع
أصبح هذا الوضع شائعا .

المسيحية كديانة رسمية :

ظلت القسطنطينية خضعة لمدة أربعين عاما لمذهب الاريوسى
الى أن تولى ثيودوسيوس ، ولقد عمد ثيودوسيوس فى سالونيك
عام ٣٨٠ م واختار أسقفا أرثوذكسيا هو جريجورى نازيانزن وتلى
ذلك إصداره مرسوما يأمر أتباعه بقبول العقيدة الصحيحة وهى التى
أقرها مجمع نيقية والتى وافق عليها آباء روما والاسكندرية ، وأمر
بتسليم الكنائس الاريوسية فى القسطنطينية للارثوذكس ومنع الهراطقة
من تمكّن أماكن دينية فى العاصمة ، وعقد مجمعا فى عام ٣٨١ م فى
القسطنطينية وترأسه ميلتيوس أسقف أنطاكية ولقد أطلق على هذا
المجمع لقب مجمع مسكونى بعد سبعين عاما و.م. يعترف به فى الغرب
الا فى القرن الخامس وذكر المجمع أن (الابن) من نفس جوهر
(الأب) وكان من قرارات ذلك المجمع أن بطريرك القسطنطينية يلى
أسقف روما فى المكانة ، ولكنه منع الكنيسة من حق ايواء المذنبين لما ترتب

Vassiliev : op. cit p 87.

Vinogradoff : Social and Economic conditions p 542.

بيون : انحلال الامبراطورية ج ٢ ص ٩٩ .

نصارى - الدولة البيزنطية ص ٢٧ .

على هذا الحق من مساوىء وحرم أن يكون الامبراطور المتحكم
 الوثني نى شئون الكنيسة (٥) . وعند مجمع بعد ذلك بعامين أصدر
 قرارات ضد الهراطقة، ولقد بدأت نى عبدة فترة اضطهاد الوثنيين
 وتدمير لمعابدهم وكانت المناصب الكهنوتية نى الامبراطورية من عهد نوما
 الى عهد جراتيان تتوارثها عدة عائلات غائيت جميعها واعتبر ثيودسيوس
 تقديم القرابين عند اجرامى سيى . ولقد أمر حاكمه البريتورى نى
 اسقف الكونت يوديسيوس وقائد جوفيسوس وعمد ضبطان برتب رغبة نى
 العرب بسحق المعابد والاستيلاء على أدوات تعبدة ومصادرة
 الاملاك الموقوفة عليها لصالح الامبراطور والكنيسة والجيش وقام
 الرهبان ورجال الدين بتوفير أغلب الأماكن الدينية . ففى سرب سوى
 ثيودر أسقف افاميا الأرض بمعابدها الفخمة وكذلك فعل أسقف تور
 نى انعال ، اما معبد فينوس نى قرطاجة ففد حول الى كنيسة ودمر
 معبد سراييس نى الاسكندرية ونهبت المكتبة (٦) .

ثيودسيوس امبراطورا منفردا :

اثارت سياسة جراتيان التذمر بين القوات الرومانية اذ أن
 جراتيان لم يكن يتمتع بمواهب القائد العسكرية فثار عليه مكسيموس
 فى بريطانيا وهزمه قرب ليون قبل أن يخف ثيودسيوس لنجدته وأغتال
 مكسيموس جراتيان فى ٢٥ أغسطس عام ٣٨٣ م ولكن رفض
 ثيودسيوس الاعتراف به وهزمه ثم قتله وولى فالنتينيان

Bury : op. cit p 349.

(٥)

H. Gregoire : The Byzantine Church, p 94.

(٦) جيبون : اضمحلال الامبراطورية د ٢ ص ١١٣ .

(٧) لم يكن جراتيان مستهويه الامور السياسية فضل قضاء وقته نى

الرياضة وميد الوحيش .

ولكن ناز عليه أربوجاستس أحد قواد جرانيان وقد خلع من فالنتين بخته وأدعى أن الامبراطور تخلص من حيرته ليأسه (٨) ولما كان غرنجي الأصل لا يستطيع ان يلى العرش ، فكر أن يحكم مستقرا وراء اسم أحد الرومان فاختر أمين سره القاضى الذى رفعه الى منصب رئيس الديوان وهو Eugénie . ولقد سارع اربوجاستس بارسال سفراء ثيودسيوس ليحصل على تأييده لارتقاء يوجينيوس العرش كأغسطس مشارك . وكان من الطبيعى أن يرفض الامبراطور تأييد المعتصب وخاصة أنه كان زوجا لثقيقة فالنتينان ولكنه أعاد انرسل باحابات مبهمة فى حين أعد العدة للقتال وتولى قيادة جيشه كل من ستليكو وتيماسيوس وضم الجيش اخلافا شتى من جرمان وعرب وحدثت المعركة الفاصلة فى السنة بين Aemona واكونيا وعلى ضفاف نهر فريجيدوس فكان جيش أربوجاستس فى السهل أما جيش الامبراطور فكان يعسكر على ربوة مرتفعة وبما أرسل أربوجاستس قوات لاحتلال المرات انضمت الى الامبراطور وانتهت المعركة بانتصار الامبراطور ومصرع عشرة آلاف من القوط وجنود الغل ومصرع يوجينيوس انذى قتله جنود ثيودسيوس وانتصار أربوجاستس وبذلك أصبح ثيودسيوس الحاكم الوحيد للامبراطورية .

ولقد ننى عدد من انصارهما الى الولايات الغربية نتيجة لشفاعة القديس امبروز أسقف ميلان ؛ بل أصدر أيضا عفوا على وزراء الامبراطور المعتصب بعد أن جردهم من وظائفهم واعتبر انتصاره

(٨) عند وفاة فالنتينان الاول كان جرانيان بعيدا عن العاصمة فى Trier فأختر القواد اخاه الطفل فالنتينان الثانى امبراطورا ولكن عند وصول جرانيان الى العاصمة سيطر على الدولة واختفى اسم فالنتينان الثانى الى أن تولى عام ٢٨٣ حيث ظل فى الليريا تحت وصاياه امه جستينينا .

انتصارا للمسيحية ولكن تلك الهزوب أثرت على صحته واقد توغى بعد
عده أشهر وهو لم يتجاوز الخمسين عاما في ١٧ من شهر يناير
عام ٣٩٥ م (٩) .

خلف الإسراعو ولده اركاديوس وهنريوس وبرغم أن الامبراطور
جاء من عائلة أو عشيرة من أقصى الغرب ولكنه عرف أهمية الشرق
وكذا أثر كل من قسطنطين الأكبر الذي وضع ابنه الأكبر حاكما على
بريطانيا وغاليا وفالنتينيان الذي احتفظ بالغرب لنفسه وأعطى الشرق
لأخيه الأصغر . نشيودسيوس (١٠) جعل ابنه الأكبر اركاديوس الذي
كان يلي أمر القسطنطينية أثناء خروجه لقتال يوجينيوس حاكما لشرق
وجعل الغرب لهنريوس وولاية داكيا المتنازع عليها هي ومقدونيا ضمهما
إلى الشرق وأصبحت جزءا من ولاية الثيرا مع سالونيك كمركز لها (١١) .
وأخذ بانونيا وضمها إلى الغرب فألحداث التاريخية أعادت رسم الحد
الفاصل بين الشرق وبيزنطة وروما . وهذا التقسيم لم يؤد إلى
تغيرات جذرية فرغم تقسيم الدولة قسمين فإنه لم تكن هناك
امبراطوريتان بل امبراطورية واحدة مقسمة تحت حكم اثنين من الأباطرة
والقرارات تصدر غالبا باسم كلا الامبراطورين وقرارات كل منهما
تتخذ في الشطر الآخر فإذا مات أحد الأباطرة وترك العرش فمن حق
الآخر أن يخلفه ولكن في التطبيق العملي لم تكن هناك رابطة قوية بين

Ostrogorsky : op. cit. p 49.

(٩)

Demougeot : De l'unité à la division de l'Empire Romain. p

Vasilev : op. cit. p 92.

395. 410.

Grumel : l'Ilyricum de La mort de valentinien l'er
à la mort de Stilicon 5.

Ostrogorsky : op. cit. P 49.

(١١)

الشطرين واتخذت الأحداث في كل من الشرق والغرب اتجاها مغاير
وغالبا ما كانت تلك 'العلاقة' بعد ما يكون عن الود والصداقة (١٢) .

ولقد كان هناك خلاف فعلى بين خلفاء ثيودوسيوس او بمعنى
أصح من يتولى الحكم باسمهما .

اركاديوس Arcadius ٣٩٥ - ٤٠٨ : هنريوس Honorius
٣٩٥ - ٤٢٣ :

حكم اركاديوس الشرق وهنريوس الغرب ولكن الادارة الفعلية
كانت في أيدي رجل البلاط ويقال ان ثيودوسيوس هو الذي سعى
لايجاد هؤلاء النخبة لصغر سن أولاده فاركاديوس لم يكن يتجاوز
السابعة عشرة وهنريوس التاسعة (١٣) ولقد سعى ثيودوسيوس لأن
يكون هذا الوصي أو انحامي لابنه على صلة بالأسرة ، ولقد غرض
ذلك للقائد Stilicho وهو ضابط من الوندال رغبته مواهبه العسكرية
وما أداه من خدمات في إيطاليا وزوجه من تربية Serena وجعله
يشرف أثناء حياته على اركاديوس ، اما هنريوس فكان يدير أموره
الوالم البريتوري Flavius Rufinus مواظن في اكويتين ، وكان
الرجل واسع الطمع حتى قيل انه كان بطمع في عرش الامبراطورية
نفسها كدريك لاركاديوس . وكان من الطبيعي أن ينشب الصراع بينه
وبين ستاليكو الذي سيطر على الامبراطور الغربي . وكان يحقد عليه
لزوجته من قريبة الامبراطور فسعى لزواج ابنه Eucherius

(١٢) ولد اركاديوس عام ٢٧٧/٢٧٨ م وكان قنصلا منذ عام ٢٨٥ م

اما هنريوس فولد في عام ٢٨٤ م .

(١٣) Demougeot : De l'unité ala Division de l'Empire Ro-
main P 93.

من شحنة الامبراطور جالا ماسيدا وترويج الامبراطور ابنته (١٤) ولكن ظهر له عدم غنى البلاط هو الخصى Eutropius الذي أخذ يترك المؤامرات ضد روفينوس ثم زوج الامبراطور من فتاة غريفة الجمال هي ابنة بوتو الفرنجى الذى كان أحد ضحايا روفينوس والذي كان قائدا للجند وأقوى رجال ايطاليا أثناء حكم فالنتين الثانى، وكان هذا الزواج ضربة لهيبة روفينوس ولكنه ظل يحتفظ بوضعه (١٥).

ولقد أثبتت سياسة ثيودسيوس فشلها فقد استغل القوط ضعف الحكام فقاموا بقيادة ملكهم المنتخب انرك الذى كان أحد قواد ثيودسيوس واجتاحوا تراقيا تعبيرا عن غضب الترك لعدم حصوله على لقب Magister Militum وتقدموا الى القسطنطينية فى نفس الوقت لدى اندفع فيه الهون الى القوقاز وآسيا الصغرى وسوريا فهددوا انطاكية وصور • واضطر روفينوس الى الذهاب لمسكر القوط للمفاوضة ووافق القوط على التراجع الى مقدونيا وبعد اشتباك مع القوات المحلية فى بينكوس اتجهوا الى تساليا •

ونكن ستليكو الذى كان يرغب فى خلع روفينوس وضم شرق اليريب الى الامبراطورية الغربية ادعى التدخل للوساطة ، وكانت المشكلة ترجع أصلا الى عام ٣٧٨ م فولاية اليريب التى تضم اليونان وثنث البلقان كانت خاضعة للجزء الغربى ولكن جراتيان ضمها لشريكه ثيودسيوس وأصبح الخط الفاصل عند Singidun ويتجه غربا الى نهر سيوانس ثم الى الجنوب الى درنه وينتهى فى Seutari

(١٤)

(١٥)

Grumel : op. cit: P 5:

Bury : op. cit p 5:

Dmeugeot : Note Sur la politique Orientale de Stilicho. P 2:

وبذلك انتقلت ادارتهما الى القسم الشرقي ولكن ستينكو ذكر أن الامبراطور يورغ في ان بقاء التقسيم الأول الى الغرب وكان هدفه بسط سلطانه على مناطق جديدة في الامبراطورية ، واضعاف نفوذه روفينوس وخاصة ان اخذ جنود الامبراطورية كانوا من البلقان من القرن الرابع الى السادس (١٦) .

وكان من الطبيعي ألا يسلم روفينوس بتلك الطلبات بدون قتال وقاد ستينكو حربه عبر ابيدوس الى تساليا وقاتل القوط الغربيين واذن روفينوس حتى أن يحقق ستينكو انتصارا منفردا على انقوط وبتأثير منه أصدر الامبراطور أمرا منفردا بأن يترك ستينكو القيادة الى قيادة شرقية فإن يأتي من معه الى القسطنطينية . وكان ستينكو قد وصل الى وادي تينوس وسمر ترك بعجزه أمام قوات الامبراطورية فأبدى خضوعه وطلب ستينكو ضم ثيريا وكان من الممكن أن ينتصر على الترك ويحقق ما يريد ، ولكنه فشل الاستجابة لأمر الامبراطور اركاديوس بالانضمام للجيش الشرقي وربما يرجع هذا الى ان زوجته وابناء كانوا بالقسطنطينية ومن الممكن اتخاذهم رهائن وأعطى القيادة لجانياس القوطي ولكن تفاهم ستينكو مع جانياس ضد روفينوس وذهب جانياس الى القسطنطينية وكان من المفروض أن يخرج الامبراطور وحاشيته لتلقيه وفق التقاليد في ساحة مارتوس في الهيدروم ويقال انه أراد أن يجعل من نفسه امبراطورا مشاركا ولكن تخلص الجنود منه بالقتل في ٢٧ نوفمبر ٢٩٥ وحملت جثته وطيء بها في شوارع القسطنطينية دلالة على ما كان يمكنه له الاعالي من كراهية . ولقد خلفه الخصى اوثروبيوس كمستشار للامبراطور وكان

Bury : op. cit P 107:

Camb : Med. Hist: Vol I P 268:

لا يختلف عن روفينوس فى جسمه وسوء سيرته ويعتبر حكمه من
أبش الفترات فى التاريخ البيزنطى فقام ببيع الوظائف واستعان
بأثنين من المستشارين أحدهما غزير صوف والآخر طباح ولجشمه
للمال قام بمصادرة كل ذى ثروة أو من يختلف معه ولم يستثنى
من هذا **Abundantius** الذى كان له عليه فضل
كبير و **Procopius** الذى كان قائدا عاما فى الشرق • وكان من
خروجه أن يكون على علاقته طيبة مع ستيلكو ليدعم وضعه • ولكنه
كان كريسينوس يخشى أطماع ستيلكو واضطر ستيلكو للتراجع
عرب ونرك الشرق تحت رحمة الرك وقواته التى اجتاحت ثرموبلاي
وبيوتيا وطيبة ودخل اثينا وهاجم كورنثه وارجوس وخلال أعوام
٣٩٥ — ٣٩٨ أصبحت شبه جزيرة البولبونييز تحت رحمته •

وفى ربيع ٣٩٧ م أعد ستيلكو قواته للتصدى للقوط وانقاذ
الامبراطورية فأبحر من ايطاليا وحاصر القوط فى اليبس فى كورنثه
ولكن الاخطار التى أحاطت بالغرب اضطرتة للتراجع وان كان قد عقد
اتفاقا تراجع بمقتضاه الى اليبس وتناهم اتروبيوس نيابة عن
اركاديوس مع القوط حيث منح الرك لقب قائد جند اليبس (١٧) •

ولقد حاول اتروبيوس منع المؤامرات ضده باستخدام وسائل
العنف والقهر فاصدر مرسوما بتوقييع عقوبة الاعدام على كل من
يتآمر مع الجنود أو مع البرابرة ضده أو ضد مساعديه وفى تلك
الأنثناء ناز عليه القوط الشرقيون بزعماءه تريبيجيد Tribigild
وجانياس رئيس المستعمرات القوطية فى غريجيا • وفى نفس الوقت
قرر ستيلكو الاتجاه الى بلاد اليونان بجيش فأعلنه اتروبيوس عدوا

عاما عن طريق الضغط على الامبراطور والسناو وبتحريض من
الامبراطورة اوديكييا زوجة اركاديوس وخاصة ان هناك مشاكل،
عديدة نواجه الامبراطورية وهناك غبث احصاء الحرية والحيثية
واجتياح اليون لتراقيا الذي اورد تفصيلا عنه بقدر حيروم ثم
محاولة الملك الفارسي ضم خمسة استريت تحت تجويز ونفى
أوتروبيوس الى قبرص ولكن جانياس تحص منه بقتله . وأعلنت
أوديكييا أوغسطا في أول يناير ٤٠١ ولكن بعد ان نشب خلاف
بينها وبين جانياس اتقوى فقد كان هناك صراع بين الاخوين
أوريليان وتيفوس على منصب والي الشرق وأيد جانياس Typhos
ولكن تغلب أوريليان . وبعد هذا تأييدا للحرب المعادي في القسطنطينية
وكان هذا التصرف دافعا لجانياس اتقوى أن يسفر عى وجهه
الاحتياقي ، فالتقى مع ترياجيلد على شواطئ البلهونيز وطالب مقابلة
الامبراطور الذى التقى به فى خلقدونيا ومنح لقب قائد عسكري
وأمر أن يسلم اليه أوريليان وستورنينوس وهنا صديق الامبراطورة
كرهائن(١٨) ، وعزل أوريليان ثم قتل . ولكن ذهب البطريك اليه
لانقاذ حياة الرهائن فلم يفتهم ولكن أنزل بهم عقبا شديدا ثم
دخل القسطنطينية بجيشه وظل هناك ستة شهور حيث تمادى فى
تصرفته مما أثار عليه غضب الامبراطور والكنيسة والشعب ، حين
حاول الاستيلاء على بعض الكنائس لصالح الاريوسيين ولكن رفض
البطريك وأركاديوس طلبه واعتقد اهل القسطنطينية أن القوط
سيهاجمون القصر الامبراطورى وأمام الخوف من غضب الشعب فأن
جانياس ترك العاصمة وأقام فى احدى الضواحي وأمر رجاله بأن
ينسبوا اليه والجزء الأكبر ترك المدينة وقام أهالى المدينة بقتل البرابرة

Bury : op. cit p 133.

Ostrogorsky : op. cit. p 50.

بطل سلاح وجدوه ثلثيها عن غضبهم وأغلقت الأبواب على القوط
الذين غفروا في العاصمة وتم الأعراس ذبحهم وكان عددهم يبلغ عدة
آلاف وارتد اوكاديوس جنيسى عدوا عاما ، وأرسل خروسة لمعاونة
الشعب على التخلص من غيوت وعرب القوط إلى الكنيسة التي أعطاها
البطريرك لن غنتل الأرتودوكسية منهم وأحاط بهم الجند وعظم
الأمم حتى سقطت كية و سقطوا عليها خسبا مشتتلا فاحرقهم وفشلت
بتدوية جنيسى وعرب جيد (١٩) واضطروا للتراجع إلى آسيا
وترتيب ، ورض وضع برومن أنطولا في طريتهم فغرق عدد كبير منهم
يعرب جنيسى نير التانوب حيث قتل أحد قادة الهون وأرسلت
راسه إلى الامبراطور على يديهم ٥٠٠

وإذا كان شعب القسطنطينية قد استلذع التخلص من العناصر
الجرمانية فإن القضاء على القوط قد أدى إلى نزل الشرى بلا قعود
فعلية تدافع عنه فاجتاح الايسوريون اسيا الصغرى وسوريا وأخذوا
سلوقية وعبروا لقبرص .

الامبراطورية والكنيسة (حنا غم الذهب) :

أصبحت الامبراطورة أودكسيا صاحبة النفوذ الأولى في التدوية
وتم يكن هناك من يجروء على معارضتها استيطرتها على زوجها ضعيف
الشخصية ، الوحيد الذى تصدى لها كان حنا غم الذهب وكان سببا
في انطاكية ثم أعجب اتروبيوس بعظاته أثناء زيارته إلى المدينة
فاستدعاه إلى القسطنطينية حيث أصبح بطريركا في ٢٦ فبراير ٣٩٨م .
وكان حنا غم الذهب متشددا في عقيدته يرفض الترف انذى
تعيى فيه القسطنطينية وكان ينذر بنصلال المجتمع المسيحى اذا

استمر في أوضاعه تلك (٢٠) ، ووجه عظاته ضد الأغنياء والحكام
والوزراء والخصيان المقربين وسيدات البلاط بل سب الامبراطورة
وعاجمها ووصفها بأنها Herodis, Jezebel وهما ملكتان اشتهرتا بسوء
السلوك ونجس وخاصة بعد البذخ الذي انفق على حفل تتويجها
اعظم . ولم تكن الامبراطورة تستطيع ان تواجهه منفردة فلجأت الى
مساعدة أسقف الاسكندرية وبعض رجال الدين الذين سبق له
مهاجمتهم في جانب عدد كبير من الرهبان . وحضر ثيوفيلوس أسقف
الاسكندرية وعدد من رجاله من مصر وسوريا وآسيا (٢١) . وعقدوا
مجمعاً تحت رعاية الامبراطورة وزوجها سنة ٤٠٣ م ووجبت اليه
قائمة من الاتهامات .

وقد رفض حنا الثول أمام المجمع حيث اتهم ببيع المرمر
المخصص لكنيسة القديس اندسيوس كذلك اتهم بالاسساء لبعض
رجال الكنيسة ، ثم بعض اتهم الشخصية التي تمس سلوكه كاستقبائه
امراة ثم عزله لبعض اساقفة وتعيين غيرهم دون ابداء أسباب . وأرسل
قرار ادانته الى الامبراطور الذي وقع عليه وقرر عزله ونفيه الى
البحر الأسود . ولكن الشعب ثار وأعلن تاييده للبطيريك فقد أحاط
أهلى القسطنطينية بكنيسة ايا صوفيا ورفضوا تسليم البطيريك
وقاوموا الجند لمدة ثلاثة أيام وخطب فيهم حنا وقال في خطبته :
ان الامبراطورة لقبتنى بالرسول الثالث عشر واليوم تنعتنى
بجوديا (٢١) . ولم يستطع الجند القبض عليه وترحيه الى Euxine
الا خلال الليل . ولما اكتشف الشعب سفره انفجرت ثورة سعيه

Hearsey : op. cit p 31.

(٢٠)

(٢١) جيون : اضمحلال الامبراطورية ص ٢٣١ .

Bury : op. cit p 154.

أجبرت الامبراطورة على اعادته بعد أيام والتبوير موقفها أمام الشعب
 آتية نفيه على مستشاريه وذكروا لها مفاعلة تعاليمه ولا تنسى
 تعميدها . وذكرته أنه رجت الامبراطورة لنفسه عنه « لقد فقدنا
 نبيينا أمدها إذا وإذا به - بعدة نفدت الامبراطورة - (٢٠) » ولقد سعى
 الامبراطور - في يومه - بعقد مجمع ديني . وكان ما لبث أن تجدد
 مجمع الامبراطورة حين أقام القوي Sumplicius صورة فضية
 - لبرسيرة في صمت (Augusteum) المواجه للكنيسة وأقيم
 حفل من يتضمن موسيقى ورقصا مما اعتبره البطريك عودة
 لوثنية واحتج على هذا فاعتبرته الامبراطورة تصرفا موجها اليها
 شخصيا فتآمرت ضده مع أعدائه : وخاصة أسقف جبيل سغريان فعاد
 من ابيانة فوصفها بهرودا التي تريد رأس يوحنا المعمدان .
 وطلب حنا عقد مجمع عام وقبلت الامبراطورة لأنها أرادت جمع
 معارضيها . وأرسل أسقف الاسكندرية أتباعه وطلب منهم المعارضة
 على أساس قرارات مجمع انطاكية ٣٤١ وهو يتضمن أن أى رجل
 دين صدر ضده قرار بعزله من مجمع ديني لا يحق عودته ثانية الى
 العمل . وعقد مجمع ٤٠٤ وبعد شهرين حرم أثناءهما من ممارسة واجباته
 الدينية بوصفه أسقفا معزولا صدر قرار بنفيه : وخاصة بعد اشتغال
 النيران في كنيسة آيا صوفيا وعدد من المباني وأرجع هذا الى
 حنا فم الذهب (٢٣) . وظل حنا ثلاث سنوات في كوزيكوس ثم
 نقل الى Arabissus ثم الى لينتوس حيث توفي في
 ١٤ سبتمبر ٤٠٧ م وما لاقاه حنا من معاملة تسببت في خلاف بين
 النسطورية ورافنا ، واجتمع مجمع في ابطاليا أند حنا ثم طلب البابا

(٢٢) جيون : اضلال الامبراطورية ج ٢ ص ٢٢١ .

Tozer : The church and the Eastern Empire.

Adeney : The Greek and Eastern Church.

(٢٣) أنظر

بعقد مجمع علم في سالونيك ، وكتب هنريوس تحت تأثير البابا انوسنت عدة رسائل الى اركادايوس يذكر فيها أن أمور الكنيسة يجب أن ترجع لرجال الدين لا للأباطرة ولكن الرسل عوملوا معاملة سيئة وأُخبرني أحد سجون نرقيا غترة ثم أعيدوا لايطاليا في ٤٠٦ م ثم يتول هنريوس أو ثيودست لتدخل ثانية وترك حنا غم الذهب صيرة . ولم تتمتع أودكسيب بثمره انتصارها اذ توغيت بعد : شهر في ١٦ أكتوبر ٤٠٤ . وبعد وفاتها انتقل تصريف أمور الدولة الى الوالي افلامايوس ولكن الامبراطورية لم يكن لديها القوة الكافية لمواجهة المشاكل العديدة فهناك التباثل الليبية الايسوريون الذين اعتادوا اجتياح أراضي الدولة .

ولقد انتعشت آمال ستيلكو في السيطرة على الجزء الشرقي بانتفاقه مع ارك ملك القوط ضد الشرق وأغلق الوالي الميناء ضد السفن الشرقية . وقام الرك بدوره باجتياح ابروس ولكن قام مغتصب ضد هنريوس يدعى قسطنطين واتجه الى الغال فاضطر ستيلكو الى تأخير حملة الشرق وأدى هذا الى ترك الولايات الشرقية لالرك وتوفي اركادايوس في أول مايو ٤٠٨ وترك ابنا هو ثيودسيوس ونم يكن يتجاوز السابعة وكان شريكا لأبيه في الحكم ورأى ستيلكو أن الوقت مناسب لاعادة مشروعه القديم بارسال الرك الى الغال واتجاهه هو الى القسطنطينية كممثل لهنريوس ولكن الفريق المعادي دبر مؤامرة أثارت عليه الامبراطور فقتل في ٤٠٨ . وأعيد فتح الموانئ مع الشرق واستعاد الغرب علاقاته النودية به (٢٤) .

(٢٤) جيبون : اضطلال الامبراطورية ص ٢ ج ١٦٨ .

H. Gregoire : The Byzantine Church p 96.

Camb. Med. Hist. Vol I p 462.

ثيوديسيوس الثاني :

رعى عرش الإمبراطورية فى السابعة وكان من حق هنريوس أن يطلب الوصاية على ابن أخيه ولكن ضعفه جعله يتغاضى عن هذا الطلب أما رعاية الإمبراطور فكانت فى يد الخصى انتيوخس وإدارة أمور الدولة كانت فى يد انثيميوس وإلى الشرق وكانت فترة حكمه من الفترات التى نعمت فيها الإمبراطورية بالهدوء . وطوال فترة حكم ثيوديسيوس كان خاضعا للوصاية سواء مباشرة أو غير مباشرة .

فى الفترة الأولى خضع لانتيميوس وفى الفترة الثانية خضع لسيطرة اخته التى حصلت على لقب أوغسطا وهى فى السادسة عشرة ، ولقد حكمت الإمبراطورية ما يقرب من أربعين عاما وبعد وفاة أخيها حكمت تحت اسم زوجها مارتينوس ولقد غفلات بوليكيا حياة العفة والعذرية .

وكان ثيوديسيوس معتدلا غنيا لكنه ضعيف الشخصية محجوبا عن العائنه الذى حوله بستان من الأشخاص وكان يهوى البحث محاطا بحاشية من النساء والخصيان وفى فترة من الفترات خضع لتأثير زوجته أودكسيا . ولكن ما لبث أن استعادت بوليكيا سلطانها . أودكسيا كانت ابنة الأستاذ بيان وثق وشخصية هذه الملكة توضح الوسيلة التى تعايشت بها المسيحية جنبا إلى جنب مع العلوم القديمة فضلا عن المحافظة على التراث الحضارى لمدينتها الأولى حيث كانت من أتباع الدين الجديد أيضا (٢٥) .

Vasiliev : op. Cit., p 97.

(٢٥)
انظر أيضا

Mommsen, Hist. of Rome. Eng. Trans.

انثيميوس ٤٠٩ - ٤١٤ م :

فى الفترة الأولى من حكم ثيودسيوس التى تونى فيها انثيميوس نعمت البلاد بفترة سلام فانتفى خطر الغرب بموت ستيلكو . أما الجانب الشرقى أو المشكلة الفارسية فقامت علاقات سلام . ولم تحدث اختراقات اسيرة لأراضى الامبراطورية بك وجدوا أنه من الممكن ارسال قوة الى الغرب لمساعدة عنريوس ضد الارك وحاربوا البون بقيادة الدون وطردهم عبر الدانوب . ودعم انثيميوس الاسطول فى الدانوب ٤١٢ م . وخفض الضرائب فى ايبيا والشرق وأعاد تحصين المدن ، وتنظيم امداد القسطنطينية بالمؤن والجنود . ولكن العمل الذى حلد انثيميوس هو بناء السور الغربى للقسطنطينية من propontis الى القرن الذهبى . ولكن فى ٤١٤ قوفى انثيميوس وتولت بوليكرىا السيطرة على أخيها (٢٦) .

بوليكرىا :

لم تكن بوليكرىا قد تجاوزت السادسة عشرة حين تولت الانراف على أخيها وكان طبيعيا أن تضطرب أمور الدولة ويعاد الاضطهاد وبيع الوظائف وثار الفتن فى الولايات وخاصة فى الاسكندرية التى وصل تعدادها الى ٦٠٠ ألف ولم تبدأ فيها الاضطرابات حتى وصفها الرومان بأنها أكثر ولاياتهم شغباً ، وأن أهلها حادى الطباع لايمكن السيطرة عليهم بسهولة . فنشبت الصراعات بين السلطة ومواطنى الاسكندرية وبين المسيحيين والوثنيين واليهود وبين الأسقف Cyril والادارة البيزنطية فنتجية لازدياد الشعور المعارض للوثنية صدر قانون ضد الوثنيين فى ٧ ديسمبر ٤٠٨ يمنعهم من تولي

" تألف العليا في الجيش . يشار لتكون Plintha في فلسطين ٤٠٨م
 وهو هم الوالي انثيميوس في ٢٠ فبراير ٤١٤ م الى جانب ثيوب
 الاضطراب في مدن الشرق . وغى ارمينيا جعل يزدجرد اخاء
 ملكا واستعدت الفرق الرومانية (٢٧) .

ولا ننسى ان نضع خط فاصلا يحدد نهاية حكم بوليكرى ، فلقد
 مضى على الحب بعد وكان يعاونه وزيرها Monaxius
 بلا بلغ الامبراطور العشرين غررت اختيار زوجة له فاخترت له
 Athenais وعلى امرأة جميلة وذكية قدمت للقسطنطينية لنزاع
 بينها وبين اخوتها على تركة ولجات الى بلاط بوليكرى وكانت وحيدة
 بلا اصدقاء وأعجبت بها بوليكرى ثقافتها وجمالها فقررت ان تزوجها
 لثيودسيوس فعلا تم الزواج بعد اعتناقها المسيحية وحملت اسم
 اودكسيا في ٤٢١ م . وكانت اودكسيا اديبة ولها اشعار ودراسات .
 ويعود الفضل اليها في احياء جامعة القسطنطينية . ولم يكن من المنتظر
 ان تتقبل اودكسيا سيطرة تحت زوجها بسهولة بل سعت الى لتخضى
 منها والا.فرااد بالأمر وحقت ما أرادت رغم أن بوليكرى انتصرت على
 مجمع افسوس ٤٤١ ولكن تلى ذلك ضعف تأثيرها واضطرتها
 مؤامرات البلاط الى ترك القصر ، وأصبح تدبير الأمور موكولا الى
 اودكسيا التى عينت Cyrus كحاكم الشرق ووال للمدينة ولم يكن
 كيرس مسيحيا بل هياينيا وهو أول من اصدر قرارات باليونانية . وكان
 شاعرا ومثالا وأهتم بتجميل العاصمة وتزيينها وتجديد مبانيها حتى
 قال أهالى القسطنطينية اذا كان قسطنطين قد بنى المدينة فإن كيرس

(١٢٧) جيون : اضلال الامبراطورية ص ٢ ج ١٦٨ .

Bury : op. cit p 219.

Ostrogorsky . op. cit p 51.

قد جدد لها ، ولكن لم تلبث أن استعادت بوليكر وضمها نتيجة لتآمرها مع الخصى Chrysophius ضد الامبراطور ، وتخلصوا من أعوان أودكسيا كريس وويلينوس الذى اتهم بأنه على علاقة بالامبراطورة فأرسل الى قبادوقيا حيث قتل هناك ٤٤٤ م بناء على رغبة الامبراطور أما الامبراطورة فانسحبت من العاصمة وذهبت الى أورشليم ٤٤٣ م حيث عاشت هناك الى وفاتها منصرفة لبناء الكنائس والأشهر الدينية (٢٨) .

أما الفترة التالية فكان التأثير الفعلى فى يد الخصى Chrysophius وشهدت هذه الفترة فى الشرق حروبا مع فارس ، وفى الغرب مع الملك وبعد مصرعه مع الهون بقيادة اتبلا فقد هاجم الهون تراقيا . كذلك هزم البيزنطيين على يد القوط ٤٤٧ م واضطروا لمصالحتهم حيث منحوا القوط شروطا مجزية وجزية . وهدد الايسوريون المناطق المجاورة للقسطنطينية فدعوا للدخول للقسطنطينية بقيادة رئيسهم زينون Zenon الذى منح لقب Magister Militeum . وبدأ الفرس فى اعداد حملة ضد بيزنطة . أما ليبيا فقد ثارت قبائل الحدود وهدد الوندال البحر الأيوني وكان على المجموعة التى تحكم باسم الامبراطور مواجهة هذه المشاكل . ولكن توفى الامبراطور فجأة فى ٢٦ يونيو ٤٥٠ م نتيجة لسقوطه من على حصان وترك اختيار خليفته للاوغسطا بوليكرى التى وقع اختيارها على مارقيان (٢٩) .

ولقد شاهد عهد ثيودسيوس اخطارا واجهت الامبراطورية فى نظريها الشرقى متمثلا فى الحرب الفارسية والغربية ممثلا فى ازدياد خطر الجرمان كما شاهد انجازات حضارية هامة كانشاء

Bury : op. cit p 228.

Hearsev : op. cit p 39.

John of Nikiu : Chron. trans Zotenberg. p 29 - 33. (٢٩)

الجامعة واصدار المجموعة القانونية : ولقد عانى كما عانى الاباطرة من قبله من المشكلة الدخنة الى بنغت صراعاتها الذروة في عهده .

الحرب الفارسية :

في عهد ثيوديسيوس تحطم السلام السابق ابرامه مع فارس ورغم أن حكم يزدجرد في بدايته شهد التسامح تجاه المسيحيين ولكن تغيرت تلك السياسة عند نهاية عهده نتيجة لتصرفات بيزنطية واساقفتها مما اضطره لاتخاذ موقف مضاد : غنى هذه الفترة بدأت ارمينيا تتخذ طابعها المسيحي وكتبت أبجديتها وترجم الانجيل الى اللغة الآلمينية وأخذت بيزنطة تعمق الشعور الديني لدى المسيحيين في ثطرى ارمينيا سواء القسم الخاضع لأفرس أو بيزنطة نسعت الى اقامة الكنائس المسيحية الى جانب تدخلها لنصرة المسيحيين المضطهدين في ارمينيا فأدى هذا الى تجدد العداء وخاصة بعد هرب عدد من المسيحيين للاراضى الرومانية ورفض الامبراطور تسليمهم وبعد وفاة يزدجرد ٤٢٠ م بدأت سلسلة من المذابح تجاه المسيحيين تام بها بهرام الخامس وأرسلت بيزنطة قوات بقيادة Ardaburus حيث التقت بالقائد الفارسي نارسييس في ارزنجان (٣٠) ، وفى سبتمبر ٤٢١ م تراجع نارسييس الى نصبين وتقدم اردبايروس الى اميديا ثم حاصر نصبين وذهب بهرام بنفسه لرفع الحصار وأرسل الفرس المنذر ملك الحيرة لمهاجمة أراضى سوريا ولكن غرق عدد من العرب فى الفرات والباقي حاقت بهم الهزيمة . وعند اقتراب الشاهنشاه تراجع القائد الرومانى وعبر الحدود واستقر

Vasiliev : op. cit p 98.

(٣٠)

Ostrogorsky : op. cit p 5.

Christensen : Iran Sous Les Sassanides p. 280 - 281.

القتال لمدة شهر وشعر سيودسيوس أن الحرب لن تأتي بنتيجة حاسمة بفضل التفاوض ، ولكن بهرام أراد نصر أولا ليحصل على شروط مجزية من الرومان فأمر جيشه بالقتال واحتفظ سيودسيوس لهذه إلى أن تنتهي الحرب . ولكن انتصر الرومان فاضطر بهرام لفتح باب المفاوضات من جديد وقرر الطرفان إيقاف الاضطهاد وعقد صلح لمدة مائة عام في ٤٢٤ م وكان مما تضمنه الصلح عدم استغلال العرب الخاضعين لكلا الطرفين في العدوان . ولم يدم هذا السلام طويلا إذ بنى الرومان في ٤٢٨ م قلاع ثيودوبوليس في أرمينيا ولما تولى الشاهنشاه الجديد يزدجرد الثاني قرر استغلال أوضاع الامبراطورية السسة في الغرب فعبث الحدود عند نصيبين (٢١) وهاجم عددا من المدن في سوريا في حين اجتاحت قوات أخرى أرمينيا الرومانية ٤٤١ م ولم يكن لدى الرومان جيش كافية لثقتهم فحصلوا على صلح لمدة عام في مقابل مبلغ من المال والوعد بتسليم بعض المسيحيين الهاربين واللاجئين لبيزنطة . وحدثت مشاكل مع الافثاليين انتهت بصلح من شروطه ألا يقيم كلا الطرفين قلاعا بالقرب من الحدود . وكانت آخر أعمال بريتور الشرق كيرس صديق الامبراطورة أودكيا امداد الحدود بالسلاح والخيول ٤٤١ م .

بيزنطة والامبراطورية الفريية :

بعد وفاة ستليكو ترك الغرب بغير شخصية قادرة توجه سياسته وتتولى القيادة فأصبح الطريق أمام الترك مفتوحا لاطاليا وخاصة أن بعض العناصر المتذمرة دعتهم لغزو ايطاليا . فاقصد تلي مصرع ستليكو قيام الفرق الامبراطورية بقتل عدد كبير من الفرق المساعدة

المكونة من البرابرة وترتب على هذا أن حوالى ثلاثين ألف من القوات ذات الأصل الأجنبي انضمت الى الرك . وكان تدبير أمور اندولة فى يد Olympius وقدر الرك حصار روما ولم يقسدم الامبراطور هنريوس مساعدة وعندها وضع فى عاصمته رافنا وأخذ حاصر الرك روما ثلاث شهور ابتداء من ٤٠٨ م واجتاح فى طريقه كريمونا باثونيا وارميتويه وعند تلك الحيرت زوجة ستليكو وقريبة الامبراطور لاتيامبا سالخينة ومعاونة افوط وأخذ عانى الرومان من الجوع وأرسلوا وفدا للتفاهم معه وأخبروه أنهم يسمون للسلام ولكنهم على استعداد للقتال اذا رفض شروطهم فغضبهم بتسليم جميع ما يملكون وأخذ أرجع أعضاء السناتو ما حاق بهم لرفضهم عقيدة أسلافهم وأرسلوا وفدا الى الرك ثانية (٣٢) .

وبعد مفاوضات قبل الرك منحهم سلما فى مقابل ٥٠٠٠ قطعة ذهبية و ٣٠٠٠٠ فضية وملابس وثياب ومواد أخرى ووقع هنريوس الشروط التى حملها له وفد السناتو فى الحصار الثانى لروما وعين ارك امبراطورا مناوئا هو اتالوس Attalus والى المدينة ونوح السناتو والشعب الطاغية خوفا من المجاعة اذ هددهم الرك بالاستيلاء على مخزون القمح ولكن ما لبث الرك أن اختلف معه وعزله بسبب مشكلة افريقيا ، فلقد أراد ارك الاستيلاء على ولاية افريقيا التى تمد العاصمة بالمؤن ولكن اتالوس لم يوافق وأرسل قوة رومانية صغيرة بقيادة قسطنز حيث فنتت عن آخرها فى حين رافق هواتيلا لرافنا ولقد بدأت الخلافات بينهم اذ رفض اتالوس والسناتو الموافقة على ارسال جيش متبربر لاحدى الولايات الرومانية فعزله ونفى

ذلك محاولة الرك عقد صلح مع الامبراطور هينريوس (٢٢) ولكن حين رأى قوات عدوه Sarus القوطى تهاجم معسكره ونصح رحاله بالانضمام للرومان ، ضمن أن دافعه ليذا عو الامبر عور غتصر المدينة للمرة الثالثة واستطاع الاستيلاء عليها واستباحها ثلاثة أيام . وفى ٢٤ أغسطس ٤١٠ م تراجع عنها واتجه الى الجنوب فاستولى على Capua, Nola واكن فشل فى أخذ نابلى وأنقذ ايطاليا موت الرك فى ٤١٠ م . وخلف الرك أخو زوجته أدولف Ataluf حيث ظل فترة فى جنوب ايطاليا ولقد اتجه بعد ذلك الى الغال وانتهى الأمر بعقده صلحا مع الرومان حيث تزوج Placidia أخت هونوريوس عبر الشقيقة ، وتوغل بقواته فى اسبانيا لطرد الغزاة من قبائل الوندال والسويشى الذين اجتاحوا البلاد منذ ٤٠٦ م ولكنه وقع فريسة للخيانة وقتل ٤١٥ م وظففه واليا الذى استرد اسبانيا لهونوريوس وحصر الوندال فى الجزء الشمالى الغربى من شبه الجزيرة (٢٤) .

وفى ٤٢١ م توج قسطنطيوس الذى كان يشرف على الامبراطور هينوريوس وبدير مملكته لمدة عشر سنوات كامبراطور الغرب بصفته قريبا للأسرة المالكة وكان متزوجا شقيقة هينوريوس بلاسيديا بعد تركها لادولف القوطى . وتوج أغسطس مع هينوريوس فى فبراير ٤٢١ م وتوجت بلاسيديا كأغسطا ولكن حين وصل نبأ التتويج الجديد الى القسطنطينية رفض ثيوديسيوس وشقيقته بوليكرى الاعتراف به ربما لأنهم لم يغفروا لها زواجها من أدولف أو ربما أرادوا توحيد الامبراطورية تحت حكم

Bury : op. cit p 184.

Ostrogorsky : op. cit. p 50.

Bury : op. cit, p 209.

Ostrogorsky : op. cit 50.

الشرق ولكن قسطنطين لم يثق أن مات بعد سبعة أشهر . وتركت بلاسيديا المعصية . ف واثت إلى القسطنطينية ٤٢٣ م مع واديهما بسبب شئعت تحدث بها على وعريوس وتصاعد العداء ضدها من بعض شرقي الجنود . ولم يبت عريوس أن توفي في ١٥ أغسطس ٤٢٣ م . وعند عصر حكمه سوء الفترات في تاريخ الغرب شاهد تحول مغرب من معك رومانية إلى ثوتية فروما اجتاحتها البرابرة . وغل وسبت شعرت وبريانيا على وشك أن تفقد . وتلى وشته إعلان شخص خاص بالذكر يدعى حذ امبراطورا وكان هذا احجافا بحق بلاسيديا شقيقة الامبراطور وابنها فالنتين الثالث ابن قسطنطينوس وهذا أدى الى قطع الصلة بين الشطرين ولما وصل مندوبو حنا القسطنطينية للحصول على اعتراف بوضعه كامبراطور رفض ثيودسيوس وأودع مندوبه في السجن وحصلت بلاسيديا على لقب اغسطا وأعلن ابنها فالنتين قيصر في سالونيك وأرسلت الام والابن الى ايطاليا مع جيش بقيادة Ardaburius ضابط من اللان وابنه اسبار واستطاع اسبار بمهارته الحربية احراز النصر وعزل حنا ولقد أمرت بلاسيديا بقتله ، وأعلن فالنتين امبراطورا في أكتوبر ٤٢٥ م وتأكدا لارتباط بين الشطرين عن طريق زواج فالنتين من ابنة ثيودسيوس أودكسيا ولقد ذكر هذا النصر في على البوابة انذهبية التي بناها كيرس (٣٦) . ولقد حكمت بلاسيديا خمسة وعشرين عاما باسم ابنها ولقد استمر ثيودسيوس في معاونته للامبراطورة ففي ٤٣١ حين احتاجت الامبراطورة للمساعدة ضد الوندال في افريقيا أرسل ثيودسيوس جيشا بقيادة اسبار ولكن عاد

(٣٥) جيون اضلال الامبراطورية ج ٢ ص ١٧١ .

Bury : op. cit. p 221.

(٣٦)

Heatsey : op. cit p 13.

Ostrogomsky : op. cit p 53.

(٣٧)

اسبار بعد ثلاث أعوام دون أن يحقق نصراً ويرجع هذا للتقاعس الذي
 تم بين الوندال وجمعه صديقا لهم في ٤٦٧ م . وقد بحث ان هدد
 الامبراطورية عنصر بربري جديد هو الهون بل ان تصرفهم على الجزر
 اعربى ظهر في ٤٢٥ م حين قدم اتيوس على رأس ٦٠.٠٠٠ جندي من
 الهون لتفاوض مع بالاسيدا غاضطرت أمام مدتهم الامم . يوس
 والعفو عنه ودنحت الهون مبالغ ضخمة للعودة الى مسنفرهم .

الموقف الديني :

تار في هذه الفترة جدل عنيف حول طبيعة المسيح فظهر في
 انطاكية في اواخر القرن الرابع (٣٨٠) مذهب يرى أن للمسيح طبيعتين
 مستقلتين وأن المسيح يعتبر ابن مريم وعلى عكس هذه النظرية كانت
 النظرية السكندرية ان الله جعل المسيح تتحد فيه الطبيعتان البشرية
 والالهية وكانت أشهر النظريات هي نظرية Apollinaris الذي قال
 انه لايمكن أن يتحد في المسيح انسان كامل واله كامل لأن هذا
 الاتحاد يؤدي الى عدم تناسبه فذكر أن المسيح ليس برجل كامل
 وانما هو اخمار أوتبنى طبيعية بشرية ولكنها لا تشمل الارادة الحرة
 التي تتغير مع ربوبيته .

ولقد تفجرت المشكلة في عهد ثيودوسيوس الثاني حتى توفي
 ٤٢٧ م بطريرك القسطنطينية سنيوس وترك للامبراطور أمر اختيار
 خليفه له فاختار نسطور يوس تلميذ مدرسة انطاكية الذي رفض مذهب
 امتزاج العقيدتين وان لاغرق بين بشرية سيده المسيح وبين الوهية
 الرب وكان يبجل ويقدر المذراء على انها أم المسيح وبدأ

H. Grégoire : The Byzantine church p 96 - 94. (٢٨)

انظر أيضا .

Cross : Dict. of christian Church.

يهاجم في كنيسة القسطنطينية استعمال كلمة أم الله وأدان نظريات
ابوليناروس وقام بحريث الاسكندرية كيرلس بمعارضة هذا الرأي وكان
الرهبان خفف كيرلس يؤذوه . وقد ذكر أن من الطبيعي أن
تتحد في المسيح الطبيعتين ولا نحصلان hypostatic فالطبيعة
البشرية لا تفصل عن الالهية وإن صدر ، أم الله فأقتربت من نظرية
ابوليناروس الذي نفى وجود طبيعته بشرية منفصلة في المسيح ولكن
يتميز عنها في وجود طبيعتين منفصلتين وبضربة نستطويق أقرب امى
نظرية ثيودر Mopsesuti فاتفق على تسبج له طبيعتين الاختلاف
حول نوعيه وطبيعة اتحاد الطبيعتين كيرلس يرى اننا اتحادا نستطويق
يرى تماس Contact (٢٦) . وكان كيرلس سلطات واسعة فلقد
استغل بعده عن البلاد الامبراطوري ورأسسته لعاصمة ضخمة
فاغتصب مكانة الحاكم المدني وسلطته وتحرف في صدقات المدينة
العامة والخاصة وكان أتباعه شديدي الغضب واضطهد الهراطقة
بمتهى انقسوة ، ولقد شكوا أورستيس الوالى من تدخل البطريك في
سلطانه ولكن .م يهتم وزراء ثيودسيوس بهذا بل زاد نفوذ كيرلس بحيث
اعتدى على الوالى وتسبب في تحريض شعوبه على قتل هيباتيا Hypatia
ابنه العالم الرياضى زينون لانه اتهمها انها سبب سوء العلاقة بينه وبين
الوالى وكان يكره بطارقة القسطنطينية لما يتمتعوا به من نفوذ ، في
نفس الوقت يخشى من زيادة نفوذهم على عواصم أوروبا وآسيا وكن من
الطبيعى أن يتأمر كيرلس على نستطويقوس الذى كتب لثيودسيوس
وبوليكرى وأوديكرى وادانه وكذلك أرسل لبابا روما كليستن الذى
أيد كيرلس ولكن الامبراطور كان في جانب نستطويقوس وقام الامبراطور
بدعوتهم للتسامح ولكن كان في خطابه يميل لنستطويقوس وقرر

H. Gregoire : op. cit p 97.

Bury : op. cit p 353.

الامبراطور عند مجيئه الى القسطنطينية في ١٢٠١ م بناء على نصيحة
 نسطوريوس ، وحضر كيرلس ومعه خمسون من رعيته وكان قد عقد
 تحالفا مع أسقف غسوس ممنون وعو يلين أساقفة آسيا والذين
 ضم اليه حوالي أربعين أسقفا ولقد تأخر أسقف انطاكية أن يرد
 لنسطوريوس وعدد من أتباعه في الحضور فعقد كيرلس المجمع قبل
 حضورهم واتهمهم بعدم طاعة وحرد الوالي كاديان الذي طلب
 التأجيل ، وادين نسطوريوس وزملاؤه حينئذ متدبو البابا الذين
 أيدوا الفرار . ولقد وصف نسطوريوس . تعرض له من أرميا على
 يد حزب كيرلس بحيث أن المكان الذي كان فيه كان محاطا بالجنود
 لحماية خوفه على حياته وبذلك - انصر كيرلس على بطريرك
 العاصمة . ولقد بلغت الكنيسة الشرقية في هذه أقصى ما بلغت
 من نفوذ منذ أيام انطيوخس بل ازداد نفوذه على الحاكم الامبراطوري
 ورغم أن أساقفة الشرق الذين وصلوا بعد انتخاب المؤتمر خرجوا كيرلس
 وممنون من مقدمهما الأسقف . ولكن لم يسجبا هذا الأمر . وكل
 من معه الامبراطور أن غال غليغود الله على اني لم أكن خالق هذا
 الله . وهو الذي يمتن من الذنب ويرقع به القصاص فعودوا الى
 ولاياتكم وانا ادعوا الله أن يجعل من فضلكم الخاصة ما يعوض
 الضرر وانعاز الذي أحدثه اجتماعكم (٤٠) . وبعد وفاة كيرلس ٤٤٤م
 انتقلت السلطة في الاسكندرية الى خلفه ديسقورس وكان نسطوريوس
 قد نفاه الامبراطور الى البطاركة في بلاد العرب ثم الى ليبيا وحرمت
 أراؤه بسبب تسمية رجال البلاط وعين ماكسيمان بروكليوس .

وكان ممثل حزب الاسكندرية في القسطنطينية أوتيا قد زاد

Bury : op. cit p 353.

H. Gregoire : op. cit p 98.

نفسه لدى الامبراطور (١) وسكن الاتحاد بين روما والقسطنطينية تسبب في الحد من نفوذ المسيحية فقد كان ديستورس وأوتيجا أكثر تضررا من كيرس في نظريتهم عند أن المسيح له طبيعة واحدة البية وتمتعوا برضاء الخصى Chrysaphus وعارضهم Flavian بطريك القسطنطينية ودعا الامبراطور الى عقد مجمع كنسى فى ٤٤٩م وهو مجمع افسوس وسيطر بطريك الاسكندرية على المجمع فى نفس الوقت (٢) الذى أعلن فيه البابا ليو اتفاقه مع بطريك القسطنطينية على اصدار اعلان أن المسيح انتجسد شخص واحد له طبيعتان متميزتان . ووجدت روما نفسها الى جانب القسطنطينية ضد الاسكندرية ومع ذلك انتصرت الاسكندرية فى مجمع افسوس الشيعى بمجمع النصوص وترسل ثلثا ثلثة مبعوثين ولكن رسالة ليو لم تقرأ ومنع استيفته من التصويت وقرروا عزل فلانتيان وتأييد نظرية نيقية . ولقد أحاط الرعبان بابواب ايكثدرائية وهددوا المجتمعين لصالح الاسكندرية بل اقتحموا المجمع هم وانجنود بناء على رغبة ديستورس ووقع المجنسون تحت التهديد قرار ادانة فلانتيان وهوجم استيف القسطنطينية وتعرض للضرب ولم يلبث أن مات بعد أيام وتحت قيادة ديستورس قفى على كل معارضة وأعلنت المنوفرتية ولكن البابا ليو لم يرض عن اهانتة فى شخص مبعوثيه وألقى قرارات مجمع افسوس . وطلب من فالنتيان الثالث عقد مجمع فى ايطاليا (٣) ودعا ثيودسيوس للموافقة على ذلك ولكن ثيودسيوس تحت ضغط أوصائه

(١) جيون اسبحلال الامبراطورية ج ٢ ص

H. Gregoire : op. cit. p 91.

Hussey : op. cit p 100.

H. Gregoire : op. cit p 44.

Ostrogorsy : op. cit p 53.

(٤٢)

(٤٣)

ذكر أن الكنيسة في سلام . وأن قرار القسوس كان ضد غلامان فتم
بلان ديسقورس حرم البابا يو وغريغث الأسقف توتش ثيودسيوس ٥٠٠م

أهم منجزات ثيودسيوس الخسارية :

جامعة القسطنطينية :

كان أهم ما جلد عهد ثيودسيوس هو تحصينه القسطنطينية .
ثم أعادته حياة جامعة القسطنطينية وقانونه . والفضل في احياها
لجامعة يعود لزوجته وديكيا بنت أسد نين الوشي والتي جمعت
بين حضارة الوثنية وتسامح المسيحية وألفت ثروحا للكتب الثمانية
الأولى من العهد القديم وجمعت مقتنيات من أشعار هوميروس وكتبت
كتابا يشيد بانتصارات ثيودسيوس الفارسية .

والجامعة أصلا من منشآت قسطنطين بنيت في ٢٧ فبراير
٢٠٥ م لتنافس مدارس الاسكندرية وأثينا اثوئية(٤٤) ولكن الفضل
في تنظيمها والتوسع في منشآتها يعود لثيودسيوس وزوجته وكان
في هذه الجامعة ١٢٨ أستاذ درسوا قواعد اللغة والبيان اللاتيني
واليوناني والفلك والفلسفة والقانون وكان لليونانية عشر كرسي
وعشرة لقواعد اللاتينية والاعريقية ، وثلاث في البيان واثنين
للقانون وكان عدد الأساتذة الاعريق يفوق عدد الأساتذة اللاتين(٤٥)

Bury : op. cit p 233.

(٤٤)

Camb. Med. Hist. vol I p 425.

Georgina Buckler : Byzantine Education p 201.

(٤٥)

Hussey : op. cit. p 15.

وفي هذا العهد بدأت اللاتينية تتوكل مكانها اللغوية مع انها ما زالت
اللغة الرسمية للامبراطورية .

قانون ثيوديسيوس :

قرر ثيوديسيوس في ٤٢٩ م اعداد مجموعة قانونية ، وكانت
مصادر القانون في أيام الابطرة الأوائل التشريعات Leges وهي
نادرة بعد ثيبريوس الى جانب قرارات السناتو التي يوافق عليها
الامبراطور وتأخذ مأخذ التشريع . ثم القرارات التي يصدرها
الامبراطور في بعض المسائل فرأى الامبراطور كقاضي نهائي ثم
توجيهاته التي يحكم الولايات Mandata ثم الاجابات Rescripts
على النقط القانونية التي يعرضها القضاء ثم مراسيم البرايتور بعد
مراجعتها (٤٦) .

وفي نهاية القرن الثالث اختفى المشرعون الكبار وان ظلت بعض
كتبهم متداولة وأصبح مصدر القانون قرارات الامبراطور سواء
شفوية أو تحريرية Constitutions . وأول من اهتم باصدار
مراسيم قانونية كان دقلديانوس فأصدر العديد من المراسيم . وبعضها
وصفا في قانون جستنيان وبعض المراسيم المتأخرة تضمنت قانون
ثيوديسيوس وكان قانونه يشمل المراسيم الصادرة عن هادريان
الى دقلديانوس ولقد وصلت مجموعة تنتسب الى المشرع جريجاريانوس
Gregorian في القرن الثالث وتشمل القرارات من هادريان
الى ٢٩٤ م وفي القرن التالي صدر ملحق في اجزاء الشرقى باسم
Hermogenian من ٢٩٦ - ٢٢٤ م (٤٨) وجزء منها استخدم

Vasiliev : op. cit p 101.

(٤٦)

Bury : op. cit p 232.

(٤٧)

Coulange : Histoire des institutions politiques p 513.

Bury : op. cit p 232.

Coulange : op. cit p 513.

(٤٨)

فى القانون المتأخر فى القرن الرابع خلال عهد قسطنطين واستخدمت هذه التشريعات فى الجزء الغربى بعد اضافة مقتطفات من المشرع البيان ومن بعض من المراسيم الاخبارية ولكن على المدى الطويل حدث انتشار وأصبح القانون لاغى بهحتياجات العاصمة والولايات فقرر الامبراطور اصدار مجموعة تلائم ظروف العصر وكون لجنة للاعداد للمشروع فى ٤٢٩ م - رجعت الى كتابات المشرعين الكبار كيان وبول واكتسبت تلك المؤلفات اعترافا امبراطوريا وكانت تلك الى جانب كتابات سابينيوس وجولييان وباركليوس أساس التشريع كما اعتمدت على مجموعة جريجريونوس وهرمجنطيوس التى نحتوى المراسيم الامبراطورية الى قسطنطين ثم قاموا بجمع المراسيم الامبراطورية منذ عهد قسطنطين ومن تلاه سواء كانت مراسيم أو أوامر ادارية وقامت اللجنة التى كان من أعضائها Apelles استاذ القانون فى الجامعة بتنظيم الموضوعات وإيصاحها وتفسيرها وروجعت انكتب القديمة وكانت كتابات بول تستخدم كأساس للمجموعة القانونية واستبعد كل ما هو خطأ وغير مناسب وصدرت المجموعة فى ١٥ فبراير ٤٢٨ م باسم ثيودسيوس وغالنتيان بمناسبة زواج غالنتيان من ابنة ثيودسيوس (٤٩) •

وأعلن الامبراطور أن القانون صدر ليزيح الظلام أو الغبار المتراكم على القانون - فالقانون يوضح كثيرا من الامور المدنية كالمعاملات والميراث وما اىها - والقانون مقسم الى ست عشر كتابا وكل كتاب مقسم الى عناوين تحت كل عنوان عدد من الموضوعات فموضوع يتناول الامور العسكرية وآخر يتناول الجرائم والدخل والقوانين المدنية وبعضها يتناول القوانين الخاصة بالعمل ، وكان الاهتمام بالامور

الإدارية أكثر من اهتمامه بالأمور الشخصية العادية ولم يقتيد بالتاريخ
 ومكان الإصدار كثيرا وظهر ذلك في مطبعا في الشرق والغرب إلى عهد
 جستنيان واستمر في الغرب في أسبانيا وفرنسا ولومبارديا في
 إيطاليا . وجزء منه استعمله القوط الغربيون بأمر الراك (٥٠) . وفي
 سنة ٥٠٦ صدرت عدة مراسيم تشمل مراسيم لثيودوسيوس ثم لخلفائه
 بعضها حمل اسم انثيموس في ٤٦٨ م وأطلق عليها اسم Novella
 وبعد ثيودوسيوس وقبل جستنيان صدرت مجموعة في برجنديا ونلاحظ
 أن صدور القانون كان باسم الإمبراطورين وهذا أعطى نوعا من الاتحاد
 للإمبراطورية ظاهريا ولكنه لم ينعكس في التطبيق لأن التطورات
 القانونية في كلا الطرفين اختلفت وكان من المعتاد أن ترسل قوانين
 حكام الشرق إلى الغرب ولكن لم تكن تنقل مراسيم حكم العرب
 إلى الشرق (٥١) .

مارقيان ٤٥٠ - ٤٥٧ :

لم يكن لثيودوسيوس أبناء ذكور وكان من المنطقي أن يلي
 إمبراطور الغرب السطرين ولكن لم يكن أهل القسطنطينية
 أو الإمبراطور يرغبون في هذا وعند موته اختير مارقيان وترك للسناثو
 ولاغسطا بوليكريا اختيار خلف للإمبراطور فأيدت اختيار الإمبراطور
 مارقيان وتزوجته زواجا رسميا واشترك البطريرك مع اللاغسطا في
 تنصيبه . وكان مارقيان يتمتع بكفاءة إدارية عظيمة وبدأ عهده
 بالتخلص من Chrysaphius وظهر في عهده نفوذ أحزاب السرك فايد
 الخضر كرسفيوس وإيده هو الزرق وكان عهده من المعهود التي امتازت

Coulange : op. cit p 514.

(٥٠)

Jehn of Nikiui : Chron trans Zotenberg p 422.

(٥١)

Ostrogorsky : op. cit p 55.

Bury : op. cit p 236.

بالهدوء لولا ما حاق بالامبراطورية من متاعب غى الجزء الغربى ولقد بدأ عهده بتخفيف الاعباء عن المواطنين فقرر استأخرات وقلل من سلطان البريتوريين ، ورفع بعض المظالم التى ترجع بعد غالفز فكان ملاك الأراضى التى ابتاعوها من الدولة لا يدفعون صرائب وأجبرهم على الدفع مساواة بالباقيين غى الاعباء ومنع بيع الوظائف واستد غى العقوبة ، ونقد وجه اهتمامه لطبقة السناقو وطلب منهم عدم تحميل الشعب أعباء اضافية وانفاق الأموال على اصلاح المدينة وكان هناك قانون منذ قسطنطين يمنع من زواج أعضاء السناقو من نساء من طبقة وضيعة أو ممثلات فأحل لهم الزواج من النساء الفقيرات طبييات المنبت .

السياسة الدينية :

واقد حاول الامبراطور حل المشكلة الدينية التى تركها ، فان مجمع أفسوس أثار غضب البابوية بعد اهانة مبعوث الامبراطورية ولقد حددت تلك المجمع سلام الامبراطورية وأضعفت مقدرة الداسة وأفقدها هيبتها وشقت قواها التى كان مفروضا أن يسهل أعدائها ورغم ذلك فإن المجمع الدينية التى عقدت غى كلا الشطرين أعطتها نوعا من الوحدة (٥٢) . يحاول حل المشاكل التى نتجت عن موت الاسقف السكندرى وما حاول فرضه على الشرق بل أن بطريرك القسطنطينية Anatolius عين بفضل مجبودات ديسقورس وتأثيره وكتب مارقيان الى البابا ليو يستجيب لدعوته لعقد مجمع دينى غى خلقدونية ٤٥١ م حضره ستمائة وثلاثون من الأساقفة ومندوبون عن البابا والامبراطور وأدين-

Marcellinus : Sub. a.

(٥٢)

Bury : op. cit p 236.

H. Gregoire : op. cit p 98.

Ostrogorsky : op. cit p 55.

ديسقورس بالرغم من تأييد بطريرك القسطنطينية صنيعة له ولم يكن الامبراطور يستقيم أن يضع قرار يتفق مع نظرية البابا الكنسية تماما والا أثار عليه عداء الكنائس الأخرى فوجد صيغة أخرى يرضى عنها البابا والكنائس الشرقية . وتألفت لجنة من ثمانية عشر أسقفا قامت بوضع قرار آدان كل من المونوفزيتية والنسطورية (٥٣) وك : النظرية وسطا بين الاثنين فأنسج : . جانب إلى ذلك وجانب بشري كاهل فهو من اقنوم واحد ولكنه من طبيعتين مختلفتين وكان هذا المجمع ايذانا بانبيار الاسكندرية وبتاركتها الذين تصرفوا كما لو وكان القرار موضع كراهية النساطرة واتباع مذهب اسكندرية على السواء وان كان النساطرة أقل عددا وأكثر ضعفا ولكن أهل الاسكندرية من اليعاقبة أعلنوا اعتراضهم وأعلن المونوفزيتية كل من أمك وسوريا وأعلن المبريون استقلال الكنيسة القبطية المصرية ورفضهم للقرارات . وحدث في سوريا نفس الأمر وأجبر أسقف بيت المقدس على الهرب . واقد دخل أهل الاسكندرية في صراع وشغب مع القسوات الامبراطورية عند سماعهم انبا وناة مارقيان . قتلوا البطريرك الذي خلف ديسقورس في مكان العماد ويشير إلى ذلك أحمد الاساففة بقوله « في عهد قنصلية فينانتيموس ملك شعب الاسكندرية وشعب مصر كلها جنون عجيب سيطراني فالكبار والصغار والأرقاء والأحرار والراهبان والكهنة وسكان البلاد والوطنيون الذين عارضوا مجمع خلقدونية كل هؤلاء فقدوا عقابهم وقدرتهم على التعبير » (٥٤) ونقد اتخذ المصريون المشكلة الدينية تمتنع عن شعورهم بالرفض تجاه

H. Gregoire : op. cit p 98.

(٥٣)

Hussey : op. cit p 16.

(٥٤)

Ostrogorsky : op. cit p 55.

الحكم البيزنطى ويقال أن الانقسام الذى شئ هذا المجمع سول الفتح
العربى لمر والشام •

وحصلت القسطنطينية فى هذا على نصر فقد نأذت قيادة
القسطنطينية للكنيسة الشرقية واعترف بها كذنى كنيسة بعد روما
فى المجمع الدينى السابق وكان هذا بغضل كنيسة روما (٥٩) ولكن
اعتمادا على انتصارها فى خلقدونيا تحطم هذا التحالف فان
مؤتمر خلقدونيا اعترف بالسيادة الشرقية للبابوية ولكنه وضعها
على قدم المساواة مع كنيسة روما والقانون الثامن والعشرون منح مزايا
روما للقسطنطينية أو روما الجديدة وجعل القسطنطينية مقررة على
كبرى تراقيا وآسيا وبونتوس وكان من الطبيعي أن يبدأ الصراع
بينهم ورفض اعتراف مندوبى انبانيا على مجمع ورفض ليو التصديق
عليه •

السياسة الخارجية للإمبراطورية :

البرن :

بالنسبة للاخطار الخارجية كان الامبراطور محفوظا فالمشكلة
الاساسية : وهى مشكلة الهون انتهت بموت أثيلا ويرجع ظهور خطر
الهون الى عهد ثيوديسيوس بين أعوام ٤٣٠ — ٤٤٠ وفى ٤٤٦ م
اتجهوا الى الادبراطورية الشرقية ووصلوا الى أسوار القسطنطينية
وعقدت معهم للإمبراطورية معاهدات تحميهم الأجل تعرضت فيها

٥٥١ جيون استلال الإمبراطورية ج ٢ ص ٢٢٩ •

De Guignes : Hist. des Huns.

(٥٦) انظر

Lot : op. cit p 208.

Bury : op. cit. p 101.

الامبراطورية لكثير من الهوان رغم ذلك فقد اقتحموا البلقان وانتهى
 ذلك بمقتد معاهدة نصت على تركيزه الشرق مقال مبالغ مالية وفي
 تلك الأثناء مات ثيوديسيوس وتولى ماركيان وتأسس أتيلا ملك الهون
 لغزو بلاد الغال وكان ثيودريك ابن الترك قد أصبح ملكا للقوط الغربيين
 بعد موت واليا . وكان ايتيوس القائد الروماني الذي سبق له التحالف
 مع الهون عقد تحالفا بين الرومان والقوط في سنة ٤٥١ م غفر أتيلا
 الى الغال وحاصر مدينة أورليان وخف ايتيوس وثيودريك لانقاذها
 وهزم أتيلا في كانتولينا في معركة سالون وفي العام التالي اتجه الى
 ايطاليا فاستولى على أكويلا وفيرونا وبرجاسو . ولم يستطع فالنتينيان
 الثالث أن يفعل شيئا ولكن البابا خرج للقائه قبل الانسحاب مقبل
 جزيه لسماعه بقدم قوات بقيادة ايتيوس (٥٧) وكان أنقذ الامبراطورية
 وغاته ٤٥٢ م وانتهى مملكته بعد ذلك ولكن أحوال الجزء الغربي
 من الامبراطورية ازدادت سوءا وخاصة بعد مقتل القائد ايتيوس ٤٥٤ م
 وفالنتينيان الثالث ٤٥٥ م فحدثت اضطرابات في ايطاليا . أما أهم
 الولايات خارج ايطاليا فقد ظلت في أيدي الفرق الجرمانية الذين
 أقاموا عدة ممالك : الوندال في أفريقيا والقوط الغربيون في اليبس
 وأسبانيا ، ولم يستطع امبراطور الشرق شيئا وأصبحت العاصمة
 الامبراطورية ميدانا للمعارك فجاء البرابرة ولقد أدى هذا الى دور
 دور الكنيسة المسيحية التي جعلت من روما مركزا للمسلم المسيحي
 وأدى هذا الى ازدياد سلطات البابوية وخاصة في عهد ليو الكبير
 ٤٤٠ - ٤٦١ م ، وسيؤدي فيما بعد لصراع القرن الخامس . وبالنسبة
 لفرس فقد رفض ماركيان تحطيم الصلح وأكد الصلح مع الوندال

(٥٧) جيون : انسحلال الامبراطورية ج ٢ ص ٢٧١

Lot : op. cit p 208.

بعد غزوهم روما وعلى حدود الدانوب ثارت بعض المشاكل بعد انهيار امبراطورية الهون ٤٥٤ م غاسترت بعض قبائلهم في شمال الكريوم وتراقيا واستقر عدد من القوط الغربيين تحت قيادة فينجير وثيوديس في بانونيا ولم يعترف ماريان بظفراء فالتيان الثالث .
بعد شاهدة العشرون سنة التالية انهيار الغرب تحت حكم سلسلة من الأباطرة لم يكونوا أباطرة إلا بالاسم فلم يكن هناك أبناء على قيد الحياة في بيت ثيوديسيوس وانقسمت قوات الجيش بين عدد من المرشحين وهم مكسيميان . مكسيموس . ماجوريان ورغم أن الامبراطور ماريان فضل ماجوريان فقد اختار ماكسيموس الذي حاول الزواج من ابنة أودكسي التي كانت مخطوبة لينريك ابن جزريك ملك الوندال فأعتبر هذا الفعل يمس كرامته فزحف بقواته إلى روما وحاول مكسيموس الحرب فقتله بعض الغوغاء في مايو ٤٥٥ م (٥٨) .

وفي ٤٥٢ م ماتت هويكيا وتركت كل ممتلكاتها للفقراء وكان للامبراطور ابنة من زوجة سابقة زوجها إلى انثامبوس حفيد الوالي انثامبوس . وكن عند وفاته في ٢٧ يناير ٤٥٧ م لم يتخذ أي خطوة لتأمين العرش لزوج ابنته وترك العرش لتصرف اسبار قائد الجيش الذي لم يكن يستطيع تولي العرش لكونه بربري أريوسى ولكنه كان يستطع الحكم من خلف امبراطور فأختار التريونيان العسكري نداكيا ليو ووافق السناتو لعدم وجود امبراطور أو أغسطس (٥٩) .

(٥٨) جيبون : اضحلال الامبراطورية ج ٢ ص ٢١٦ .

Grisar : Hist. of Rome and the popes. p 95.

Bury : op. cit., p 324.

Bury : op. cit p 316.

أختار اسبارليو وهو تربون عسكى فى داكبا وكان ليو بسيط التعليم وعلى قدر من الذكاء ولكن لا يتميز بشخصية قوية ويستطيع ان يتحكم فيه وهذا يدل على مدى سلطان الفرق الجرمانية . واسبارليس جرمانا ولكنه انتسب الى اللان ويمثل العناصر الجرمانية فى القسطنطينية وبينما كان الغرب يعانى من قتاله الياس كان الشرق سعى لحل مشكلة كيف يخضع تلك القبائل الجرمانية منذ منتصف القرن الخامس . ولم يكن هذا أول صراع ينشب بين العناصر الجرمانية والامبراطورية فلقد سبقه الصراع مع جانياس القوطى .

وكان ليو الأول أول امبراطور يتسلم عرشه من يد البطريرك غمن سبقه من الاباطره رغم كل ما منحوه للكنيسة اتبعوا التقاليد الرومانية وتقبلوا التاج من اسناتو والقادة العسكريين وكانوا يرغبون فى ستر ليتلقوا تأييد الشعب فأصبحت الكنيسة تشترك فى التتويج ، وهذا يوضح المدى الذى وصل اليه نفوذ البطريركية بعد مجمع خلقدونية وأصبح منذ ذلك الوقت جميع اباطره بيرنطة بتوجههم البطريرك والتتويج اتخذ منه دينية . فاقامة احتفال دبنى أضف الى التقاليد الرومانية السابقة بطابعها الحربى ثم أبطال الأخير (٦٠) .

وكان أول مشاكل ليوى مشكله الامبراطورية الغربية فبعد مقتل ماكسيموس تقدم الوندال فى ايطاليا وقبضهم انبأبا ليو ولكن

(٦٠) لمزيد من التفاصيل عن لتتويج انظر .

Constantine Proph : De Cermoniis I p 41 - 1.

لم يستطع بنعمهم من فيجب المدينة الذي استمر لمدة أربعة عشر يوما
وقبضوا على أودكسيا وابنتها وزوج ملكهم جزيبك ابنة الامبراطورة
أودكسيا من ابنه ولقد انتخب *Probus* - *سيديق ايتيوس*
امبراطورا بمساعدة القوط ولكن لم يرحب به السناتو
والجيش رغم اعتراف مارقيان به وقتل في أكتوبر ٤٠٦ م
على يد ريكمار و *ماجوريان* . ولم يترك *الامبراطور* *سنتو*
اذ ظل العرش خاليا من أكتوبر ٤٠٦ م الى ابريل وبعثا لانتقام
كان امبراطور *الثقة* يعتبر حاكم الشرطين وبذلك كان مارقيان ثم
لديو امبراطور للغرب أيضا . وأخيرا تم اختيار الامبراطور *ماجوريان*
لأن ريكمار كان يربوا فأعلن امبراطورا في (ابريل ٤٠٧ - ٤١١)
وكان مقتل ايتيوس سبب المشاكل فان أصلاؤه من القوط
الغربيين والبرجندين حاولوا الثار له ورجع *ماجوريان* بجيوشه
الى الغال ووجد البرجندين متحالفين مع الاعمالى فانتصر عليهم في
نفس الوقت الذي كان القوط الغربيون بقيادة *شودريك* يحاصرون *Arelate*
وكن أحرقهم فأدع *ايتيوس* على رفع الحصار ثم عقد اتفاقية
معهم وان كانت المشكلة الأساسية التي واجهته كانت مشكلة الوندال
الذين أعد خدعهم خطة وجهها لأمريكا ولكن كل الخطة ضد الوندال
سواء في الشرط الشرقي بقيادة *اسبار* أو الغربي بقيادة *كاستينيوس*
فشلت . وتلى ذلك اجتياح أسبانيا فأعد امبراطور الغرب أسطولا
من ثلاثمائة سفينة ولكن انتصر جزيبك عليه وتبع ذلك عقد حاج وعاد
الامبراطور الى ايطاليا وعند وصوله الى ترينتو دبز ريكمار الذي
يحقد عليه مؤامرة وقتله ٤١١ م وخلفه *Severus* الذي اختاره ريكمار
وجعل *انساتو* يوافق عليه ورفض *ليو* الاعتراض به وثار عليه الكثيرون

وأعلن أغسطس في الحال وهو أجيدبوس وظهر معارض آخر في صقلية . في نفس الوقت عد الوندال إلى الهجوم على الامبراطورية ولقد استتجد ريكمار والسناقو بالامبراطور نيو للتوسط مع جزيرك الذي طالب بممتلكات الاميرة أودكسيا التي زوجها لابنه في ايطاليا وميراث ايتيوس وأرسل جيشا اجتاح ايطاليا وصقلية . وفي ٤٦٥ م مات سيفريوس وظل العرش خاليا إلى أن اختار ليو انثيموس زوج ابنة مارقيان في أبريل ٤٧٦ م (٦٢) وأرسل الامبراطور حمه إلى الوندال فتسلت بسبب قيادة أخى زوجته . ولقد اختلف ريكمر مع انثيموس فغضب روما وقتل انثيموس ٤٧٢ م وولى امبراطور جديد ولكن ريكمار توفى بعد ستة أسابيع والامبراطور الجديد Avitus الذي اختاره توفى بعده بشهرين وفي سنة ٤٧٦ م أصبح رومولوس اغسطس آخر الأباطرة في الغرب (٦٣) .

ولم تكن هذه الأخطار الوحيدة التي أحطت بالامبراطور ففي الشرق كانت حركة قبائل الهون القوقاز ثم مشاكله مع الافغاليين ومع حاكم لاذيقا Gabares .

الجرمان والامبراطورية الشرقية :

الصراع الداخلي من أجل البقاء :

لم يرض الامبراطور أن يكون العوبة في يد اسبار وكان من الطبيعي أن يصطدما وبدأ الخلاف حين عين ليوسبانوس واليا رغم ارادة اسبار في ٢٦٤م كذلك طرد ليو البطريك ثيموتي من الاسكندرية رغم معارضته ثم حدث خلاف حول شئون اليريا وكان القوط الشرقيون في بانونيا الذين سمح لهم ليو بالاستقرار هناك قد اجتاحوا تراقيا

Bury : op. cit p 334

(٦٢)

(٦٣) جييون : انحلال الامبراطورية الرومانية ج ٢ .

وأخيراً دراهمهم ، ولكن أجبرهم البيزنطيون على أن يتركوا ابن ثيودور
 الطفل ثيودريك كرهينة قبل أن يحصلوا على من أدى طلبوه وأثناء
 الصراع بين القوط و Sciri ذهب كلا الفريقين يطلب مساعدة من
 الامبراطورية ونصح اسبار بمعونة القوط ولكن الامبراطور نصر على
 نصر Sciri وبالفعل أرسلت القوات البيزنطية حيث
 حققت النصر على القوط وكان الامبراطور يخشى أن
 يكون مصير الشرق كمصير الغرب لو استمر اسبار في نشاطه . ولكن
 اسبار كان محظا بحرس من القوط بقيادة ثودريك ابن Triarius قريب
 زوجته وكان حيفا نه وكان لابد للامبراطور من فريق يؤيده فاتجه
 بانتظاره الى الايسوريين الذين كانوا عنصر شعب في عهد د من
 ارخايدوس ونيودسيوس واستخدمهم ليو لانقاذ الامبراطورية وزوج
 ابنته Aridane من قائد الايسوريين Tarasiodorus
 والذي عرف باسم زينون وحضر ٤٧٦ م لمواجهة اسبار وفي هذا
 الوقت ثارت مشاكل في تراقيا بسبب اليون المنحدون مع القوط
 وأرسل اليهم جيتسا لكنه هزم وغدت الاضطرابات في تراقيا
 فأرسل زينون الى هناك فثار عليه الجند بتحريض من اسبار وحاولوا
 قتله ولكنه نج باعجوبة وهرب الى سارديكا ولما عاد زينون الى
 القسطنطينية أحضر معه عصابه من قطاع الطرق من رودس لتأييده
 في ٤٦٩ م وأدى هذا لعدم شعبية الارياوسيين وتبع ذلك تسع
 نى العاصمة فأرسل الى الشرق وحصل على لقب Magister Militum
 وازدياد قوة الايسوريين جعلت اسبار يحاول تدعيم مركزه وخضعه
 بعد فشل الحملة اتى أرسلها ضد الوندال ونصح ليو بأن يجعل
 باسليكوس شقيق زوجته على رأسها وجعل الامبراطور يمنح ابنه لقب
 قيصر ويزوجه ابنته الثانية رغم معارضة الرهبان لخوفهم أن يتولى

العرش امبراطور آريوسى وأراد اسبار أن يجيز الامبراطور على أن يتخذ موقفا واضحا فبدأ يتحرش بالايسوريين فى العاصمة وهذا جعل زينون يعود للعاصمة القسطنطينية فى أواخر ٤٧١ م ودبر زينون مؤامرة واتهم اسبار بالخيانة وقتل وأصيب ولده بانريكوس الذى نفى فيما بعد وأجبر على طلاق الاميرة التى تزوجت مارتيان بن انطيوخس . ولكن بعض الفرق التى تنتمى لاسبار هربت الى تراقيا واتصلوا بالقوط حيث قدموا بهجوم غاشل على المدينة (٦٥) .

وكان الامبراطور قبل مقتل اسبار قد أرسل ثيودريك آمالى الى واده بهدايا وهذا جعل ملك القوط يمتنع عن العائق الذى يمنعه من التوسع فى اراضى الامبراطورية وأول عام به ثيودريك هو هزيمة اليرمانيين واستعباده Sengionus منهم وعدم انديا لامبراطور ولقد أرسل ملك القوط جيوشين ضد ايطاليا ولكنه هزم واضطر لعقد الصلح ، وتوفى ملك القوط وخلفه ابنه ثيودريك ٤٧١ م وأرسل الامبراطور سفيرا ليتفاوض معه ويعرف شروطه وفى ٤٧٢ م طلب ممتلكات اسبار ومرزقه وكل اراضى تراقيا ولم يوافق ليو الا على الطلب الثانى فقط فاجتاح عدا بدوره اراضى الامبراطورية ولكن أمام احتياج القوط للطعام أرسل سفارة ثانيه وعقد معاهده سلام على أن يصبح مجستير عسكرى وان يدعموا اليه ٢٠٠٠ فطعمه ذهبيه كل عام وان يعترف به كرئيس للقبائل القوطية جميعها وألا يتسلم الامبراطور هاربا من القوط ينجا اليه وان يعين ثيودريك بدوره الامبراطور على جميع الاعداء فيما عدا الوندال أصدقاء اسبار (٦٦) .

أما آخر أعمال ليو فكانت تسليم جزيرة Jutaba شمال البحر الأحمر إلى امرئ القيس الذي كان قد قدم من الأراضي الفارسية ومعه عدد من قبائل العربية واحتل الجزيرة وطرده جامعي انصرائب وأرسل أسقف قبيته وكتب منه منحه الجزيرة ورئاسة القباط في ولاية فلسطين الثالثة وقد وافق الامبراطور على طلبه ٤٧٣ م .

أما آخر قراراته فهو صدر قانون يمنع مشاهدة المسرح والمدرج والسرك في يوم السبت كذلك منع اثنين من تولي الوظائف في الدولة وطرده عدد من برشيين كانوا يتولون الوظائف الكبرى كايسوكيوس أليسيوس وفي عام ٤٨٠ م خرجت الامبراطور الامراتي وكان عليه ان يعين حث له وخلفه من يمن زينون وعدم تعيينه وكراهية الناس له فجعل عفيده يو ابن زينون وهو طفل عمره خمس سنوات قيصر ثم نسيه أغسطس في ١٨ نوفمبر وبعد أقل من ثلاثة شهور مات ليو وعمره ٦٣ سنة في ٤٧٤ م ولكن الطفل لحق به بعد تسعة اشهر وأصبح زينون امبراطورا منفردا (٦٧) .

حكم الايسوريين :

زينون ٤٧٤ - ٤٩١ م :

أول امبراطور آيسوري يلي عرش الامبراطورية والايسوريين رغم ان مستواهم الحضاري أقل كثيرا من القوط الذين استفادوا من اتصالهم المبكر بالعالمين اليوناني والروماني فعلى عكس الجرمان اعتبروا عناصر يونانية فلم يطق عليهم لفظ برابره بالمعنى الاغريقي

John Mal. XIV p 376, Constantine porh. De Cer. i. 94.

Brooks : The Emperor Zenon and the Isaurian p 216 (٦٧)

(English Historical Review).

Hussey : op. Cit. p 15.

الكلمة اليونانية وان كان أهل الخصصينة اعتبروهم جميعا أجنبيا ولم ينسوا ما طاق بالامبراطورية على عهد أركادايوس على يد الأيسوريين ولقد اتفق على حكمة ديسوريين معارضة عما تقي حكم الجرمان وجاءت في سنة ٢٧٠ م على عهد منكني ووندال والقوط الشرقيين في الحرب . بعد وفاة يوزال القوط في سنة ٢٧٤ م على الشواطئ السورية بجند الأعرش واستولوا على بنبوبوس . وذلك لعدم رفضهم في مصر حينئذ .

ونم يكن زينون مستعدا للحرب عازما على دفعه لتفاوض ويتم الاتفاق على اقتداء الأسرى في كلا الطرفين . وبعد سم في ٢٧٤ م لمدة سبع عاما ولكن وغاة جزيرك في نفس العام حيث حصر أوندالي .

وكانت سياسة زينون قائمة على ان السلم هو الحل لتوحيد جميع مشاكل الامبراطورية — رغم اضطراره الى الاتجاه للقنصل أحيانا فالتبائل العربية اجتاحت أراضي سوريا ونهبوا البطار الأول مرة في جنوب الدانوب (٦٨) وتولى الأيسوريون الحكم وأدى هذا الى نقض القوط والقبض على قائد تراقيا وقتله وأرسل الامبراطور Theodosius أحد القادة المهربين اليه لقتلهم ولكن التراجع في منح المزايا لابوبوس اثارته عليه غضب أهل القسطنطينية . في نفس الوقت توفي عنه ابنه ليو وتبعه وعاته مؤامرة لعزله فادعا باسكودوس . عقب وفاة ليو فنادت الحملة القائلة على الوندال أيام ليو ويظل ان غوفا هي المدير الأول للامورة اذ ارادت دفع صديقيها يثريديوس للعرش وحققته أبناء زوجة (٦٩) . كان ليجليكيوس انصار عديدين في العاصمة فاعان

Bury : op. cit p 393.

(٦٨)

Otrogorsky : op. Cit. p 51.

John Lydus, De mag. 45.

(٦٩)

امبراطورا ، ونصبت هيرا زينون امبراطورا لاستجاب لها ولجأت
 زوجته وأمه الى ايسوريا ٤٧٥ م . واستولى المفكرون على المدينة
 بلا قتال . وتلى ذلك مذبحة للايسوريين ولكن تلك الفتنة لم تستمر
 الا عشرين شهرا لأن باسيليكوس لم يستطع حل ما واجهه من مشاكل ؛
 فقد نشب خلاف بينه وبين ثيودريك حاكم القوط ؛ انى جانب تحول
 الشعب عنه لنورتيه ولتعيينه أوماتيوس صديق زوجته قائدا للجيش .
 وأرسل اليوس لمحاربة زينون ولكنه انضم الى جانب زيفون هيز
 وعدد من القادة ، وأصبح الطريق الى القسطنطينية مفتوحا وفر
 باسيليكوس وعائلته الى مدينة ايسوليا ؛ ولكنه ما لبث ان انضم
 لزينون فأرسله انى ثبادوقيا حيث قتل هناك .

ولقد حاول السرماتسيين إعلان امبراطور جديد ولكن قتله
 دوق غاسطين ، ولقد تلى عودة زينون ان أصبح اليوس أقوى شخصية
 فى الامبراطورية وتولى منصب القنصل ٤٧٨ م وظهوره اثار عدا
 اقوط فى اليريا وتراقيا ؛ وفى نفس الوقت كان على خلاف مع كل من
 الامبراطورة الام غرنا وابنتيه Anladre . ودبرت الامم مؤامرة
 للتخلص منه فطلب من الامبراطور تسليم غرنا اليه واقطع زينون
 للاستجابة لمطالبة حيث اجبرت غرنا على ترك القصر ودخول الدير
 وأرسلت الى قلعة Dillsande (٧٠) .

وام يلق حكم زينون هيرا من الشعب فبالرغم من انه لم
 عد وفاته ترك خزانته ممتلئة بالمال لى لعتيلاج الامبراطور زينون
 الدائم لسد نفقات الايسوريين جهته يلجأ الى بيع اوظائف باثمان
 عالية فى نفس الوقت قام حرقين روج ابته ليو الثانية بثورة جديدة

Bury : op. Cit. p 51.
 John Lydus op. cit iii 45.

بدعى انه احق بالعرش لان زوجته ولدت اثناء حكم ابيها كإمبراطور
 فى حين أن ادين قد وددت قبل نوبه عرش ولكن اليوس أحبط تلك
 القتلته وقبض على مارتيان ونفى الى سعة ولكن نشب نزاع
 بين الامبراطورة واليوس فقد ارادت اعادة عهد الى القصر ولكن
 اليوس رفض و دبر زينون ضده مؤامرة حاك بها القتل (٧١)
 ولكن اثار حفيظه ليو ضده ، فطلب اعفاءه من وظائفه فى
 المعسمة والسماح له بالذهاب الى انطاكية وجعله قائدا لجند
 الشين . ولم يستطع الامبراطور فعلئى ، لأن يديه كانت مغلولة بسبب
 الحرب مع القوط فلما فرغ منها حوالى ٤٨٥ م طلب من اليوس
 تسليم اخيه فروغض فعزله من قيادة جيش الشرق وعين
 حنا Scythiar وحسادر أملاكه ونفى اصدفاءه وكان اليوس قد
 تمكن من تحقيق نسيبه له واستغل عدم الرضى على مرسوم الوفاق
 انذى أصدره الامبراطور واخرج مارغين من سجنه وطلب مساعدة
 ادواكر فى ايطاليا وكتب ملك فارس وحكام ارمينيا ونقد وعدوه
 الممونة ولكن هزيمة الفرس على يد الاغثاليين ٤٨٤ م منعته من
 تحقيق وعدهم (٧٢) . وأفرج اليوس عن غارنا التى رحبت بتتويج الشرف
 لينتيوس فى قلعة Cherris فى جبال ايسوريا ٤٨٤ م حيث ماتت
 غيت بعد أيام ، اما القلعة فقد سقطت فى يد زينون بعد أربع أعوام
 فى ٤٨٨ م بسبب خيانة بعض النادة وتخلص الامبراطور من اليوس
 ولينتيوس . وبذلك شغل الامبراطور غالبية عهده بالصراع . سواء
 على العرش أو مع القوط فقد عاصر عهده سقوط ايطاليا فى يد

Brooks : op. cit op. cit p 219.

(٧١)

Bury : op. Cit p 344.

Brooks : op. Cit p 214.

(٧٢)

Bury : op. Cit. p 344

البرابرة ، ولم تلق سياسته الدينية نجاحاً رغم محاولته التوفيق
أما أهم أعماله فكانت تكوين فرق حربية من الاهالى الاصليين للولايات
بجانب فرق البرابرة •

وتوفى زينون فى ابريل ٤٩١ وكان لديه ولدان من زوجته الأولى
لم يكونا أهلاً للعرش وانتحر احدهما أثناء حياة أبيه • وكان زينون
يرغب فى أن يلى أخوه العرش ولكن عدم شعبية الأريوسيين منعت من
ذلك فعينه Magister على أن يكتب شعبية فى الجيش تؤهله لتولى
العرش ولقد ترك زينون لمزوجه اربين اختيار الخلف له ولكن أمام
اجماع الشعب والبطريك واعلانهم عن احتياجهم لامبراطور رومانى
ارثوذكى ورفضهم لحكم الأجانب الهراطقة وقع الاختيار على أكبر
ضباط التاج ٤٩٠ م — ٥١٨ م وكان انستاسيوس الذى يبلغ من
العمر ستين عاماً (٧٢) •

سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب :

توالى على عرش الامبراطورية الغربية عدد من الابطرة الضعاف
فعند وفاة الوبريوس Olybrius أصبح ليو امبراطورا لكلا الشطرين
لخلو عرش الغرب ولكن القائد جاندوباد الذى خلف عمه ريكمار كقائد
للجيش اختار عمه Glycerias امبراطورا فى ٤٧٢ م فى رافنا فى
نفس الوقت الذى بدأ فيه خطر القوط الشرقيين تحت قيادة Widemir
حيث بدأوا تحركهم من بانونيا • ولكن جليكرياس استطاع التصدى
لهم • ولم يلقى تعيين جليكرياس تأييدا فى القسطنطينية واختار
ليو قرييه جوليوس Nepos حاكم دالماتيا وقريب الامبراطورة فى

يونيو ٤٧٤ م ومع ذلك لم يذكر نيبوس في التاريخ الشرقية ، ومن أورستيس الذي كان يتمتع بعة الجرمين ابنه اغسطس رومولوس امبراطورا لمدة احدى عشر شهرا واضطر نيبوس للفرار من العاصمة في الوقت الذي عزل فيه زينون . ولقد قام نيبوس خمس سنوات في سالونا في الغرب وكان نفوذ القوط قد ازداد وخاصة أن فرق أورستيس كانت تتكون من جنود من القوط الشرقيين وعسكرت في ايطاليا وكان هؤلاء يطمحون الى الاستقلال عن سيطرة الرومان وطالبوا بثلاث أراضى ايطاليا وكان من الضيعى ان يرفض أورستيس طلبهم ووجد الجند الثائرون نصرا لهم في القائد أودواكر (٧٤) . فعزل رومولوس وأرسل الى كامبانيا وأعلن الجند أودواكر ملكا ولم يحارب أودواكر تكوين مملكة مستقلة بل سعى لأن يكون نائباً للإمبراطور في إطار الامبراطورية الموحدة .

وكان زينون قد استعاد في تلك الأثناء عرشه الذي اغتصب منه وأرسل أودواكر سفارة الى القسطنطينية من ممثلى سناتوروما تطلب ان يمنح أودواكر لقب شريف وينوب عن الامبراطور في حكم الغرب اذ لا حاجة لوجود اثنين من الابطارة وعلى نفس الوقت وصلت سفارة من نيبوس تطلب معاونته ضد أودواكر وامداداً بالمال . وأغد وبخ الامبراطور أعضاء السداتو الذين تقدموا بطلب أودواكر وذكرهم بعدم استجابتهم للأوامر الامبراطورية السابقة وذكرهم بما حدث للإمبراطورين انسابقين الذين عينتهما بيزنطة حيث فس احدهما وعزل الآخر (٧٥) .

Marcellinus . Chron. trans. Baynes.

(١٧٩)

(١٧٥) جيون : احلال الامبراطورية الرومانية د ١ ص ٢١٢ .

Bury : op. Cit p 423

Brooks : op. Cit. p 217

ومع ذلك فقد منح أودواكر لقب *Magister Militum* ورفض
مديد العون لنيبوس ويرجع هذا لقربة نيبوس لفرنا . واستمر
أودواكر يحكم إيطاليا كنائب عن الامبراطور من ٤٧٦ - ٤٩٠ م .

ولقد اتخذت أغلب المراجع عام ٤٧٦ م الذي استولى فيه أودواكر
على حكم إيطاليا كعام تؤرخ به سقوط الامبراطورية الغربية .
فالامبراطورية البيزنطية تعتبر من الوجهة العملية قد فقدت
الشرق نهائيا ، غبعد أودواكر سيكون القوط الشرقيون مملكة
تستمر لفتوح جستنيان وان كان بيوري يعارض هذا الرأي فيذكر انه
لا وجود لامبراطورية غربية أصلا حتى نستطيع القول بانها سقطت
فى هذا العام انما هى امبراطورية رومانية أحيانا يحكمها اغسطس
وأحيانا اثنان ويضيف انه اذا اعتمدنا على أن ثيودسيوس الأول قد
أقام امبراطورا للجزء الغربى فانه يرى اتخاذ عام ٤٨٠ م وهو الذى
توفى فيه نيبوس - كدلاله على نهاية حكم الاباطرة الرومان الشرقيين
فهو لا يعترف برومulus اغسطس ابن اورستيس كحاكم شرعى بل
يرى فيه معتسبا لايزيد وضعه عن ركيماز (٧٦) .

فى الوقت الذى كانت تجرى فيه هذه الأحداث واجه الامبراطور
مشكلة القوط ، حيث بدأوا توسعهم من البلقان الى ايطاليا وكان
سبب تجدد الصراع اثنين من القادة القوط هما ثيودريك امالى وثيودريك
سترابو والأول كان ابنا لثيودمير ابن أحد ثلاث قادة للقوط وهم
وليم ثيودمير وويدمر . وكان مارتريان قد سمح لهم بالاستقرار
فى شمال باونينا كعاهدين ولكنهم ناروا على الامبراطورية لرفض
ليو دفع الجزية السابق الاتفاق عليها فاجتاحوا اليريا واستولوا على

دراخيوم واضطر الامبراطور لمساقتهم ولكنه اخذ ابن ثيودمير كرهينة
في جلاطه واختير ثيودريك كخليفة لابييه بعد وفاته وبدأ عهده بالتوسع
على حساب الامبراطورية فتقدم من بانونيا الى موثيا السفلى التي
كان يقطنها القوط الغربيون من قبل .

اما الاخر وهو ثيودريك سترابو فانه كان احد نواد اسبار
البرابرة واسمه الحقيقي ثيودريك *Thiudis* وكانت تربطه صلة
مصاهرة باسرة ثيودومير وبعد موت اسبار اجتمعت حوله الفرق
الجرمانية في الجيش الرومانى وفادت به ماكا وارسل يثالب بمنصب
قائد جيش *in praesenti* وميراث اسبار على ان يمنح جنوده
تراقيا فلم يستجب الامبراطور لمطالبه ولكن جعله قائدا للجيش غرد
على ذاك بمهاجمة مدينة ثليوبوليس . واضطر الامبراطور لمفحه جزية
سنوية واللقب الذي كان يبعيه .

وعند وفاة ليو تولى زينون العرش وما صاحب ذلك من صراعات
واتخذ جانب باسليكوس المنتصب في حين اخذ ثيودريك امالي جانب
زينون ولما غاد زينون لعرشته جرد سترابو من منصبه العسكري
ومنحه لثيودريك امالي الذي حصل على لقب شريف *Patrician*
ومنحه الاراضى التي سبق له الاستيلاء عليها في موثيا السفلى الى
جانب منح مائة واعلن تبعية له . وكان هدف الامبراطور من ذلك
ضرب العناصر القوطية بعضها بعضا واستغلالها لتدعيم سلطته
والتخلص من اليوس لزيادة نفوذه واستعان في البداية بامالي ولكن
ما لبث ان انقلب ضده فاستعان بسترابو واستمر زينون يدعم احيانا
فريق سترابو واحيانا امالي وفي ٤٧٩ نجحت القوات الامبراطورية
في طرد امالي من تراقيا وان ظلت مقدونيا تحت رحمته ومهاجم
سترابو سالونيكاه وهرقليا واحتل دراخيوم وحاول حصار القسطنطينية
ولكنه هزم ثم اجتاحت تراقيا وطلب الامبراطور مساعدة البلغار ضد .

ولكنه حاول سترابو العبور الى بيثينا (٧٧) . ثم عاد الى بلاده حيث
توفي ٤٨١ م اما ثيودريك اعمى فقد اجتاح مقدونيا وتساليا
ولاريسا سنة ٤٨٢ م وأرسل زينون ضده قوة لم تحقق نجاحا
ونتيجة لذلك استنجد زينون بـثيودريك الى القسطنطينية ومنحه
لقب *patricius* ثم عينه قنصل على اراضي في داكيا ومواشيا السفلى
في ٤٨٢ م وقد انشغل ثيودريك خلال عام ٤٨٤ م بالغزو البلغاري
من اقدرة (٨٨) . ولقد استطاع اعادة الوحدة للجيش وتحقيق انتصارات
وفي ٤٨٦ م عاد لاحتياج تراقيا من جديد (٧٨) .

ومع ذلك فائتاء الصراع بين الامبراطور زينون واليوس اغان
ثيودريك الامبراطور في حين اعار اودواكر المقتصب اليوس ولقد
اثار الامبراطور ضد اودواكر قسائك الريجوينز *Rugians*
ولكن استطاع اودواكر هزيمتهم . ولقد فكر الامبراطور في وسيلة
لتأديب اودواكر وفي نفس الوقت تخاضع من ثيودريك فمقد اتفاقية
في ٤٨٧ م مع ثيودريك آمانى نصت على اتجاهه الى ايطاليا لانتراعها
من يد ثيودريك (٧٩) . ونص الاتفاق على أن يحل مدله لحين قدوم
زينون بنفسه ولقد استغرق الصراع بين اودواكر وثيودريك من
٤٨٩ الى ٤٩٢ م حتى دانت ايطاليا للقوط وبذلك تخلص زينون من
القوط فلقد فضل أن يذهبوا الى ايطاليا على أن يهددوا عاصمته
أو أن يجاوروه في البلقان وبذلك تخاضع الشرق منهم على حساب
الحرب (٨٠) .

ورغم عدالة ثيودريك بالنسبة لحكام الغرب من البرابرة الذين
سبقوه وعدم استعماله العنف تجاه مخالفيه حتى أن رجال الدين

Ostrogorsky : op. Cit. p 58.

(١٠)

Bury : op. Cit. p 421.

Marcellinus chron. Sub. p. 485.

(٧٨)

Ostrogorsky : op. cit p 50.

(٧٩)

Camb. Med. Hist Vol I 43.

(٨٠)

الكاثوليك اعترفوا بما لا قوة من حفاوة وتكريم ولم يحدث في عهده الضيوك ان كاثوليكيا ايطاليا واحدا تحول الى مذهب الفاتح طواعية او كرها ، ومنح الحصانات العادلة للكنيسة وممتلكاتها ، وكان الاساقفة يعقدون مجالسهم الكنسية ورؤساء الاساقفة يمارسون سلطتهم القضائية . واستمتع الشعب والسفانو في عهده بكثير من الزايا فاجتذب نبلاء روما بما اغذقه عليهم من صفات رنانه ومناصب رسمية ، كذلك التي كان يتمتع بها اجدادهم . واستمتع الشعب بالرخاء والنظام وازدهرت التجارة . وذكر ثيودريك انه يحكم بمقتضى القانون وينوخي العدالة في اعماله . ولكن كل هذا لم يجدى نفعا لأريوسيته ولقد أدى تعصب رعاياه الى دفعه في نهاية الأمر للاخذ بسياسة الاضطهاد (٨٢) .

المشكلة الدينية وصيغة الوفاق :

ظلت المشكلة الدينية من أهم الموضوعات التي تؤرق الامبراطور زينون ولقد أثار قرار مجمع خلقدونية كثير من المشاكل وخاصة في ولايات الامبراطورية الشرقية .

وقامت ثورات مصحوبة بالعنف قادها المونوفزيتين في مصر وخاصة بعد وفاه مارقيان وأعلنوا Timothy Alurus بطريركا في حين قتل البطريرك بروتريوس ومثأت بجثته . وأرسلوا الى ليو يدعونه لعقد مجمع جديد . ولما سأل ليو اساقفة روما والقسطنطينية وأورشليم عن رأيهم رفضوا هذا المطلب وادانوا تيموثي وشيعته ولقد نشبت في انطاكية اضطرابات مشابهة اثناء الصراع بين زينون وباسيليوس (٨٢) وأعلن باسيليوس تأييده

(٨٢) جيون امحلال الامبراطورية الرومانية ج٢ ص : ٣٦٥

Gregoire : The Byzantine Church. p. 100 - 102.

Gregoire. H. The Byzantine church p 102.

(٨٢٩)

Brooks : op. cit p 584.

للمنوفزتين ومعارضته لجمع خلقدونية وقرارات ليو مما أثار عليه غضب الشعب والرهبان في القسطنطينية فاضطر للتراجع في قراره . وأدى هذا لاستعمال الثورة ضد سواء من جانب الخطب أو المجموعة الارثوذكسية . ولما استعاد زينون عرشه حول التوفيق بين المنوفزية ومذهب الدولة باتفاق مع بطريرك القسطنطينية Acacius ومستشاره Peter Mongus المنوفزتي فأعلن زينون مرسوم التسميح الشهير الذي عرف باسم Henotikon في خطاب موجه لكنيسة مصر ٤٨٢ . ولقد اعترف بالجامع الثلاثة السابقة وان كان قد تجنب ذكر طبيعة واحدة أو طبيعتين وذكر أن كل من نسطوريوس واوتيوخوس على حق وفي نفس الوقت الذي أكد على صحة نظرية نيقية والقسطنطينية وحرّم كل من يعتنق نظرية أخرى خلقدونية أو غيرها . وفي البداية رحب المنوفزيت بالقرار ولكن ما لبثوا أن رفضوه . كما رفضه من البداية أهل القسطنطينية وعارضه البابا سيمبليوكس وحرّم البطريرك أكايوس وبطريرك الاسكندرية ورد هذا بإزالة اسم البابا من الصلاة .

ولكن من أهم القرارات التي أكدتها صيغة الوفاق حق الامبراطور في تقرير العقيدة .

أنستاسيوس :

أحد الشخصيات القديرة التي تولت العرش البيزنطي فكان من أكثر حكام بيزنطة كفاءه في إدارة أمور الدولة . ومع ذلك فلم يلقي حكمه شعبه بالنسبة لأهل القسطنطينية لعدم ميله الى الارثوذكسية وتأييده للنحل الشرقية كالمونوفزية وربما مرجع هذا لامله الارويسية (٨٤) . وبدأ عهده بالاجراء المعتاد عند تولية أغلب الاباطره وهو الاعفاء من

Gregoire : op. cit P 100 - 103.

Finally : History of Greece Vol I p 180.

عريض زكرياس ميتوكس انه منوفزتي .

عدد من الضرائب استجلابا لرضى الشعب ، ولكنه سعى لايجاد
 اصلاحات جذرية فى نظام الضرائب وجمعها فجعل مسئولية جمع
 الضرائب تحت اشراف برييتوريين يطلق عليهم Vivdius ورفع عن
 الصناع والقطاع العامل من الشعب ضريبة انحراف ، فأدى هذا
 لتوزيع الأعباء وانتعاش التجارة والصناعة ولكن اضار لوضع أعباء
 اضافية على الزراعة فبدأ بفرض دفع ضريبة Annaia ذهبيا ثم
 أمر بالبيع الاضطرارى للسلع الحيوية بثمن منخفض فاضطر القطاع
 الزراعى لتحمل نتائج الانتعاش فى التجارة والصناعة ولقد ترك عند
 وفاته ٢٢٠ ألف قطعة ذهبية . ومع ذلك فقد ذكر عهده بعدد من
 المشاكل والثورات ورغم الموافقة العامة التى حصل عليها من جميع
 الطوائف عند توليه العرش فان الايسوريين كان من الطبيعي
 الا يسلّموا ببساطة بفقدان نفوذهم فنثاروا ضدهم مستغلين غضب
 الناس على والى المدينة جوليان اذى جرت محاولة لاعتقاله فى
 اليبديروم (٨٥) فأمر الامبراطور جنوده بالقضاء على رؤوس الفتنة
 ولاخضادها عزل جوليان وطرد الايسوريين ونفى اخو زينون
 Longinus وصادر قصور الامبراطور السابق وتجمع الايسوريين
 تحت قيادة لونجنويوس ، انثيودورس Anthenoderus, Linginines
 ولكنهم هزموا فى ٤٩٢ م فى جاتيوم فى فريجيا وعادوا الى
 مواطنهم فى جبال ايزوريا وقطعت رؤوس مثيرى الفتنة ولكنهم عادوا
 للثورة ثانية فقرر اجلّهم وتوطئتهم فى تراقيا ولقد عانى الشعب
 الايسورى من تلك المحنة كثيرا وتناقصت أعداده رغم انهم ما زالوا
 يعتبرون موردا بشريا هاما للجيش لكن سيطرتهم السياسية قد
 انتهت وتعلم الاباطرة من هذا درسا هاما وهو الاعتماد على القوات
 المحلية وعدم الاستعانة بالمتهربين ولم تكن تلك المشاكل الداخلى

John [?] XVI. p 392 John Lydus . I 47.

Brooks - op. cit p 235.

كل ما واجهه فقد واجهته مشاكل أخرى خارجية تتمثل في
مجموع Blemunyes على مصر و Mazices على ليبيا والقراني في
بوزنيس والعرب في الفرات (٨٦) وفي ٤١٥ م هاجم قبدوغيا Saberoi
ولكن أخطر الأعداء كانوا البلغار .

السياسة الخارجية

بيزنطة والقبائل العربية :

في ٤٩٨ م اجتاح النعمان بن المنذر ملك الحيرة حليف فارس
الولايات الشرقية : وكن لقي هزيمة في الفرات على يد القائد
ايجينوس حاكم مطبية في نفس الوقت الذي ثارت فيه قبائل
الاغالبة والفسانة التابعة للرومان بقيادة حجر بن جبلة وهزمهم
رومانوس حاكم فلسطين وأجبرهم على دفع جزية . وفي ٥٠٢ م
قام حجر بهجوم جديد وأعانه على ذلك انشغال بيزنطة
بأمر الحرب الفارسية ولكن عقد سلام مع قائد الاغالبة
الحارث ٥٠٣ م .

الحرب الفارسية :

تولى قباد عرس فارس ٤٨٨ م وبدأ عهده بمطالبة بيزنطة
بمده بمساعدات حربية ومالية للدفاع عن أبواب القوقاز وفقا للاتفاقيات
السابقة . ورفض الامبراطور الاستجابة لطالبه . ولكن قيام ثورة
في أرمينيا منعه من اتخاذ أي إجراء ضد بيزنطة ومع ذلك استغل
انشغال الامبراطور بمشكلة الايسوريين لمعاودة مطالبه ، وعزل قباد
في ٤٩٦ م ولكنه استطاع استعادة عرشه بمساعدة الافثاليين في
مقابل وعود مالية ، فطلب المساعدة من انستاسيوس الذي وعد

Marcellinus : Ssba p 488.

Procopius : op. cit p 13.

بمساعده على شرط أن يكون غى شكر قرض لا هبة أى أن عليه سدادها ، فرفض قباز وهاجم رمينيا بيزنطية غى ٥٠٢ م واستولى على ثيودبوليس (٨٧) . ودخل كونت أرمينيا غى خدمة انفرس ولم تكن لبيزنطة حامية قوية الا غى منطقة قسطنطينيا وأرسل الامبراطور سفارة لقباز تعرض السلم و جلاء عن أراضيها مقابل غدية مالية ، ولكن قباز رفض وقبض على الرسل . وتقدم الفرس الى ملطية ثم اميديا فى ٥٠٣ م وأرسل انستاسيوس عددا من الفرق الامبراطورية لم تحقق فى البداية نجاحا . وكان قباز قد فشل فى الاستيلاء على قسطنطينيا والرها فقرر الامبراطور ارسال رئيس بلاطة Ceter الذى كان يتمتع بالمقدرة والشخصية القوية المحببة من القادة (٨٨) . ولقد استطاع اعادة الوحدة للجيش وتحقيق انتصارات عديدة واعادة ارمينيا لبيزنطة وأرسل قباز قائده spabpa ليعرض السلام على سيلرز وفى البداية رفض القائد البيزنطى ولكن عاد وقبل بعد فشله فى الاستيلاء على اميديا وانتبت المفاوضات بالاتفاق على التخلص من بعض القادة العرب فى كلا الطرفين ، ومنح انستاسيوس اعفاءات المدن التى قاست من الحصار . ولكن عكر صفو السلم قيام انستاسيوس ببناء قلاع دفاعية فى دارا ووفقا لمعاهدة ٤٢٢ م فانه كان عليه امتشاة الفرس أولا . ولكن انشغال قباز بحروب مع الجون لم يتح له فرصة اتخاذ خطوه ايجابية وانتهى الأمر بعقد صلح لمدة سبع سنوات وافقت فيه بيزنطة على دفع تعويض بخصوص نقض العهد بالنسبة لدارا .

البلقان :

عانت الامبراطورية كثيرا فى تراقيا نتيجة لمغادرة القوط المنطقة

Marcellinus : Suba p 500.

(٨٧)

Bury : op. cit p 30.

Camb. Med. Hist. Vol I p 481.

(٨٨)

اذ خلّت من قوة دفاعية فعلة . وقد تعرضت المنطقة لخطر جديد
 متمثل في البلغار وهم قدامى ترجع الى نصر ترقى وعند الترقى
 ينسب الى Unogundurs وقد هزموا جيشا يفوده القائد
 جوليان ٤٩٣ م وأبادوا ثلاث أرباع جيش جري ولتأمين العاصمة
 أمام غزوهم أقام الامبراطور سور من Procopius في القسطنطينية
 الأسود يمتد أربعين ميلا قرب القسطنطينية ولقد استمر الاضطراب
 القائم لاجتياح مقدونيا .
 أنستاسيوس وثيودريك :

أما بالنسبة لعلاقة أنستاسيوس بالامبراطورية الغربية فقد
 حرص ثيودريك على عدم اشارة أى مشاكل تتعلق بوضعه مع
 الامبراطور الجديد فهو حاكم مستقل ، ولكن هناك عدد من الحدود
 التي وضعت لتأكيد سلطة الامبراطورية الغربية فليس من حقه اصدار
 قوانين انما مراسيم فقد Edicts وعدم اصدار عمله الا بعد
 استشارة الامبراطور الترقى وعقد في بداية عام ٤٩٧ م اتفاق مع
 نيودريك نصت شروطه على وضع ممكة انقوطة في ايطاليا (٨٩)
 ولكن نشب الخلاف مع بيزنطة بسبب مشكلة قبائل
 الجيبيد التي هاجمت أراضي الامبراطورية في سيميوم .
 مما أدى الى اشتباك ثيودريك مع قوات الامبراطورية ٥٠٤ م .
 الى جانب أن غرع من النهر يسمى النهر هاجموا البلقان وطلبوا
 المعاونة من أحد قادة القوط : وأرسل الامبراطور قواته التي هزمت
 الماندو وأمر القوط بالاجلاء عن سيميوم وانتزام حدودهم ، ولقد
 طلب أنستاسيوس باستعادة الثروات التي أخذها أودواكر من
 زيبون ، ولكن عاد الوثام لانشغال نيودريك بخلافه مع الفرنج بعد
 حصول ملكهم كلوفيس على لقب قنصل (٩٠) .

Procopius. B. G. III, 2.

(٨٩)

Bury : op. cit p 430.

Ostrogorsky : op. cit p 62.

(٩٠)

Cam . Med. Hist. Vol I p 85.

المسكلة الدينية :

عندما تولى العرش انتزع معتدة الارثوذكسية كما وردت في مرسوم الوفاق الذي أصدره ريجون ولكنه كان من أشد المتحمسين للمنوفتية وعلى يوقفة تأييد من قبل مصر ومن السوريين ونقد جنب عليه عذا غضب أهل القسطنطينية . ولقد نارت فتنة في ٤٩٢ م كادت تكلف الامبراطور ثروته . وسبب الفتنة ان بطريك Euphenius القسطنطينية الذي كان قد عارض تولى المشيخ العرش . قد أرسل الى أنثي روما فيليكس وهو من طائفة المنوفية . كان يعد لضمه . في سنة ٤٩٣ م . وحدثت بينه وبين ريجون من غير أن يجرى بينه وبين ريجون . وعند أنستاسيوس مجمعا أيد صيغ يونان وغرب يغيوس ٤٩٦ م . وفي هذا الى نشوب سغب انتشرت فيه غزو السرك من حرق وحصر وحسب ان الضم كانوا من مؤيدي المنوفية ، في حين كان النرو من انصار الارثوذكسية ولقد ضارب الزرق بعودة البطريك ولكن الامبراطور لم يسحب وعزل مقدونيوس (٩١) .

وفي سنة ٥٠٠ م . سبب قبض ألوانى على بعض افراد من حزب المنوفية . في سنة ٥٠١ م . في الامبراطور ولم يعرف مصدره وحرق جزء من سور السرك وحطمت تماثيل الامبراطور . واضطر الامبراطور لتعيين وى جديد هو بلاس .

ثم حدثت فتنة جديدة ٥٠١ م بسبب عيد زيني يسمى Bzyae كان تتضمن تعانته الرقص فحدث شغب بين الطرفين .

Marcellinus : Suba 505.

H. Gregoire : Le peuple de Constantinople 112.

(٩١)

والخضر انتهى بالغناء الاحتفال (٩٢) وفى عام ٥١١ م لقي
 انبطريك مقدونيوس مصير سابقه فقد اتهمه المنوفزيت بالتآمر ضد
 الامبراطور وخاصة بعد ان اخذ الامبراطور خطوات أبعد فى
 الاتجاه نحو المنوفزية وعزل بقرار صدر من مجمع فى
 أغسطس ٥١١ م : وقد أدى زيادة اهتمامه بالمنوفزيين إلى إثارة
 العاصمة عليه وخاصة بعد وصول راهب منوفزى هو سغريوس
 سوزبوليس وصل إلى قسطنطينية مع مئتان من أتباعه - واناروا
 الشعور بترافيميم فى حجة أيا صوغيا غاشيتك معهم رجال الدين
 الأرثوذكس ورغم ذلك وفى حينه قضاء على ما أثاروه من
 القلاقل - فقد تمت غتته تمديد يوم السبت رابع من نوفمبر ٥١٢ م
 فقتل الأمالى الرهبان المنوفزيت وأعلنوا بمرأور مناء هو
 Areobindus وزوجته أصلا من بيت تيودسيوس وحرقت الجماهير
 منازل عدد من القادة وهاجمت القائد سبر بحجارة وذبح مبرصور
 إلى السرك استجابة لحثب الشعب الذى طالب بعزل موظفيه وولائه
 وأمام الخسار السعى وعند الامبرصور بعزهم - وقد رجع
 الأمر إلى الخسار توفيق الذى لم يجد استجابته من الفريقين
 وخالف بين برنح سم الكاكيوس من حثبه فى نفس الوقت الذى
 ثارت فيه مشكلة فى أنطاكية بسبب عزل بطريك أنطاكية غلافيان
 وانتخاب سغريوس أحد زعماء المنوفزية - وبعد اجتماع فى
 سير ٥١٢ م إلى غرارات خلفونية وأكد قرار التوفيق
 بعد تجوز فى حجة منوفزيت وأخذ أمر الامبراطور وإلى فينيقية
 بعدم استخدام وسائل العنف ولكن تمت خسة المنوفزيت فلبقت
 سياسة "الأرعب التى وصلت لدرجة المذابح مما أفضى لثورة جديدة
 كانت فى تراقيا تلك المرة .

Vasiliev : op. cit. p 114.

Gregoire : op. cit p 101.

ففي ٥١٣ قامت ثورة جديدة بسبب سياسة الدينية ووصفت
نسبته إلى الحضيض وكان من الطبيعي أن يستغل أحد القادة
الضاميين الوضع وخاصة لسياسة الامبراطور تجاه البغار فقاد
Vitalian قائد البند في تراقيا ثورة وادعى أنه بطل الأرثوذكسية
وتصيرها وتقدم الجيش والإسطول الأسوار القسطنطينية ولم يكن
لدى الامبراطور جيشا كافيا لمواجهة واضطر الامبراطور للتراجع
عن سياسته ايمونيكية التي اثبتت فشلها ومع ذلك فقد تمكن
الامبراطور من هزيمته ٥١٤ ولقد توغلت الامبراطورة في هذا العمل
ولحق بها الامبراطور ونحو في الشبانين في يوليو ٥١٨ م ولم يكن
له اولاد ولم يمين خلفا له (٩٢) .

الملاحق

- (١) مرسوم ميلان • ايوربيوس أسقف قيصرية •
- (٢) حياة القديس انتوني • بقلم اثنايسيوس •
- (٣) احتجاج ضد الاريسيين • بقلم اثنايسيوس •
- (٤) مرسوم ثيوديسيوس وفانتيان الى فلورنتيوس والى الشرق •
- (٥) اسماء بطريركة بيزنطة •

المراسيم الامبراطورية القسطنطينية وليسينيوس

بناء على حرصنا العظيم - ضبة أن لا يحرر أحد من حرية العبادة وأن لكل فرد - تبعاً لشكره وعمله - السلطة المعطاة له لأن يمارس ويرعى الأمور المقدسة بالطريقة التي تلائمه أكثر - فقد كنا قد أصدرنا الأوامر بأنه للمسيحيين (ولجميع الآخرين) الحرية في أن يحافظوا على عقيدته مذهبهم الخاصه وديانتهم • ولكن بالقدر الذي يبدو أن كثيراً من الحالات المختلفة قد اضيغت الى ذلك المرسوم الامبراطوري (١) والتي منحت فيها مثل هذه الحقوق الى نفس الناس الا أنه يبدو بالصدفة ان بعضهم قد حرم من هذه العناية بعد ذلك بفترة قصيرة •

وعند ما جئنا ، أنا قسطنطين أغسطس وأنا ليسينيوس أغسطس في ظروف سعيدة الى ميلان ، وناقشنا كل الأمور التي تتعلق بمصالح الشعب وخيرد ، ضمن الأمور الأخرى التي تبدى فيها الخير للكثيرين ، فقد عزمنا على أن تصدر مثل هذه المراسيم التي تؤكد الاحترام والتقدير للرب ، وذلك بمنح المسيحيين وللجميع حرية الاختيار في اتباع أي طريقة للعبادة يحبونها وذلك بقصد أن تكون كل القوى الربانية راضيه علينا وعلى كل أولئك الذين يعيشون تحت سلطتنا •

١ — Rescript أو مرسوم تعني طبقاً لما جاء في قاموس إكسبورج
اجابة مكتوبة من الامبراطور الروماني على التماس الاسترشاد وخاصة
من القضاء حول نقطة قانونية ، رسالة مكتوبة من البليط كاجابة على
سؤال ، أي قرار بابوي • مرسوم أو اعلان من الحاكم أو الحكومة •
Eusebius : The Ecclesiastical History, Vol I p 315 , 316.

وعلى ذلك ، وبفعل سليم ومستقيم قد قررنا الا يحرم أحد من حق أن يتبع وأن يختار طريقه أو شكل العبادة التي يمارسها المسيحيون. وأن تمنح الحرية لكل فرد حتى يكرس فكره وقلبه لهذا الشكل من العبادة التي يراها مناسبة لنفسه وذلك بقصد أن يمنحنا الرب . . . رعايته المنشودة وكرمه في كل الأمور . وكان من المناسب أن نرسل مرسومنا بأن هذه هي رغبتنا وذلك حتى إذا الغيت كل تلك الحالات التي تضمنتها خطبات السابقة الى قداستكم والمتعلقة بالمسيحيين فإن تلك الأشياء أيضا التي تبدو ضالة كلية بخارجة على عطفنا تزال وحتى يكون ذلك على كل واحد من أولئك الذين كانوا ندبهم نفس يحدث - في مرة شكل المسيحيين في العبادة ، وأن يحافظ على هذا الأمر دونه بحرية وببساطة وبدون أي عقبة . أي الأمور التي عزيت على صهره في اكمل صورة لرعاية قداستكم بقصد أن استغفروا بغيره . ثم قد منحنا هؤلاء المسيحيين انفسهم سلطة حرة وغير مقيدة مرعاة في طريقة يرغبونها . هذه السلطة لأن يختار ويحافظ على أي طريقه يجبها وقد فعلنا ذلك بقصد الا يبدوا اننا قد تراجعنا بأي صورة عن أي شريعته أو شكل للعبادات .

ومع ذلك ، غلبا بنعم خاصة بالمسيحيين ، فنحن نقرر : ان ايمانهم . حيث كنت رغبتهم للاجتماع ، التي بشأننا تضمن خطابنا السابق الصادر لقداسكم مرسوما محمداً كان تدويع ، اذ ظهر ان ايا منها قد ابتاعها أحد سواء من خزانتنا أو من أي مصدر آخر فلابد من ارجاعها الى هؤلاء المسيحيين أنفسهم بدون دفع أي شيء ، او طالب للتعويض واضعين جانباً كل اهمال او شك ، واذا تصادف ان اخذت هذه الأماكن عن طريق الهبة فلابد من ارجاعها بكل سرعة الى هؤلاء الذين حصلوا عليها عن طريق الهبة التماس كرمنا فدعهم يتصلون برئيس الحى بقصد أنه من خلال عطفنا ينظر اليهم أيضا .

ومعه الامور كلها ريث من تسليما الى تسليما طريق
الرعاية النيورة بكل سرعه وبلا تأخير .

وليس فقط أن هؤلاء المسيحيين أنفسهم كانوا يمكنون تلك
الأماكن التي رغبوا في الاجتماع فيها بل أيضا معلوم أنهم كانوا
يمكنون أماكن أخرى ، لا تخص أفراد منهم وإنما تخص الملكية
الشرعية لمؤسساتهم ، أي المسيحيين .

فبناء على نصوص القانون المذكور آنفا . عليك أن تعطى
الأوامر بإعادة كل تلك الأماكن بدون أن سؤال أيا كان الى هؤلاء
المسيحيين أنفسهم . بمعنى الى مؤسساتهم وجماعاتهم بالإضافة
الى من ذكر من قبل . الى أن هؤلاء الناس الذين يستردون تلك الأماكن
بدون أى تعويض كما ذكرنا عليه . يمكن أن يتظنوا الى تعويض ،
بالقدر الذى يتعلق بهم من كرمنا .

وفى هذه الأمور ينبغي أن تستعمل كل المصاحبات فى سلطتك
من أجل مؤسسة المسيحيين التى سبق ذكرها ، أيضا ومن خلال
كرمنا أن ينظر الى سلام العامة والشعب . حيث أنه بهذه الطريقة ،
كما ذكرنا أيضا من قبل ، فإن الرعاية الالهية لنا ، انتى خبرناها
فى كثير من الأمور . ستبقى وطيدة ودائمة ، وكذلك من أجل اعلام
الجميع بالشكل الذى جاء فى مرسومنا هذا ، ومن المناسب ان
تعطى أوامرك بأن يعلن كل ما كتبناه وان ينشر فى كل مكان وان
يصل الى عام الجميع وذلك بقصد ان هذا الأمر الذى يجسد عطفنا
لا يجهله أحد .

حياة القديس أنتوني

بقلم اثناسيوس ، أسقف الاسكندرية (١)

والآن ، كان أنتوني المبارك مصرية من حيث الجنس وكان سليلا لأسرة نبيلة ، وكان في الحقيقة يملك عبيدا . كان أجداده مؤمنين وقد تربى منذ طفولته المبكرة على خشية الله . وعندما كان طفلا برى بين أهله لم يكن يعرف شيئا عن أبيه وكان عقله متواضعا حتى أنه لم يرهق والديه بعماية اثاره الأسئلة كان متواضعا للغاية وكان أسبلا حدود . لم يكن قادرا على القراءة أو الكتابة وذلك لأنه لم يستطع أن يتحمل سلوك الأطفال الخشن (في المدرسة) .

وعندما توفي أبواه كان عمره حوالي ثمنى عشره أو عشرين عاما ، وحدث أنه كان عليه أن يكون سيد البيت وأخته . وحدث ذات يوم عندما كان في الكنيسة أن دخلت فكرة صالحة الى عقله وبدأ يتأمل في داخل نفسه كيف تجاهل (نسي) رسلنا المباركون كل شيء وتبعوا « مضمعا » ، وكيف أن الآخرين الذين خلفوهم وساروا على خطاهم وباعوا كل شيء ، كانوا يمتلكونه ووضعوا الأموال عند أقدام الأنبياء بغية أن تصرف على الفقراء . وبينما هو يتأمل في هذه الأمور كان الدرس يقرأ وسمع « سيدنا » الذي قال للنبي « اذا كنت تود أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء تملكه وأعط الفقير ، وخذ صليبك واتبعني ، وهناك سيكون لك كنز في السماء » .

.Palladius; Hieronymas : The Book of paradise : trans by-
E. A. W. Budge Vol I p 81 - 12.

وفى أول يوم للأسبوع آخر دخل الكنيسة فى وقت قراءة الكتاب المقدس واستمع الى كلمة « سيدنا » لحوارييه « لا تلق بالا الى الغد » .

وفى الحال استقبل الأمر بتقبل ، وخرج وفوق مابقى له عند أخيه بين الفقراء . ولم يأخذ القديس أنتونى نفسه الى الجبل على مسافة بعيدة من القرية وانما على مسافة كافية هناك حتى يكون على قدر من البعد عن سكنى الرجال . وفى ذلك الوقت وفى قرية أخرى على حدودهم كان يوجد رجل عجوز هالاح الذى عاش منذ شبابه حياة العزلة والزهد ، وقد رأى القديس أنتونى هذا الرجل وكان حاسدا لأفعاله الخيرة . فأولا قد بدأ هو أيضا الحياة فى جانب القرية ، فى أماكن خالية من أقدام الرجال ، وبينما كان يعيش فى هذا المقام كان عقله يمتصده الشك حول الأعمال الخيرة لحياة الزهد ، ولم يعط سكنية لروحه حيث أنه كان فى تأمل دائم حول الحقيقة .

وكان يسأل أسئلة فربما يتعلم شيئا عن أى من الرجال الصالحين الذين كانوا فى ذلك المكان ، فقد اعتاد فى عنفوان حبه أن يتقدم بكل جهد باحثا عنه (أى الرجل العجوز الذى سبق ذكره) ولم يعد فى البداية فى مكانه الخاص به بدون استقبال شخص رجل الله أولا . وبهذه الطريقة فقد أخذ هو نفسه من رؤية كل واحد من الرجال الاتقياء مؤونة من أجل الطريق الرائع وعلى هذا كانت طريقة حياته فى بداية زهده . وقد درب أفكاره جيدا فى بداية حياته على الصواب والتقوى حتى لايشعر بأى طريقة بالقلق على أسرته ، أو أن يكون مقيدا بحب الأهل ، أو أن يكون موثوقا بأمور هذه الدنيا المؤقتة ، من كل ذلك حرر نفسه حتى يكون قربانا طامرا الى الرب ، الآن لقد تعود أن يكدر يديه حيث أنه

سمع الكلمات « اذا لم يعمل الرجل فانه سوف لا يأكل » . ومن
 القليل جدا من نتاج العمل بيديه كان يزود نفسه بالطعام ويصرف
 الباقي على الفقراء . وكان يصلى دوما حيث انه قد سمع
 الكلمات « صل ولا تجعلها مرهقه لك » . وكان شغوف بالاستماع
 الى قراءة الكتاب المقدس بطريقة لاتضيع كلمة عبادة .
 ومنذ ذلك الوقت تذكر دائما الوصايا التي سمعها واصبحت بداخله
 تمانا مثل الكتاب المقدس .

ولما كان القديس أنطوني مغرنا للجهنم والتملة واسلوك
 الرعد . واستعمل الصبور والصب والقدى التى هى أم لهذه
 جميع . وكان بالنسبة للوعيان الصغار لم يكن حاسدا ما عدا في
 أمر واحد فقط . حتى لم يكن يخطئ في شكر الرب على نعمه في
 الأعمال الخيرة . وقد كان يلازم بصره مع أجسام حسنين له
 فقط وانما كانوا يبهتون به ويخدمون سلام النكر من أجبه . وقد
 اعتادوا أن يقبوه « شريوس » التى تعنى « محبوب الله » وقد
 اعطاه كل الزنايا هذا الاسم . وقد أجبه بعضهم كاخ وأجبه
 البعض الآخر كأبن .

— احتجاج ضد الأريوسيين —

(حوالي سنة ٣٥٠)

١ — أن شعب الكنيسة الكاثوليكية بالاسكندرية ، وهو تحت حكم قداسة الاسقف اثناسيوس ، يعمل عدا الاحتجاج باسم أولئك المذكور اسماءوهم بعد .

لقد احتجاجنا من قبل ضد الاعتداء الغادر الذي وقع على أنفسنا وعلى بيت الله ، رغم انه في الحقيقة لم تكن هناك حاجة الى احتجاج فيما يتعلق بالاجراءات التي أعلنت للمدينة كلها فعلا . حيث أن جيش المذبحين التي تم اكتشافها قد عرضت على الملأ ، كما ان القس والسام والأسلحة الأخرى التي وجدت في بيت الله تعلن بصوت عال عن الظلم الفادح .

٢ — ولكن بينما قد أعلن احتجاجنا فعلا فان الدوق سيريانوس الموقر يحاول جامدا الآن أن يرغم كل الرجال على الموافقة معه كما لو أن شغباً وحدثاً كبيراً لم يحدث أو أن أحدا لم يهلك .

وبينما أيضا ، عندما ذهبنا اليه ورجونا ان يقوم بأى عنف ضد أى واحد وألا ينكر ما نقد أمر بأن نضرب ، بصفتنا مسيحيين بالبروات معطيا بذلك مرة أخرى البرهان على الاعتداء الفادح الذي وجه ضد الكنيسة .

ولذلك ، فنحن نعلن أيضا هذا الاحتجاج ونحن متأكدون اننا مقبلون على السفر الى الورع الإمبراطور أوغسطس ، ونحن نعهد الى ماكسيموس ، وإلى مصر والمتصرفين ، باسم الله العظيم ومن

Athanasius : Orations against the Arians (Ed Bright Oxford 1873).

أجل انقاذ الورع انتقى الاغسطس قسطنطينيوس ، ان ينفقوا كل هذه الأشياء الى أوغسطس التقى والى سلطة الولاية (Prefects) العظام . ونحن نعهد أيضا الى عدم كل الولايات ان ينشروا هذه الأمور فى كل مكان وأن يحضروا الى مسامع اغسطس الورع . والى الولاية والقضاة فى كل مكان حتى يعلم الجميع أن حربا قد شنت ضد الكنيسة وأنه فى عهد الاغسطس قسطنطينيوس والى سيرينيس قد تم عذارى وآخرين كثيرين شهداء .

٣ - عندما بزغ فجر اليوم الخامس قبل الأسبوع الأول من فبراير أى الرابع عشر من شهر آشير وبينما نحن ساهرون فى بيت الله ومشغولون فى صلواتنا (حيث كان هناك قداس على الاستعداد) فجأة حوالى منتصف الليل هاجمنا الدوق سيريانوش العظيم وهاجم الكنيسة ومعه ألوية كثيرة من الجنود بسيوف عارية وحرب وآلات أخرى من آلات الحرب وهم لابسون الخوذات على رؤوسهم . وحتى ونحن نصلى وبينما نقرأ الدروس فقد حطوا الأبواب . وعندما انشقت الأبواب مفتوحة تحت عنف انجموع أعطى أوامره وأطلق بعضهم سهامهم ، صاح آخرون وقععت أسلحتهم ، وبرقت سيوفهم فى ضوء المصابيح وفى الحال ذهبت العذارى وكثير من الرجال ونعوا تحت الأعمد (داسوهم) ووقع كل منهم على الآخر عندما هاجمهم الجنود ، ومزقت أنسجام العديدين وهلكوا . كما شغل بعض الجنود أنفسهم بالنهب وجردوا العذارى عاريات واللاتى كن خائفات من أن يلمسوهن أكثر من خوفهن من الموت .

٤ - وظل الاسقف جالسا على عرشه وتضرع الى الجميع أن يصلوا قاد الدوق الهجوم مصطحبا معه هيلاريوس الوثيق الذى يظهر دوره فى الاجراءات فيما تلى ذلك . أمسك بالاسقف وبانكاد نجا من التمزيق الى قطع ، وبعد وقوعه فى حالة من فقدان الوعي

وظهوره كرجل ميت ، اختفى من بينهم ولقد ذهب لانعرف الى أين .
لقد اتوا تواقين الى قتله . وعندما رأوا ان الكثيرين قد هلكوا أعطوا
الأوامر الى اجنود ليزينوا جثث الموتى بعيدا عن الانظار . من
المعذاري الورعات اللاتي تركن هناك دفنوا في المقابر بعد أن
حصلوا على عظمة الشهادة في عهد قسطنطيوس الورع .
اما الشماسية (Deacons) فقد جلدوا أيضا بالسيور حتى في بيت الله
وحبسوا هناك .

٥ - ونم تتوقف الأمور حتى الى هذا الحد : فبعد أن حدث كل
هذا فكل من أحب كسر أى باب في استطاعته بحث ، ونهب
ما بداخله . بل انهم دخلوا الى تلك الأماكن التي ليس مسموحا
حتى لكل المسيحيين بدخولها . وجورجونيوس ، قائد قوات المدينة
يعرف هذا حيث انه كان حاضرا ، وهناك شاهد هام على طبيعة هذه
الضربة المعتدية مقدم عن طريق الظروف فالأسلحة ، والخراب
والسيوف التي حملها أولئك الذين دخلوا قد تركت في بيت الله .
ولقد ظلت مغلقة في الكنيسة حتى هذا الوقت ، وربما لا يستطيعون
انكارها ورغم انهم قد أرسلوا الجندي ديمانويوس عدة مرات وأيضا
قائد شرطة المدينة برغبتهم في اخذها الا اننا لم نكن لنسمح بذلك
حتى يعرف الجميع الظروف .

٦ - والآن اذا كان هناك أمر قد أعطى بأضطهادنا فاننا على
أتم الاستعداد لمواجهة الاستشهاد . ولكن اذا لم تكن بأمر أغسطس
فاننا نطلب من ماكسيموس ، محافظ مصر ، ومن كل قضاة
المدينة ان يلتزموا منه الا يعتدى علينا . كما نرغب أيضا أن يقدم
اتماسنا هذا اليه الا يحاولوا احضار أى أسقف آخر الى هنا :
حيث أننا قد قاومنا حتى الموت لاننا نرغب أن لا يكون الا اثناسيوس
الورع الذي منحنا الله اياه .

من الإباطرة ثيودوسيوس وثالثتيان الاغسطس الى قايصرته
حاكم الشرق البريتورى (١) :

نقد احتارت رحمتنا مرارا لفهم حقبة انه عندما تكون هناك
سحر من المكافآت مقدمة لحماية الآداب والدراسات الحرة نجد أن
عناك قلة قليلة قد منحت معرفة كاملة بالقانون المدني . فاننا ندعش
انه حتى انقيل من الدين ذيلت وجوههم من السحر والتأليف فان
واحد أو اثنين قد وصلوا الى درجة عالية من التعليم والكمال .
وعندما ننظر الى هذا نلهم الهائل من الكتب والطرق المختلفة
للإجراءات وصعوبة القضايا القانونية وأكثر من ذلك الكم الدار
من الدساتير الامبراطورية المختلفة كانت تكون سد من الضباب
الكثيف والظلام وأمام حاجة أفكار الناس من الحصول على معرفتها فاننا
نواجه حقيقة لعصرنا ألا وعى ازاحة الظلام ليعطى النور للقوانين ولقد
انتخبنا رجال ذى عقيدة مقبولة وقانونيين على درجة عالية من
المعرفة وبذلك فان الناس لم يجدوا فى حاجة للانتظار لوجود
قانونيين خبراء نزهاء كما لو كانوا فى معبد داخلى وذلك عندما يكون
من الواضح تماما الاجراء الذى يتبع فى رفع قصة للورثة ،
أو ما هو وزن الهبة وقيمة الهبة فان التفاصيل التى كشفها علماء
مجتهدون قد ظهرت الى اليمان تحت روعة اسمنا المتسع المضى
ولا تدع أولئك الذين توصلوا الى قداسة اسرار قلوبنا يتغيبون انهم
قد حملوا على مكافآت ضئيلة .

ذلك أنه اذا كانت عين عقولنا تنبأ بالمستقبل فان اسمائهم
ستصعد الى الرفعة مقرونة باسمائنا وعلى ذلك وبعد ان أمرنا
بسحب المجلدات التى اضاع عليها الكثيرون حياتهم ولم يوضحوا

Theodosius II. Nov. I.
trans. Bury. N. Y. 1958 . . .

(١)

شيئاً في النهاية فانه انقر معرفة جامعة بالساتير الامبراطورية منذ زمن قسطنطين المقدس ولا تسمح لأي فرد بعد اليوم الأول من يناير المقبل أن يستعمل أى سلطة في ممارسة القانون الا تلك الكتب التي تحمل اسمنا والمحافظة في المكتب المقدس وليس هناك أى امبراطور من الاباطرة القدماء قد حرم من خلوديته ولم يقع أى اسم لمؤلف للدستور وانما هم يتمتعون بالاهتمام كذلك أوامرهم مرتبطة بنا ان مجد السابقين سيبقى الى الابد ولم يذهب أى ذكاء الا أسلمناه للنسوء ورغم ان العمل كله راجع إلى مبادرتنا الحكيمة الى اننا رأينا انه أولى بالجلالة الامبراطورية بأن نكشف القناع عن القوانين ونزيل عن أعمال اسلافنا ظلم الجهل واننا نصدر أوامرنا الآن ليس هناك دستور يمكن أن يجرى في الغرب أو أن يصدر في لغرب أو في أى مكان آخر بواسطة الامبراطور العائب لرحمتنا فالتبيان أو أن تكون له صلاحية الا بعد موافقتنا •

هذا الاستثناء لابد أن يلاحظ في القوانين التي نصدرها في الشرق وتلك التي يجب أن تدمع بعدم الشرعية وليست مسجلة في قانون ثيودسيوس ، باستثناء وثائق خاصة في المكتب الرسمي يجب أن تدمع بالشرعية •

ولاننا قصة طويلة يجب أن تحكى على كل من ساهم لاكمل هذا العمل بجهوده انتجوس المستشار والحكام السابق اللامع وجهود مكسيموس البارع والكويستور السابق لقصرنا كل البارزين وكل أقسام الآدب وجهود مارتيورس الباهر الكونت الكويستور المترجم الأمين لعظمتنا •

وجهود اسبرتانيوس ابلودولورس رئيسودر وكل البر
المحتمين وكونتات بلاطنا القدس وجهود نحترم بيجونس كونت
وماجستير ماموريا وجهود بركييوس المحترم كونت وماجستير
ليبريوم كل هؤلاء الرجال يمكن أن يشارنوا بأى فرد من القدماء
ويبقى يالاروتنوس العزيز وتريبيس الحظوف المؤمن بسلطتنا الباهرة
وأن تليق هذه القوانين بجلالة أغنس وان تعان لعلم كل الناس
وكل الاقاليم •

١٥ فبراير ٤٢٨ فى القسطنطينية

أباطرة بيزنطة

٦٤١	هرقليوس	٣٣٤ — ٣٣٥	تسطنطين الاول
٦٦٨ — ٦٤١	تسطنطين الثاني	٣٣٧ — ٣٦١	تسطنطينيوس
٦٦٨ — ٦٨٥	تسطنطين الرابع	٣٦١ — ٣٦٣	جوليان
٦٨٥ — ٦٩٥	جستينيان الثاني	٣٦٣ — ٣٦٤	جوفيان
٦٩٥ — ٦٩٨	لينيوس	٣٦٤ — ٣٧٨	فالنتز
٦٩٨ — ٧٠٥	تييريوس الثاني	٣٧٩ — ٣٩٥	تيوديسيوس الاول
٧١١ — ٧٠٥	جستينيان الثاني ثانية	٣٩٥ — ٤٠٨	اركانديوس
٧١١ — ٧١٣	فليكيوس	٤٠٨ — ٤٥٠	تيوديسيوس الثاني
٧١٣ — ٧١٥	انسناسيوس الثاني	٤٥٠ — ٤٥٧	ماريان
٧١٥ — ٧١٧	ثيوديسيوس الثالث	٤٥٧ — ٤٧٤	ليو الاول
٧١٧ — ٧٤١	ليو الثالث	٤٧٤	ليو الثاني
٧٤١ — ٧٧٥	تسطنطين الخامس	٤٧٤ — ٤٧٥	زينون
٧٧٥ — ٧٨٠	ليو الرابع	٤٧٥ — ٤٧٦	باسيليوس
٧٨٠ — ٧٩٧	تسطنطين السادس	٤٧٦ — ٤٩١	زينون ثانية
٧٩٧ — ٨٠٢	ايرين	٤٩١ — ٥١٨	انسناسيوس الاول
٨٠٢ — ٨١١	نقفور الاول	٥١٨ — ٥٢٧	جستين الاول
٨١١	ستاوريكوس	٥٢٧ — ٥٦٥	جستينيان الاول
٨١١ — ٨١٣	ميخائيل الاول	٥٦٥ — ٥٧٨	جستين الثاني
٨١٣ — ٨٢٠	ليو الخامس	٥٧٨ — ٨٥٢	تييريوس الاول
٨٢٠ — ٨٢٩	ميخائيل الثاني	٥٨٢ — ٦٠٢	موريس
٨٢٩ — ٨٤٢	ثيوفيل	٦٠٢ — ٦١٠	غوكاس
٨٤٢ — ٨٦٧	ميخائيل الثالث	٦١٠ — ٦٤١	هرقل
٨٦٧ — ٨٨٦	باسيل الاول	٦٤١	تسطنطين الثالث
٨٨٦ — ٩١٢	ليو الرابع		وهرقليانوس

١١١٣ — ١١١٨	علاء الثاني - كومنين	٩١٢ — ٩١٣	الكسندر
١١٨٠ — ١١٤٣	ماتويل الاول كومنين	٩٥٩ — ٩١٣	تسطنطين السابع
١١٨٣ — ١١٨٠	الكسيوس الثاني	٩٤١ — ٩٢٠	روماتوس الاول
١١٨٥ — ١١٨٣	اندرونيكوس الاول	٩٦٣ — ٩٦٣	روماتوس الثاني
١١٩٥ — ١١٨٥	اسحاق الاول انجليوس	٩٦٩ — ٩٦٩	نقنور الثاني
١٢٠٣ — ١١٩٥	الكسيوس الثالث	٩٧٦ — ٩٧٦	حنا زمكيس
١٢٠٤ — ١٢٠٣	اسحاق الثاني ثانية مع الكسيوس الرابع	١٠٢٨ — ١٠٢٥	تسطنطين الثامن
١٢٠٤	الكسيوس الخامس	١٠٢٨ — ١٠٢٧	روماتوس الثالث
١٢٢١ — ١٢٠٤	ثيودور الاول لاسكاريس	١٠٤١ — ١٠٣٤	ميخائيل الرابع
١٢٥٤ — ١٢٢٢	حنا الثالث دوكاس	١٠٤٢ — ١٠٤١	ميخائيل الخامس
١٢٥٧ — ١٢٥٤	ثيودور الثاني لاسكاريس	١٠٤٣	زوى — ثيودورا
١٢٦١ — ١٢٥٨	حنا الرابع	١٠٥٥ — ١٠٤٣	تسطنطين التاسع
١٢٨٢ — ١٢٥٩	ميخائيل الثامن بالولوجس	١٠٥٦ — ١٠٥٥	ثيودورا ثانيا
١٣٢٨ — ١٢٨٢	اندرونيكوس الثاني	١٠٥٧ — ١٠٥٦	ميخائيل السادس
١٣٤١ — ١٣٢٨	اندرونيكوس الثالث	١٠٥٧ — ١٠٥٩	اسحاق الاول كومنين
١٣٩١ — ١٣٤١	حنا الخامس	١٠٦٧ — ١٠٥٩	تسطنطين العاشر دوكاس
١٣٥٤ — ١٣٤٧	حنا السادس كلثا كوزينوس	١٠٦٧ — ١٠٧١	روماتوس الرابع ديوجنس
		١٠٧٨ — ١٠٧١	ميخائيل السابع دوكاس
		١٠٨١ — ١٠٧٨	نقنور الثالث يونتياتوس
		١١١٨ — ١٠٨١	الكسيوس الاول كومنين

١٤٤٨ — ١٤٢٥	حنا الثان	١٣٧٩ — ١٣٧٦	انديونيكوس الرابع
١٤٥٣ — ١٤٤٦	تسطنطين	١٣٧٩ — ١٣٦٠	حنا السابع
	الحادي عشر	١٣٩١ — ١٤٣٥	ماتويل الثاني



اورینٹل سرکلور پریس ایلمنٹس



موزايك المدراء في سطمين ودرسيا

المصادر الأصلية

Ammianus Marcellinus : Res Gesta trans Baynes with historical notes.

London.

Anna Comnena : Alexiad trans E. A. S. Dawes London 1920.

Athanasius : The life of saint Anthony Select Historical Treatises Ed Bright oxford 1891.

Athanasius : Orations against the Arians Ed Bright oxford 1873.

Constantine VII prophyrogenitus : De administrando imperio. trans Jenkins "Budapest 1949".

: Le livre des Ceremonies trans Vogt "1935"

Ecioga . trans Freshfield "Camb 1926".

Eusebius of Casarea : The Ecclesiastical history and the Martyrs of Palestine ed Schwartz and th Mommsen 3 vols.
"Leipzig 1914".

John the Lydian : De magistratibus populi Romani Ed Wunsch.
"Leipsic 1903"

John Malalas : Chronographia.

"Ed Brooks 1902"

Micheal Psellus : Chronographia trans E. R. A. Sweter.
London 1955"

Socrates : Historia Ecclesiastica Ed Hussey 3 Vols.
"Oxford 1853"

Sozomen : Historia Ecclesiastica Ed Hussey.
"Oxford 1860"

Theophanes : Chronographia Ed Boor, 2 Vols.
Leipsic 1883.

Zosimus : Historia nova ed Mendelssohn. Leipsic 1887

- Alföldi A : The Conversion of Constantinian and Pagan Rome
(Oxford 1948).
- Allard. P. : Julien l'Apôtre 2 Vols (Paris 1930)
- Allen A. V. G : Christian Institutions.
(Oxford 1938)
- Andercades : La population de Constantinople 1921.
- Arnold Toynbe : A study of History.
(London 1939)
- Barker : Social and Political Thought Byzantium
(Oxford 1957)
- Baynes N. H. and Moss : Byzantium
(Oxford 1948)
- Bidel : La vie de l'empereur Julien
(Paris 1930)
- Boussier. G. : La Fin du Paganisme.
(4 Vols. Paris 1903)
- Brehier. L. La Monde Byzantine 3 Vols Paris 1950.
L'Origine des Titres (B. Z. Vol 15).
- Brightman : Byzantine Coronation Ceremonies.
(Journal of Theological Studies).
- Dezobry : L'Eglise et l'empire 6 Vols.
(Paris 1856).
- Brooks. E. W The Emperor Zenon and the Isaurians (English
Historical Review 1938).
- Bury. H. History of the Later Roman Empire.
(N : Y. 1985)
- History of the Eastren Roman Empire.
(London 1912)
- The Treatise De Administrando imperio.
(B. Z. VX 1906)
- The Cambridge Medieval Hstiorv vols 1 - 11 . IV (1923).
- Chapot La Frontier de l'Euphrate.
Paris : 1930

- Charanis P. Church and State in the Later Roman Empire.
(Madison 1939)
- Chaworth. Influences of Christianity on the Legislation of
Constantine.
(Camb 1878)
- Chesney. Expedition for the Survey of the River Euphrates.
(London 1850)
- Christensen. A. S. Iran Sous Les Sassanides
(Copenhague 1944)
- Collingwood : The Idea of History
London
- Demougeot : De l'unité à la division de l'Empire Romain
(Paris 1951)
- Desjardins : l'Empereur Julien
(Paris 1845)
- Diehl : Histoire de l'Empire byzantin
Paris 1930
Le Monde Oriental (France 1932)
Le Senat et le peuple Byzantin
(Byzantion Vol I)
- Justinien et la Civilisation Byzantine (Paris 1901)
- Byzance Grandeur et Decadence (Paris 1919)
- Dodds : Theurgy its relationship to neoplatonism
- Dunlap : The office of the Censor in the Roman
Byzantine Empire.
(N. Y. 1924)
- Ensslin : The Reforms of Diocletian Camb. Ancient History
Vol XII.
The Emperor and the Imperial Administration.
(Byzantium Ed Baynes)
(Oxford 1961).
- Firth. J. B. : Constantine the Great.
N. Y. 1905.
- Grabar : Byzantine painting.
(Geneva 1953).

- Gregoire H. : Les persécution dans l'Empire Romain.
(Memoires de l'Acad. de Belgique 1951).
La Conversion de Constantine
(Revue de l'Univ. de Bruxelles. 1930).
- George Finlay : A History of Greece 1 Vols.
(Oxford 1877).
- Grumel : l'Illyricum de la mort de Valentinien l'er a la mort
de Stilicon. (1951)
- Gwathin H. : Studies of Arianism.
Camb. 1882 - 1902).
- Hamilton : Byzantine Architecture and Decoration.
(London 1958)
- Hearsey : The City of Constantine.
(London 1963)
- Hodykin : Italy and her Invaders. 8 vols.
(Oxford 1892)
- Hussey : The Byzantine world.
(N. Y 1961)
- Jackson : Byzantine and Romanesque Architecture.
(Camb. 1920)
- Jones. H : The Greek City from Alexander to Justinian.
(Oxford 1940)
- Labuda : Chronologie de guerres de Byzance (Paris. 1888).
- Lecrivain. Le Senat Romain depuis Diocletien.
(Paris 1888)
- Lemerle : Le Style byzantine.
(Paris 1943)
- Lot : La Fin du Monde antique et le debut du moyen age
(Paris 1927)

Mericq : La duree du Regime des parties populaires a Constantinople.

(Bull. de l'Acad. de Belgique 1949)

Mathew. G. Byzantine Painting.

(London 1950)

Marrice : Constantin Le Grand. L'Origine de Civilisation Chretienne.

(Paris 1925)

Moss : The Birth of the Middle Ages

(Oxford 1935)

Neumann : Arians of the fourth century.

(London 1933)

Otto. Demus : Byzantine Mosaic Decoration.

(London 1948)

Oman : The Byzantine Empire.

(London 1892)

Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine State trans Hussey.

(Oxford 1956)

Piganol : L'Empire Chretien.

(Paris 1947)

Porther : Doctrine of the person of christ.

Pulbn : Sources for the History of Medieval Europe. (London)

Ramnaud : Etudes sur l'histoire byzantine.

(Paris 1912)

Rendall. G. H : The Emperor Julian Paganism and Christianity.

(Camb. 1879)

Rostovtzeff : Social and Economic History of the Roman Empire.

(Oxford 1930)

Runicman : Byzantium and Slaves.

(Oxford 1961)

Tenney Frank : Economic History of Rome.

(London)

Tozer. Byzantine Satire.

(Journal of Hellenic Studies 1881).

Vanmüllingen : Byzantine Constantinople

(London Murray 1899)

Vasiliev : History of the Byzantine Empire.

(Madison 1952)

William Miller : The Historians Doukas and phrantzes.

(Journal of Hellenic Studies XI 1922)

Wright : A History of Later Greek literature.

(London 1932)

المهـرنت

صفحة

المقدمة ٣ — ٦

الفصل الأول :

بداية التاريخ البيزنطى — المصادر المعاصرة للفترة

البيزنطية الاولى — اراء المؤرخين حول بداية التاريخ

البيزنطى ٧ — ٢١

الفصل الثانى :

مميزات الفترة البيزنطية ٢٢ — ٧٥

الطابع الشرقى للامبراطورية — التأثير اليونانى

البلغى — التعليم — الفلسفة — الادب — التاريخ —

الفن البيزنطى ٢٢ — ٤٠

نظام الحكم — سلطة الامبراطور وظهور الاوتقراطية —

توزيع الامبراطور — عزل الامبراطور — حق التشريع —

السناتو — الاحزاب البيزنطية ٤١ — ٦١

الكنيسة والدولة — الديوبه والدولة ٦٢ — ٧٥

الفصل الثالث :-

الامبراطورية واعدائها ٧٦ — ١٠١

الفرس ٧٨ — ٨٦

الجرمان ٨٦ — ٩٥

شعوب وسط آسيا واستبس روسيا ٩٥ — ١٠١

الفصل الرابع :

١٦٤ — ١٠٢	التاريخ السياسي : تسطنطين وعصره
١١١ — ١٠٢	الامبراطورية في نهاية القرن الثالث
١١٨ — ١١٥	تسطنطين
١١٩	تسطنطين وبيسنتينيوس — مرسسوم ميلان
	تسطنطين كإمبراطور منفرد
١٢٥	تسطنطين والمسيحية — مرسوم ميلان ٣٢٥ م
١٢٥	نشأة التسطنطينية
١٤٢	ملاح تسطنطين
١٢٥	تسطنطينوس والفرس
— ١٤٧	الموقف الديني
١٥٠	تسطنطينوس وجوليان
١٥٢	جوليان إمبراطورا
١٥٤	جوليان والوثنية — الحرب مع الفرس
١٥٨	جوثيان
١٥٩	جوثيان والمسيحية
١٦٠	فالنتين وفالنترا
١٦١	الامبراطورية والفرس
١٦٤ — ١٦٢	فالنتز والجرمان ومعركة اديانويل

الفصل الخامس :

١٦٥	أمره ثيودوسيوس الاول
١٦٨	المسيحية كديانة رسمية

١٦٦	ثيودسيوس امبراطورا متفردا
١٧٢	اركانديوس وثيودسيوس
١٧٧	الامبراطورية والكيسة حاتم الذهب
١٨١	ثيودسيوس الثاني
١٨٢	انثيموس
١٨٢	بولكريا
١٨٥	الحرب الفارسية
١٨٦	بيزنطة والامبراطورية الغربية
١٩٠	الموقف الدينى
	أهم منجزات ثيودسيوس الحضارية - جامعة القسطنطينية
١٩٤	قانون ثيودسيوس
١٩٥	مارقيان
١٩٧	السياسة الدينية
١٩٨	السياسة الخارجية للامبراطورية - الهون
٢٠٠	ليو الاول
٢٠٣	الجرمان والامبراطورية الشرقية
٢٠٥	حكم الايسوريين - زينون
٢٠٨	سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب
٢١٢	المشكلة الدينية وصيغة الوفاق
٢١٧	انستاسيوس
٢١٨	السياسة الخارجية - بيزنطة والقبائل العربية
٢٢٠	الحرب الفارسية

البلائان ٢٢١

انستاسيوس وثيودريك ٢٢٢

الشكلة الدينية ٢٢٣

الملاحق ٢٢٦ - ٢٤١

مرسوم ميلان ٢٢٧ - ٢٢٩

حياة القديس انتوني ٢٣٠ - ٢٣٢

منجاج ضد الابوريين ٢٣٣ - ٢٣٥

مراسيم ثيودوسيوس وغالينيان الى فلورنثيوس

والى الشرق ٢٣٦ - ٢٣٨

اسماء اباطرة-بيزنطة

W

مطبعة أم الخريف
٢٥٢٢٢٩/٢

